

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر -2- ابو القاسم سعد الله

معهد الآثار

العمارة الإسلامية بوادي ريغ

"مدينة تقرت نموذجا"

دراسة تاريخية، أثرية، عمرانية

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية

تحت إشراف الأستاذ الدكتور :

صالح يوسف بن قرية

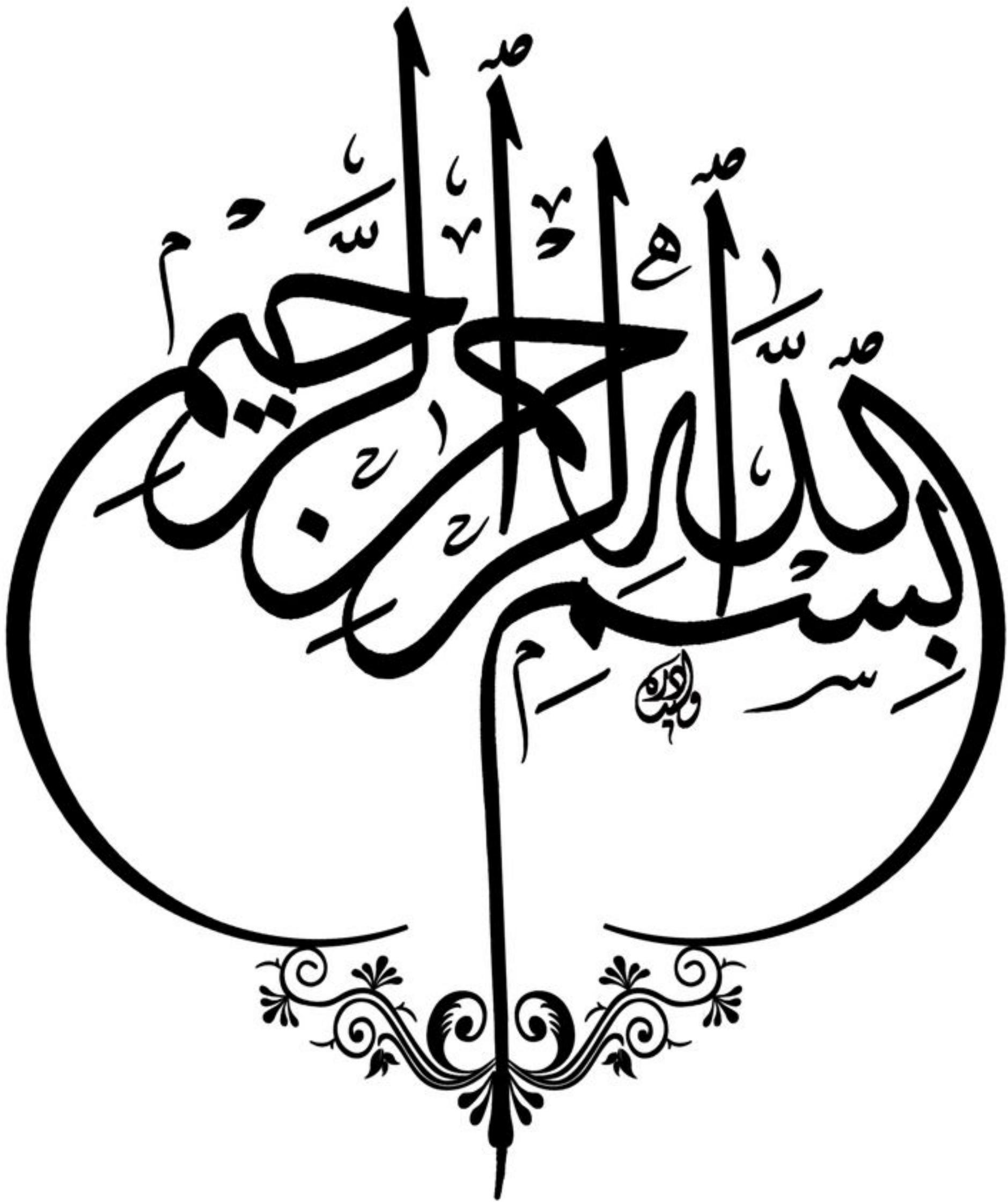
من إعداد الطالب :

طرطاق الوردي

أعضاء لجنة المناقشة

الجامعة	الصفة	الرتبة	اسم ولقب الاستاذ
جامعة الجزائر -2-	رئيسا	استاذ محاضر	د.إسماعيل بن نعمان
جامعة الجزائر -2-	مشرفا ومقررا	أستاذ التعليم العالي	أ.د.صالح يوسف بن قرية
جامعة الجزائر -2-	عضوا مناقشا	استاذ محاضر	د.عائشة حنفي
جامعة الجزائر -2-	عضوا مناقشا	استاذ محاضر	د.هجيرة تملكشت
جامعة الجزائر -2-	عضوا مناقشا	استاذ محاضر	د.وردة فاضل
جامعة المسيلة	عضوا مناقشا	استاذ محاضر	د.حليم سرحان
جامعة الجزائر -2-	عضوا مناقشا	استاذ محاضر	د.ليلي مرابط

السنة الجامعية: 2016/2017



شكر و عرفان

[فَاذْكُرُونِ أَذْكَرُكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ] الآية 251 سورة البقرة
إن الحمد لله نحمده و نشكره و نشكره على توفيقه وإلهامه هبة
الصبر وتحمل عناء هذا المشوار إلى نهايته.
إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور صالح يوسف بن
قربة الذي بصرني بنور بصيرته و صفاء فؤاده ، الذي كان نعم
الأستاذ الذي تابع مراحل انجاز هذا العمل موجهها ومصححا
منذ بداية نشأته حتى إتمام ميلاده ، ولم يبخل علينا بكل ما
يملك من علم ووقت ، وكذا على صبره معنا كل هذه المدة ...
له أتقدم بالشكر والامتنان وأوفر التقدير.

الإهداء

إلى أغلى و أعز الناس عندي، أمي الفاضلة
إلى من يعز علي، روح أبي الطاهرة
إلى من ساندني طيلة هذه الدراسة، زوجتي
إلى من يدخل الفرحة في قلبي ، ابنائي
إلى من يعز علي ، اخوتي واخواتي
إلى كل الأصدقاء

و

الزملاء

المقدمة

كانت العمارة الإسلامية نتاج تنوع بيئي ومادي وثقافي وفكري للمجتمعات التي تشكل العالم الإسلامي ، والتي لعبت دورا فعّالا في انجاز مظاهر عمرانية لها خصوصيتها الموحدة والتي لم تخرج من اطارها الإسلامي.

و المظاهر العمرانية في المناطق الصحراوية التاريخية والحضرية، ورغم اهميتها مازالت تستوقف الباحثين والمهتمين على فهم ما أنتجته العبقريّة الشعبيّة في هذه البيئة الجافة بكل معطياتها.

ومع ذلك يبقى العمران الصحراوي الإسلامي بمادته العلمية في مختلف المصادر التاريخية والجغرافية أو بشواهد الأثرية الباقية إلى اليوم بحاجة إلى من يدرسه ويخرجه من دائرة النسيان .ومن هذا المنطلق جاء إختيارنا لموضوع "العمران الإسلامي بوادي ريغ . تقرت نموذجاً." بغرض التعريف بحواضره من خلال ما دونته المصادر العربية عنها من جهة، ولإعطاء صورة واضحة عن آثار المنطقة ومعالمها المعمارية ومدى مساهمتها في النسيج العمراني الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط من جهة ثانية، واثارة إهتمام الدارسين بمثل هذه الموضوعات التي ما تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والعمل الميداني كما أشرنا.

ولعل أهم ما ميز تاريخ إقليم وادي ريغ، موقعه الإستراتيجي الهام الرابط بين الصحراء والتل، والذي عرف عبر مراحل التاريخ القديم الاستيطان البشري إلى أن دخل في دائرة الحضارة الإسلامية، الى الاحتلال الفرنسي، وفي كل مرحلة يشهد تطورات عمرانية وحضرية، لعل أكبرها كان في العصر الإسلامي؛ حيث عرف الإقليم _في بعض مراحلهِ_ نوعا من الإستقرار السياسي وازدهاره ومساهمته الحضارية والفكرية في مختلف المجالات الحياتية والصناعية والعمرانية والفنية الإسلامية، كما أثرت عوامل أخرى مست

إقليم وادي ريغ الطبيعية (المناخ، التضاريس، اوتربة، المياه)، والإقتصادية، والدينية، والإجتماعية، بالإضافة إلى وسائل دفاعية، خلقت منظومة معمارية عمرانية واحاتية بالدرجة الأولى، وتشهد بقايا قصور وادي ريغ التي تتمركز في قلب واحات النخيل على ماوصل إليه الفكر العمراني القديم لتعمير الإقليم بدءا من الفترات القديمة ووصولاً إلى الفترات الحديثة.

1-أسباب إختيار الموضوع

لقد حاولنا دراسة جغرافية إقليم وادي ريغ من الناحية الاجتماعية والاقتصادية بالإضافة الى ابراز عمارته وعمرانه الاسلامي وتاريخه وتطور عمرانه المعماري ؛ وقيمته التاريخية والأثرية خاصة العمارة القصرية التي تقدم مثالا واضحا على طرزه العمرانية العتيقة، تخطيطا وبناءا وعمارة تنسجم مع بيئته،وتفاعل انسان وادي ريغ مع بيئته ومحيطه محاولا ايجاد الحلول المناسبة ليعيش ضمن هذه البيئة القاسية ولذلك جاء القصر او عمارة القصر لتحقيق هذا المسعى .

كما ان عمارة وادي ريغ تمثل نمطا تقليديا نشأ بين الواحات حيث وفرت له الوسائل الحياتية من حماية وغذاء .

ونتيجة لهذه الظروف وتفردا آثرنا اختيار ليكون موضوع رسالة دكتوراه نظرا لقلة الابحاث والدراسات المتخصصة حول هذه المنطقة المتميزة بمناخها وطبيعتها الصحراوية ، علاوة على ما يمثله من أهمية في حقل نشأة العمارة الاسلامية وتطورها ،حيث جمعت بين صبغتها الاسلامية العامة ومحلياتها الخاصة .

كما تكمن اهمية هذا الموضوع في ان اقليم وادي ريغ ، يمثل موقعا استراتيجيا اقتصاديا وسياسيا وعمرانيا.

وقد يتطلب منا هذا العمل القيام بالدراسة الوثائقية من خلال المصادر التاريخية والبلدانية ، وربطها بالدراسة الميدانية التي تجمع بين المسح الاثري والدراسة الوصفية للعمارة ومرافقها بوادي ريغ .

ولتحقيق ذلك لابد من وضع خريطة لأهم المواقع الاثرية والمعالم التاريخية التي تساعدنا في فهم الموضوع والقاء أضواء كاشفة حوله.

سعيانا من خلال هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف لعل أهمها:

لا شك أن الدراسة العلمية للموضوع قد تساهم في فهم نمو وتطور العمارة بإقليم وادي ريغ، وكل ما يتعلق بتخطيط التجمعات البشرية والمواد الإنشائية المستعملة في العمارة والأساليب المتنوعة التي إستعملها إنسان المنطقة في إستغلاله للمواد؛ وبذلك سوف نقدم عمل علمي مشكل من قسمين رئيسيين أولهما مظاهر العمارة الإسلامي الغابر، أما القسم الثاني فيشمل التراث العمراني الصحراوي المتأثر بتخطيط المدينة الإسلامية الذي لازالت شواهدة قائمة بإقليم وادي ريغ ، وجعل هذه المادة في خدمة الباحثين.

رسم خريطة أثرية للمعالم العمرانية وتقديم صورة واضحة عن المسائل النظرية والعملية للعمارة الإسلامية الصحراوية بهذا الإقليم ، من خلال تبيان أصول العمارة العتيقة وأهميته العلمية والأثرية.

تقديم حلولاً للمشاكل التي تعاني منها القصور العتيقة، والعمل على إعادة تأهيلها وارجاع الحياة لها والنشاط الذي عرفت خلال قرون ماضية، وتفعيلها ضمن القطاع السياحي والثقافي لزيادة عائدات البلاد إقتصاديا.

تساهم هذه الدراسة أولاً كمرجع يسمح بإجراء تدخلات تقنية وترميمات مناسبة للبقايا الأثرية والمعمارية، وثانياً لإثراء المكتبة التي تعاني النقص في مثل هذه الموضوعات.

2- إشكالية البحث

وحول إشكالية البحث أن دراسة العمارة الإسلامية بإقليم وادي ريغ تحتاج إلى بذل جهد فريق من الباحثين المهتمين بالعمارة الإسلامية الصحراوية خلال الحقب التاريخية.

فقد وظفت في سبيل تحقيق عمارته مواد إنشائية وطرز معمارية و عمرانية جديدة

ويمكن القول في ضوء الدراسة الميدانية اندراس او زوال معظم عمارة وآثار الفترات التاريخية السابقة باستثناء بعض المظاهر العمرانية القليلة، بسبب بناء إنسان المنطقة الذي أقام مراكز عمرانية على أنقاض ومخلفات من سبقه، واستعمل المواد الإنشائية القديمة في البناء والتشييد، واستمرت عمليات التعمير وإقامة المنشآت على هذا النسق فترات طويلة، ومع كل ذلك فقد بقيت مجموعة من الشواهد والمخلفات للمنشآت تشكل ملامح عمارة القصر الصحراوي داخل الواحة، والتي مازالت تعاني الإهمال وهجر السكان مما جعلها عرضة للإندثار والزوال.

لذا وجب علينا دراسة هذه البقايا وتتبع أصل نشأتها والمؤثرات التي أثرت فيها وتبيان قيمتها، فحاولنا إبراز تحقيق ذلك من خلال تتبع لتطور عمارة الاقليم ، كما سعينا جاهدين الإجابة على سؤال جوهري يمثل إشكالية رئيسية للبحث هو:

- ما هي التطورات التي عرفها العمران الإسلامي بإقليم وادي ريغ عامة وتقرت بشكل خاص ؟ وماهي أبرز المتغيرات التي عرفها الإقليم ؟ وما هي سماته العمرانية؟
- وقد ترتب عن هذا السؤال المحوري مجموعة من التساؤلات أهمها:
- ما المقصود بمصطلح وادي ريغ ودلالته الجغرافية ؟ وما هي العوامل التي ساهمت في نشأته وتعميره؟
- ما هي خصائص عمارة التجمعات البشرية كما وصفته المصادر الجغرافية والتاريخية المتوفرة؟
- ماهي معالم القصر الإسلامي ؟ و مكوناته المعمارية وخصائصه ؟
- كيف يمكن استخلاص العوامل المساهمة في تشكيل العمارة التقليدية؟
- ماهي الوضعية الحالية "الراهنة" التي مازال العمران العتيق يعاني منها سواء كانت طبيعية ام بشرية ؟ وكيف نعمل على صيانتها واحيائه؟

3- مجال البحث ومحدداته الجغرافية

- حصرنا مجال البحث جغرافيا وفقا لحدود اقليم وادي ريغ ، وركزنا العمل الميداني على قصر تقرت؛ لكون تراثه العمراني الواحاتي لا يزال يحافظ على نماذج تعمرية قديمة بشكل المدينة الإسلامية العتيقة، وتبرز لنا بقيمتها العلمية والإقتصادية.
- من ناحية المجال الزمني للبحث عملنا على دراسة التطور التاريخي للقصر بإقليم وادي ريغ، وركزنا العمل على الفترة التي تلي الفتوحات الإسلامية ، وهو مجال شهد فيه الإقليم تطورا عمرانيا كبيرا.

وبالرغم من أهمية الموضوع فهناك عقبات مازالت تواجه الباحث في هذا المجال، منها قلة المصادر والمراجع التي تخص عمارة الاقليم، خصوصا فيما يتصل بالجانب التاريخي خاصة فترة الفتوح الاسلامية وصولا الى فترة حكم الدولة الرستمية 160هـ - 296هـ التي لم تفدنا المصادر والمراجع عن تاريخها.

وحتى الفترات التي تلتها يكتنفها الغموض حتى بداية الحكم الجلابي، وهذا ما لاحظناه من خلال دراستنا لاقليم وادي ريغ، فمعظم ما كتب عنه لا يخرج عن كونه تسجيل لرحلات قام بها القادة والرحالة الفرنسيين مع بداية الاحتلال الفرنسي واستكشافهم للصحراء. أو ما كتبه بعض الرحالة العرب أثناء طريقهم إلى البقاع المقدسة، وهي في مجملها خالية من التدقيق والتحليل، فكان من نتيجة ذلك نقص المعلومات التي تحدد التاريخ المضبوط لاقليم وادي ريغ والاحداث التاريخية التي مر بها.

فالرحالة والقادة العسكريون الذين أولوا اهتماما خاصا للحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان وادي ريغ خصوصا عاداتهم وتقاليدهم واصول العناصر البشرية التي شكلت مجتمعهم، هذا فضلا عن التعرف عن انماط الصنائع والحرف والفنون التطبيقية، وقد جاءت كتابات هؤلاء سردية سطحية لاتسمن ولا تغني الباحث في هذا المجال.

4- منهج الدراسة

فرضت طبيعة الموضوع وخصوصيته - التي تتقاطع فيه مجموعة من العلوم الانسانية، التاريخ، والآثار، والعمران، وعلم الاجتماع، والاقتصاد - اتباع منهجين أساسيين في البحث هما: المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي خصوصا في معرفة أصول نشأة والقصور بإقليم وادي ريغ وخصائصها وسماتها، والعلاقة بين مختلف المعالم والمنشآت

والمرافق المشكلة للتجمعات السكانية المدروسة، واستخدمنا هذين المنهجين بشكل متفاوت بين فصول البحث، وقد ركزنا في جمع المادة العلمية على جانبين رئيسيين هما:

1-المنهج النظري

يشمل الإطلاع على النصوص والوثائق التاريخية ومختلف ما تحتويه المصادر والمراجع والبحوث من معلومات تخدم الموضوع وتعرف بمواقع وأصول الحواضر المنوطة بالدراسة، والتي نتحدث كذلك عن تاريخ المدن بالمغرب الأوسط، وتطور نسيجها العمراني في العصر الإسلامي، آخذين بعين الاعتبار الدراسات التي تطرقت إلى العمران الصحراوي لإقليم الزاب. إضافة إلى المراجع الأثرية التي لها علاقة بالعمارة والعمران وربطها بالمسائل التاريخية.

ب-المنهج التطبيقي

ويضم الدراسة الأثرية الميدانية والتطبيقية؛ وقوامها زيارة المواقع والمعالم بإقليم وادي ريف حتى تتمكن من اجراء الدراسة الوصفية والتحليلية من رفع اثري وتصوير ووضع مخططات لمبانيه القائمة والمندثرة، خاصة مواد الانشاء واساليب.

5- دراسة نقدية تحليلية لأهم المصادر والمراجع المعتمدة

في البحث:

وقد استفدنا في انجاز بحثنا على مجموعة مصادر ومراجع ، ومن أبرزها:

1_ القسمة وأصول الرضين لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر

الفرسطائي النفوسي، (ت 504 هـ) تحقيق :بكير بن محمد الشيخ بلحاج ومحمد صالح

ناصر، المطبعة العربية، غرداية،. 1997

وقد إعتمدناه بصفة خاصة ، كونه يعد من اهم مصادر فقه العمارة الإسلامية بوادي ريغ في القرن الخامس الهجري، حيث عالج مسائل فقهية بشكل مفصل، محددًا حقوق الناس وواجباتهم نحو بعضهم في المجالين الريفي والحضري حسب احكام العمران الإسلامي،والكتاب غني بالمعلومات والبيانات التي تخص القصور الصحراوية كتخطيط الشوارع، وبناء المنازل والبيوت والأسوار والخنادق، واحترام الساحات، وحفر الآبار، وحق غرس الأشجار والنخيل والسواقي والشوارع والطرق المؤدية إليها.

ورغم اهمية المؤلف فقد وقع صاحبه في خلط كبير لاسيما فيما يتعلق بتسميات الطريق، فمرة يذكره بالسكة والشارع ثم الطريق، في آن واحد، وتارة أخرى يذكر الزقاق الأزقة النافذة أو غير النافذة وهكذا يسود هذا الإضطراب والخلط في جميع كتابه، الشيء الذي صعب مهمتنا في بحث الجوانب المعمارية.

2_ نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، لصاحبه الشريف أبو عبيد الله

الإدريسي (ت 560 هـ) نشر مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دون تاريخ نشره. يعتبر الإدريسي من أشهر الجغرافيين المسلمين الذين كان لهم اهتمام بوصف العالم وقد اشتهر بكتابه هذا الذي انتهى من كتابته سنة 548 هـ، جمع فيه معلومات تاريخية وجغرافية وعمرانية عن عديد المدن والحصون في مختلف نواحي الأرض، وقد افادنا في بحثنا هذا من ضبط أسماء مدن إقليم وادي ريغ وخصائصها والمسافات بينها وبين المدن والأقاليم المجاورة لها.

3_ معجم البلدان لصاحبه ياقوت الحموي شهاب البغدادي (ت626هـ) ،
الذي يتألف من اجزاء كثيرة حققه محمد أمين الخانجي، ونشر بدار صادر، بيروت،
1977 .

ويعتبر الكتاب من أكبر المعاجم الجغرافية العربية التي تبحث في وصف المدن
وخصائصها، وقد استفدنا من الجزء من الجزء السادس الذي زدنا فيه بمعلومات عن
الاقليم من نواحي متعددة جغرافية وتاريخية، واستخدمنا بشكل كبير الجزء الثالث لصلته
الكبيرة بمدن بحثنا.

4_ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن
عاصرتهم من ذوي السلطان الكبير لصاحبه عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808 هـ)

، الجزآن الأول والسابع، دار ابن حزم، بيروت، . 2003
وظفنا بشكل كبير الجزء الأول منه المعروف ب " المقدمة " لتعريف العمران
 وأنواعه ذاكرة بناء المدن وشروط تخطيطها ، فضلا عن الجزء السابع الذي امدنا فيه
بجغرافية الاقليم وأهم أقسامة العمرانية واسماء مدنه وقصوره وقراه، بالاضافة الى تعرضه الى
تسمية الاقليم وتمركز القبائل وانتشارها.

5_ بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق أبو عبد الله محمد
الأندلسي، (ت 896هـ)، تحقيق :محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، دون
مكان نشر، . 1977

الذي يعتبر امتدادا لمقدمة ابن خلدون حيث اضاف امورا كثيرة لم يذكرها .
وقد افادنا في ذكر ركائز العمران الاسلامي ، وشروط اختيار مواقع المدن ومواقعها ،
وما مركز وادي ريغ منها .

6_ ماء الموائد المشهور بالرحلة العياشية لأبي سالم عبد الله بن محمد

بن أبي بكر العياشي المغربي المالكي، (ت 1090هـ)، تحقيق :سعيد الفاضلي
وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة،
2006 .

يعتبر هذا المصدر من المصادر الغنية بالمعلومات التاريخية الهامة ، حيث زودنا
بمعلومات هامة عن الصحراء ومسالكها ومدنها وقراها وقلاعها وأسواقها ومساجدها
ومناخها وآبارها ووديانها وسبائخها، والذي احتوى على ذكر لكل من قصور وادي مية
ووادي ريغ والعديد من القصور التي مر بها عبر طريق القصور، وقد احتوى الكتاب على
بعض المسائل الفقهية وذكر للأحوال الاجتماعية والاقتصادية والتي لم تخلو من المبالغة في
بعض الأحيان، وما يلفت الانتباه في هذه الرحلة ما ذكره فيما يخص مئذنة مسجد عبد الله
المغراوي بتماسين وتاريخ بنائها.

7_ رحلة الأغواطي لصاحبه احمد ابن الدين الاغواطي:(ت 1331هـ)،

تحقيق أبو القاسم سعد الله ، المجلة التاريخية ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد
13 ، الجزائر، 1982

أما الأغواطي في رحلته فإنه اكتفى بذكر موجز لقصر تقرت وأهميته بالمنطقة.
وفضلا عن هذه المصادر، إستفدنا من بعض المراجع والدراسات والأبحاث
الحديثة التي خدمت الموضوع نذكر منها:

8_ أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته للأستاذ

الدكتور بن قرية صالح يوسف، الناشر دار الهدى، عين مليلة، 2011

تناول مواضيع وقضايا متنوعة عن المظاهر الحضارية لبلاد المغرب الإسلامي، وقد افادنا كثيرا فيما تناوله في الفصلين الثالث والرابع من الباب الثالث الذين خصصهما للحدث عن العمران الصحراوي واشكاله دراسة ومظاهره من خلال مصادر العمران الإسلامي المغربي كما تحدث عنه صاحب كتاب " القسمة وأصول الأرضين " أبو العباس أحمد بن محمد الفرستائي.

9- ورقات جزائرية ناصر الدين سعيدوني ، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت

لبنان.

وقد قدم لنا مادة ثرية حول الجانب الاقتصادي خصوصا الزراعة، الصناعة، التجارة.

10- التعريف بوادي ريغ تقرت ، لعبد الحميد إبراهيم قادري ، منشورات جمعية

الوفاء للشهيد، 1999 التي تحدث فيها عن جميع الجوانب لمنطقة وادي ريغ تقرت فأفادتنا في الجانبين معا الاجتماعي والاقتصادي

اما الرسائل الجامعية فقد استفدنا منالرسائل التالية:

11- موارد المياه وتطبيقاتها في منطقتي الزاب ووادي ريغ من خلال كتب

القسمة واصول الارضين لعناق جمال ،مذكرة دكتوراه العلوم ، جامعة ابو القاسم سعد الله ،الجزائر، 2، 2015-2016

وقد اعتمدناه في مصادر المياه وطرق الري في اقليم وادي ريغ.

12_ تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية لصاحبها قبالة

مبارك .

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في العمارة الصحراوية، جامعة

بسكرة، 2009-2010

تناولت الرسالة وصف وتحليل مواد وتقنيات البناء لعمارة قصور مثل قصور

الصحراء المنخفضة وخصوصا قصور وادي ريغ . حيث افادنا في مواد و اساليب البناء .

اما المراجع الاجنبية نذكر:

Robert (g)

Voyage à travers l'algérie, Paris, 1887

Reuss (l.m)

Travers l'Algérie . paris, 1984

والذين يظهران ان الفرنسيين بأنهم حملة الحضارة إلى المنطقة في عدة مجالات نذكر منها حفر الآبار الإرتوازية وقد تناولوا وصفا لقصور الصحراء الجزائرية مع التركيز على أهم العادات والتقاليد بالإضافة إلى دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لهذه المناطق. محاولين ربط هذه القصور بالتواجد الروماني بمنطقة وادي ريغ بالرغم من عدم وجود أي دلائل مادية على ذلك.

8- خطة البحث

وللاجابة على الاشكاليات السابقة قمنا بتقسيم بحثنا إلى :مقدمة ومدخل واربعة

فصول وخاتمة.

المقدمة: عرفنا من خلالها موضوع البحث وأهميته ودوافع إختياره وأهدافه، وأهم الإشكاليات المتعلقة به، مع تبيان منهجية الدراسة وأهم المصادر والمراجع المعتمدة.

المدخل: وهو بمثابة دراسة تمهيدية تناولنا فيه البحث التاريخي والنظري انطلاقا من النصوص التاريخية والجغرافية، حيث تطرقنا فيه بالبحث عن الإطار الجغرافي والتاريخي لإقليم وادي ريغ وتضمن المدلول اللغوي والإصطلاحي لإقليم وادي ريغ وامتدادات مجاله الجغرافي، وطبوغرافيته ومصادر مياهه وعناصر مناخه، ثم يليه الإطار التاريخي منذ العصور القديمة وحتى الفترة المعاصرة. ثم تناولنا المفهوم والمصطلح للعمارة الإسلامي حيث تطرقنا الى تعريف العمران وأنواعه وأحكام بناء المدن وشروط اختطاطها، لنعرج الى مفهوم العمارة القصرية

أما الفصل الاول تناول " العمارة الإسلامية بوادي ريغ: "وتطرقنا فيه إلى نشأة وتطور المدن الإسلامية بصفة عامة، ثم التطرق للتعريف بالعمارة الصحراوية وعوامل ظهورها المختلفة في إقليم وادي ريغ من دينية وطبيعية...متناولين اشكالية نشأة العمارة الإسلامية الصحراوية بوادي بقصور وادي ريغ لنتقل الى دراسة مظاهر العمارة الإسلامية بوادي ريغ من حيث تخطيطها وأنواعها وتركيبها.

بينما خصصنا الفصل الثاني لدراسة مجتمع وادي ريغ: متناولين الحياة الاجتماعية والعناصر السكانية المكونة لمجتمعه ونشاطها الإقتصادي، ودوره في صيرورة هذه القصور وانتعاشها مع ذكر للصناعة ولأنواع التجارة، وأهم الأسواق، والصادرات والواردات بالإضافة إلى المنتوجات الأخرى من صناعة وفلاحة.

اما الفصل الثالث فقد حمل عنوان مواد الإنشاء و أساليب البناء: متناولين فيه أهم المواد والاساليب المستعملة ومدى ارتباطها بطبيعة المنطقة وملاءمتها لها. اما الجانب

الزخرفي فتطرقنا الى مواد الزخرفة المستعملة وأهم العناصر الزخرفية ومميزاتها مع التحليل والمقارنة مع ما عرف من زخارف بمناطق أخرى.

وكانت الدراسة التحليلية عنوانا للفصل الرابع :حيث قمنا فيه بدراسة؛ قصور تفرقت مع التركيز على دراسة المسجد الجامع كأهم منشأة دينية من حيث الموقع، وتاريخ البناء، والمخطط، والمكونات المعمارية، ثم أتبعناه بالمنشآت المدنية، مثل المنازل، والمرافق العامة كالشوارع والأسواق التجارية، والمنشآت العسكرية كالأسوار والأبواب.

وأخيرا نتائج البحث :أنهينا البحث بحوصلة تضم مجموعة من النتائج المستخلصة من هذا العمل. ولتزداد الفكرة وضوحا وثراء أتبعنا الدراسة بقسم خاص بالخرائط والأشكال والصور واللوحات التي ستساعد لا محالة في إيصال الأفكار إلى القارئ الكريم، وفهارس للأعلام والأماكن الواردة في البحث، وقائمة للمصادر والمراجع التي تم اعتمادها في البحث.

ولأن البحث العلمي لا يخلو من الصعوبات ، فقد واجهنا مشكل التأريخ للمعالم المدروسة ،واندثار عدد من المنشآت التي اخترت علينا انجاز البحث، كذلك نقص المادة العلمية خاصة منها المصادر التي تفدنا في بعض فترات المنطقة المدروسة.

و في آخر هذا العمل نرجو أننا قد وفقنا في الإلمام بجوانب الموضوع، وهو إن لم يكن بحث كامل الجوانب متسع الأرجاء ونتمنى ان يكون لبنة في صرح بناء حضارة المغرب الاسلامي ، وأن يفتح آفاق البحث والدراسة في عمران الآثار الصحراوية.

كما لا يسعنا إلا أن أتقدم بشكر خاص إلى الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور صالح يوسف بن قرية الذي لازم هذا العمل منذ كان فكرة الى أن اصبح على هذه الصورة قراءة وتوجيهها، ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته القيمة طيلة مشوارنا العلمي ونتقدم بجزيل الشكر وعظيم الإمتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل الذين تجشموا الصعاب وقضوا وقتنا طويلا في قراءة هذا العمل الذي بين أيديهم نسأل الله السداد والتوفيق في هذا العمل ، فإن أصبنا فمن الله ، وإن أخطأنا فمن انفسنا والشيطان

طرطاق الوردي

مدخل عام

اولا - جغرافية وادي ريغ وتاريخه

ثانيا : العمران الإسلامي المفهوم والمصطلح

ثالثا - مفهوم العمارة القصرية

قبل أن نعرض إلى مناقشة تسمية بلاد ريغ فلا بد لنا من التنويه إلى أن هذا الموضوع الشائك لم ينل حظه من البحث والدراسة من قبل المؤرخين والباحثين، باستثناء بعض المحاولات، نذكرها فيما يلي:

لقد اختلف الجغرافيون و الرحالة والمؤرخون العرب القدامى في أصل التسمية ، فقد سماها ياقوت الحموي في معجمه بالزاب الصغير أو ريغ وهي كلمة بربرية معناها السبخة، فمن كان منها يقال له الريغي¹.

بينما ابن سعيد سماها ببلاد ريغة ، حيث يقول: ((...وفي شرقها بلاد ريغ طولها نحو خمسة أيام وهي بلاد نخل ومحضات ومياه تنبع على وجه الأرض فيصعد الماء كالسهم إلى أمد طويل و يهيم في المزارع...))².

أما ابن خلدون فسماها في تاريخه ” بلاد ريغ ” أو ” أرض ريغ ” و هو الاسم الذي عرف به عبر تاريخه منذ نشأته، وأرجع هذه التسمية إلى قبيلة ريغة إحدى بطون مغراوة ، والتي تنتمي إلى القبيلة البربرية الكبرى زناته ، إذ يقول ((...وأما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة...ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب و وركلا ،فاختطوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب إلى الشرق ، ويشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة...وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء ومن سنجاس وبني يفرن وغيرهم من قبائل زناته...))³.

أما العدواني فقد أرجع تسميتها- حسب رحلته إلى المنطقة - إلى رجل إسمه ريغ ، حيث يقول: ((..ثم قلت له اخبرني عن وادي ريغ، ولما سمي ريغ؟ وعن مسكنه؟ قال لي: يا سيدي

¹ ياقوت الحموي، معجم البلدان ،تحقيق محمد امين الخانجي، المجلد 3 ،دار صادر ،بيروت ،1977م، ص124

² ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ،ت إسماعيل العربي ،بيروت ،المكتب التجاري للطباعة والنشر ،1970، ص190.

³ ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني، ج7، ط2، 1961، ص63

ريغ اسم رجل يقال له باهوت بن شملخ بن كعب بن غاوية، من ولد أندلس بن يافث بن نوح...¹ .

وبناء على ما سبق استعراضه من نصوص حول وادي ريغ ، فاننا نستبعد النسب الذي طرحه العدواني لان النسابون يذكرون ان ابناء يافث بن نوح ، عليه السلام هم ، يونان ، والصقلب ، والعبدر ، وبرجان ، وجرزان ، و فارس ، والروم² . وريغة هو اقليم بقرب من قلعة بني حماد بالمغرب³ ، وقرية بقرب مليانة من جبل الونشريس⁴ ، ومنها نستطيع القول ان المصطلح يطلق على اية منطقة تكثر بها السبخة وهذا وفقا لمدلولها البربري ، وريغة هم قبائل بربرية ارجح ان الاقليم سمي باسمهم ، لانه من عاداتهم تسمية البلدة باسم القوم الذين يسكنونها ، مثل تسمية بلاد البربر نسبة الى قبائل البربر.

اولا- جغرافية وادي ريغ وتاريخه:

1: الاطار الجغرافي: [انظر الخريطة رقم 1]

من المعروف ان اقليم وادي ريغ كان ملتقى تجمع واستقرار بشري منذ العصور القديمة ، وقد شكل بحكم موقعه الاستراتيجي - يقع ضمن إطار يتميز بطبيعته الصحراوية، كجزء من الصحراء الكبرى، يبدأ من مشارف الأطلس الصحراوي جنوبا، وأطراف الهضاب العليا- همزة وصل بين حواضر المغرب الاسلامي ، بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب.

¹ محمد بن محمد بن عمر ،العدواني، تاريخ العدواني ، ت أبو القاسم سعد الله ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 1996، ص138

² ياقوت الحموي ،المصدر السابق، ص416

³ المصدر نفسه، ص113

⁴ أبو عبد الله بن النعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس ، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ، 1980 ص280

و تؤكد الدراسات الجيولوجية أن هذا الامتداد الواسع المتكون أساسا من الحمادات، والعروق، كان محالا رطبا بعد انحسار العصر الجليدي الأخير.

ويقسم الجغرافيون الصحراء الشمالية الى قسمين، الصحراء المنخفضة ، والصحراء المرتفعة، ونلاحظ بان اقليم وادي ريغ يقع في قلب الصحراء المنخفضة ، وهي منطقة ارتوازية غنية بالمياه الجوفية و التي كانت مهدا لنشأة الواحات.¹

ضمن هذا الاطار العام يقع اقليم وادي ريغ ، في الركن الشمالي الشرقي للصحراء الجزائرية، او ما يطلق عليها الجغرافيون بالصحراء المنخفضة التي تمتد من سفوح الجنوبية للاطلس الصحراوي شمالا، حتى تخوم الهضبة الوسطى التي تنتهي الى مرتفعات المقار جنوبا ، ومن الشرق منطقة الجريد التونسية وهي امتدادها الطبيعي.²

ويعتبر وادي ريغ أحد المكونات الرئيسية للصحراء المنخفضة التي تضم مناطق الزيبان ووادي سوف ومنخفض ورقلة، فهو إقليم مستطيل الشكل طوله حوالي 160 كلم وعرضه يتراوح بين ال 30، وال 40 كلم، ويبدأ شمالا من عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور، وينتهي جنوبا بقرية (القوق) قرب بلدة عمر جنوب تقرت.³ [انظر الخريطة رقم3]

فبالنسبة للموقع الفلكي لاقليم وادي ريغ فهو يقع بين خطي طول 7 درجات شرقا، و5 درجات غربا ، وبين دائرتي عرض 34 درجة شمالا ، و32 درجة جنوبا .

أما موقعه الجغرافي فالإقليم يحده من الشمال شط ملغيغ، ومن الجنوب ورجلان، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير، ومن الغرب منحدر حصوي وهضبة وادي ميزاب⁴، ويبعد ب

¹ أنظر Edmond Sergent , « le peuplement Humain du Sahara », Institut Pasteur d'Alger, T31 , Alger, 1953, p 23

² رضوان ، شافو، مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي 1852-1875 م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر ، 2006-2007، ص 14

³ عبد الحميد إبراهيم قادري ، التعريف بوادي ريغ، تقرت ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، 1999، ص 1

⁴ انظر Bouzid Touati, «Les Potentialités Hydrique et la Phoneniciculture Dans La vallé de L'oued Righ, Bas-Sahara Algérienne » Thèse de doctorat de

618 كلم عن جزائر بني مزغنة "الجزائر العاصمة"، و161 كلم عن ورجلان، و171 كلم

عن حاسي مسعود، و95 كلم عن وادي سوف، و220 كلم عن الزيبان بسكرة¹.

تضم منطقة وادي ريغ أكثر من خمسة وثلاثين مدينة وقريّة ودشرة تشكل واحات وادي

ريغ ومنها: [انظر الخريطة رقم 3. الصورة 1]

1- منطقة المغير التي تضم كلا من: (أم الطيور، والنسيغة، وسيدي خليل، والبارد

، وتندلة، والمغير).

2- منطقة جامعة التي تضم: (لغفيان، والزاوية، ومازر، وتقديدين، وسيدي عمران،

وتمرنة، وسيدي يحي).

3- منطقة تقرت التي تشمل: (سيدي راشد- اندثرت-، وسيدي سليمان، والهريّة،

ومقر، والقصور، وغمرّة، والمقارين، والزاوية العابدية، وتبسبست، وتقرت، والنزلة،

وتماسين، وبلدة عمر، والقوق).²

وتمثل "تقرت" العاصمة الإدارية والسياسية لمنطقة وادي ريغ، ومدينة تماسين

العاصمة الروحية³ لأنها مقر الزاوية التيجانية.

والمنطقة تمثل ملتقى محورين هامين شمال جنوب وشرق غرب بحكم أنها كانت محطة

هامية للقوافل التجارية وطريقا هاما من الطرق الصحراوية الرئيسية تربط أقصى الجنوب وبلاد

السودان بالشرق الجزائري والجنوب التونسي، ومن أشهر الطرق المعروفة نجد طريق نفطة

وغدامس الذي ينطلق من تقرت ليمر نحو الشمال عن طريق الفيض بسكرة، أين ينظم إليها

3eme Cycle Laboratoire de Géographie Physique, Université de Nanc
1986,p13

¹ محمد الصغير بن لعمودي، تقرت عاصمة وادي ريغ، ط1، المطبعة العصرية للوحات، تقرت، 1995، ص06

² محمد الطاهر عبد الجواد، "تقرت عاصمة وادي ريغ أيام بني جلاب"، الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب، أفريل 1998، تقرت، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، ص48.

³ تماسين مدينة تاريخية تأسست سنة 782 م، 10 كلم جنوب تقرت تشتهر بكونها ثاني مقر للزاوية التيجانية. للمزيد

انظر: معمر علي يحي، الإباضية في الجزائر، مطبعة الدعوة الاسلامية، القاهرة، 1979، ص364

تجار بسكرة لتعود القافلة إلى الجنوب الشرقي نحو كونين أين تأخذ اتجاهين أساسيين إحدهما شمالا باتجاه مدينة نفطة مباشرة ، وثانيها باتجاه سوق غدامس مروراً بمحلة البر الجديد(قرية على الحدود التونسية)¹ [انظر الخريطة 6] ، إضافة إلى ذلك أنها تحتوي على منابع هامة من المياه سمحت بتخصيب المنطقة فهي تحتوي على سبع وأربعين واحة تنتج كمية هائلة من المحاصيل الزراعية.²

و يبدو لي أن هاتين الخاصيتين كانتا من الأسباب التي أدت إلى الحملة الفرنسية على المنطقة بهدف السيطرة على الفلاحة والتجارة الصحراوية.

1-1- التضاريس: [انظر الخريطة رقم 2، 3]

يلاحظ من المميزات الهامة لمنطقة وادي ريع التضاريسية هو البساطة و الاستواء، حيث تتميز بانحدار خفيف من الجنوب إلى الشمال يقدر بـ 1%، يتدنى من قرية قوق جنوباً حتى ينتهي في منطقة الشطوط بالقرب من المغير بارتفاع عن سطح البحر قدره [35 م] في منطقة شط مروان، أما الارتفاع العام فهو 55 م مع مرتفعات بسيطة لا تفوق 300 م، و المنطقة منخفضة حفري عريض يعود إلى الزمن الرابع ذو تكوينات ترايية جيوية تتابع خلاله سبخات ملحية تفيض في فصل الشتاء لتكون بحيرات دائرية الشكل عميقة مصدرها صعود المياه الجوفية، وامتداد الإقليم من الجنوب إلى الشمال محصور بين سطح حثي يعود إلى الزمن الثالث ، أما إلى الشرق منه فيمتد عرق رملي يتكون من تصنيفات كثيبيية هي جزء من العرق الشرقي الكبير.³

¹ انظر CRETTE. (E), «Le Commerce de L'Algérie avec L'Afrique Centrale et les Etat Barbaresques ,paris,1884,p26

² عبد القادر خليفة ، الهياكل الاجتماعية والتحولات المجالية في النزلة- تقرت ، رسالة ماجستير في علم الاجتماع ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2005 ، ص66.

³ أنظر Rouvillois Brigol , « Oasis du Sahara Algérien (Etudes de Photo-interprétation N° 64) » , Institut géographique National , Paris, 1978 , p9

في حوض وادي ريغ يمكن تمييز أربع مستويات متقاربة للتضاريس والترية:

- المستوى العالي:

والذي تمثله انحدارات أو تحدرات ذات قشور جبسية أو جيرية أو أسطح هي بقايا تظهر على شكل تلال ذات تضرس خفيف في معظمها لا تتعدى 300م.

- المستوى المتوسط:

الذي يطبع على العموم بانحدارات تعود إلى الزمن الرابع، أرضها رملية جبسية لكن التضرس غير ظاهر ماعدا بعض المناطق والتي خضعت للتعرية الريحية.

- مستوى ما قبل الشطوط:

يظهر وبشكل منخفض واضح ويتمثل في مساحات مستوية ذات انحدار خفيف.

- مستوى الشطوط:

بحيث تمثل الشطوط المستويات الأكثر انخفاضاً في الحوض وتلعب دور المنخفضات أو الأحواض ، وترتبتها تتميز بمستوى عال من الملوحة بسبب التبخر الشديد.¹ عموماً يمكن تمييز سطح وادي ريغ طبوغرافياً بالمظاهر التضاريسية التالية

العروق :

عبارة عن بحر من الرمال تمتد عبر سلاسل من الكثبان الرملية الكبيرة تغطي العروق الرملية الاقليم بمساحة واسعة قدرها 24007.34 كلم² بنسبة 91.4 % من المساحة الاجمالية اغلبها في القسم الشرقي حيث يصل ارتفاعها ما بين 20 و 80 م وانحدارها من 0 الى 20% .

¹ رضوان شافو، المرجع السابق، ص 20

. الشطوط :

تتمثل الشطوط في بحيرات مغلقة منتشرة في الاقليم تتزود بمياه الامطار كبحيرة مرجاجة بالنزلة وبحيرة تماسين تتميز باحتوائها المياه طوال السنة.

- السبخات :

هي تلك الاماكن المنخفضة مثل البحيرات والمستنقعات التي جفت مياهها واستغل العديد منها في الاستصلاح الزراعي كسبخة الزاوية العابدية وهي مناطق غير صالحة للبناء لكثرة الاملاح والمياه الجوفية الصاعدة¹.

1-2- المياہ :

إن المنطقة في مجملها منخفضة تحول إلى حوض فسيح يتوسطه شكل منخفض طولي تتموضع فيه مجموعة من السبخات التي تمتلئ بالماء شتاء ، وهي في أغلب الظن المناطق التي سمحت بتكوين الواحات نظرا لقرب الماء من السطح، مما سمح بحفر قناة (سنة 1914) على طولها لتصريف المياه الزائدة نحو منطقة الشطوط (مروان و ملغيغ) بالاستفادة من الانحدار الموجود وهو المصرف الوحيد للمنطقة المحصورة بين العرق شرقا و الهضبة الحثية غربا، كما أن المنطقة غنية جدا بمصادر المياه الجوفية إذ توجد أربع مستويات للمياه الجوفية في المنطقة و التي لها أهمية قصوى كونها المصدر الأساسي لمياه الطبقات الجوفية وهي²:

-الطبقة العلوية:

تتكون من الرمل والطين وهي على طول وادي ريغ ويمكن الوصول إلى الماء خلالها بعمق 1 إلى 8 أمتار حسب ارتفاع المكان والفصل.

¹عبد القادر خليفة، المرجع سابق ، ص 17

² المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

- طبقة ميوبليوسان:

على عمق من 30 إلى 70 م تدعى طبقة الرمال يرجع تكوينها إلى الزمن الجيولوجي الثالث وبفضلها تمت زراعة واحات النخيل في وادي ريغ وهي حتى الآن مصدر مياه السقي ،ملوحة مياهها من 3.5 إلى 5 غ/ل.

- طبقة سينونيان:

توجد على عمق يتراوح بين 100 إلى 200 مترا ، تدعى الطبقة الجيرية وهي الطبقة الأقل استغلالا.

- طبقة الألبان:

وتوجد على عمق 1000 إلى 1700 مترا ،حوالي 1400 م في ضواحي مدينة تقرت ، وهذا الجيب المائي الكبير يكون عن طريق تغلغل مياه الأطلس الصحراوي ، وحرارة مياهها بين 50° / 55° وهي المورد المائي الأساسي لتزويد المدن والقرى في هذه المناطق اليوم.¹

1-3- المناخ:

يمثل المناخ العامل الاول المؤثر في تحريك الظواهر في الوسط الطبيعي واستقراره ، و في تباين الغطاء النباتي ، والنظام الهيدرولوجي ، اي انه عامل مؤثر في المناطق الجافة. ويسود منطقة وادي ريغ مناخ قاري جاف كبقية المناطق الصحراوية ، يتميز بقلة تساقط الأمطار والحرارة صيفا والبرودة شتاء، وينتابه شيء من ثقل الجو الذي يؤثر على النشاط البشري, خصوصا في فصل الصيف.

¹ رضوان، شافو ، المرجع السابق، ص20

1-3-1- الحرارة

يعتبر عنصر الحرارة من اهم عناصر المناخ ، حيث تختلف درجات الحرارة من مناطق الى اخرى ، فهي ترتبط بكمية الاشعاع الشمسي الصادر منها . واقليم وادي ريغ يقع ضمن الصحراء الكبرى الافريقية بين دائرتي عرض 34 درجة شمالا ، و32 درجة جنوبا وبذلك فكمية الاشعاع الشمسي لتلك المناطق تكون كبيرة ، ويمكن ان نميز فصلين واضحين في الاقليم:

-فصل بارد يمتد من اكتوبر الى فيفري وتكون الحرارة منخفضة في شهري ديسمبر وجانفي ما بين 10 إلى 12 درجة مئوية ، أما الدرجة الدنيا ب: 03 درجات مئوية
-فصل حار يمتد من مارس الى سبتمبر وتكون درجة الحرارة مرتفعة في جويلية وأوت الى اكثر 39.5 درجة مئوية.

1-3-2- الأمطار:

ان الاقليم يتميز بتساقطات جد ضعيفة ،أضف إلى ذلك قد تسجل في فترات غير منتظمة فيضانات فجائية تخلف خسائر كبيرة على منطقة وادي ريغ.¹

1-3-3- الرياح

تلعب الرياح دورا كبيرا في التآكل المستمر وتغيير مظاهر السطح بواسطة جزئيات الرمل التي تحملها ، وهي بذلك تساعد على التكوين التدريجي للكثبان الرملية. اذ تتعرض المنطقة إلى هبوب رياح جافة ،وفي بعض الأحيان مثيرة لعواصف هوجاء تصل سرعتها إلى 140 م/ثا غالبا ما تحدث بين شهري أفريل وماي . وعموما يسود وادي ريغ ثلاثة انواع من الرياح وهي:

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري ،المرجع سابق ، ص 2 .

-الرياح الظهر اوية :

وهي رياح باردة ورطبة تهب من الشمال الغربي باتجاه الجنوب الشرقي في فصل الربيع ، تتميز بسرعتها القوية .

-رياح البحري:

تهب من الشرق نحو الغرب خريفا من اواخر شهر اوت الى منتصف شهر اكتوبر وهي رياح كثيرة التردد ومحملة بالرطوبة تساهم في تلطيف الجو.

-رياح السيروكو " الشهيلي":

تهب من الجنوب نحو الشمال خلال فصل الصيف تتميز بسرعة متوسطة ، وحرارتها العالية تؤدي الى اتلاف النباتات وزيادة نسبة الملوحة بسبب التبخر¹.

أما المياه الجارية فوق سطح الارض فهي قليلة جدا فبعض الاودية تجري على اثر سقوط الامطار فينحدر بعضها من الهضاب العليا وبعضها من البوادي المرتفعة فتغور مياهها داخل الرمال اوتصب في الشطوط ، وقد كان لذلك انعكاس مباشر على الحياة النباتية فهي تتميز بشدة تحملها للجفاف والحرارة الشديدة والبرودة القارصة في نفس الوقت ، وتحتاج الى مياه الري باستمرار لسرعة التبخر .وتتوفر المنطقة على مياه جوفية كبيرة شجعت على حفر الآبار والاعتماد على المياه الارتوازية.²

¹ اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 16-17

² غير ستر، كتاب الصحراء الكبرى ، ترجمة خيرى عماد ، بيروت ، لبنان، ص 12

2- تاريخ وادي ريغ :

2-1-العصور القديمة

ان البحث في تاريخ منطقة ما يعتبر من الأمور الصعبة خاصة في الفترات ما قبل التاريخ لقلة النصوص التاريخية ، لكن الأبحاث في مجال علم الآثار تمكن من امادة اللثام على جوانب من تاريخ هذه الفترة وهذا ما انطبق على اقليم وادي ريغ.

لقد كشفت الابحاث ان اقليم وادي ريغ ضارب بجذوره في اعماق التاريخ ، حيث تعاقبت عليه أمم عدة منذ العصور الحجرية ، فقد تم العثور على عدد كبير ومتنوع من اللقى الاثرية جنوب الاطلس الصحراوي- بما في ذلك وادي ريغ باعتباره امتدادا طبيعيا مع اقليم الزاب - تعود الى الحضارة القفصية¹

فالتجمع السكاني الأول كان متكونا من قبائل² ، عاشت على الحدود الجنوبية لليبيا ، اذ ان الصحراء الجزائرية عرفت الاستيطان البشري منذ ما يقرب من أربعين ألف سنة³ ، حيث عثر على نماذج من الصناعات الحجرية الرائعة بمدينة تماسين⁴ تعود إلى العصر الحجري الحديث.⁵ وهذا يعني ان المنطقة كانت ملائمة للعيش والاستقرار البشري في فترة العصر الحجري الحديث ، باعتدال مناخها وكثرة مياهها ، واعتمد في طرق العيش على الصيد والقنص واستئناس الحيوانات .

¹ TISIER (J) . typologie de la pipaliothique de maghreb .m.c.r.a.p.e .paris 1963.p24

² SOUAD Selami ,« Touggourt Esquisse Historique» , Ouargla ,Imprimerie du Sud , 1998 ,p 04

³ عبد القادر حللمي ، جغرافية الجزائر، طبيعية، بشرية، اقتصادية ، الجزائر ،مكتبة الشركة الجزائرية ، ط1، 1968 ، ص122.

⁴ هي مدينة تبعد عن تقرت حوالي 12 كلم ، وهي مقر دائرة تتكون من بلديتين هما : تماسين وبلدة عمر.

⁵ محمد الطاهر عدواني ، دراسة للحضارة في عصور ما قبل التاريخ : الصحراء الجزائرية في العصر الحجري الحديث ، رسالة ماجستير في التاريخ القديم ، جامعة الإسكندرية ، مصر ، 1974، ص129.

وقد عثر الباحثون في الحضارة الفينيقية -القرن السابع قبل الميلاد- على بعض البقايا المتمثلة في شكل قطع ذهبية¹ ما يدل على تغلغل هذه الفينيقيين في المنطقة التي وجدت على طريق التجار الذين قادوا القوافل حتى النيجر جنوبا قرب منطقة الحجيرة²

أما في العهد القرطاجي ، فقد شهدت المنطقة حركة تجارية واسعة بين المناطق الشمالية والصحراوية وأقيمت أسواق نشيطة ومزدهرة على تخوم الصحراء وبالأخص على ضفاف شط ملغيغ من أجل تبادل السلع المختلفة التي كانت تحملها القوافل إلى هذه المراكز.³

ولم تخضع المنطقة للسيطرة الرومانية بحكم أن الاستعمار الروماني لما أنشأ شبكة الأبراج والحصون على امتداد الطرق التجارية توقف عند " برج مليلي " القريب من بسكرة ، ولم يعثر على أي برج عبرمنطقة وادي ريغ للوحدات العسكرية التي كانت تجوب المنطقة لحراسة وتفقد طرق التجارة، ويقول إسماعيل العربي: ((...أنه لم يثبت للرومان أنهم احتلوا منطقة وادي ريغ ، فهم في توسعهم لم يتجاوزوا منطقة الزاب ، بحيث اكتفوا بإنشاء معازل لهم في وادي الجدي عند بسكرة ، فالصحراء لم تكن مغرية لهم فضلا عن كونها مجهولة ومحفوفة بالمخاطر...)).⁴

لكن هذا لا يمنع انه كانت هناك علاقات بشرية بين سكان الشمال والجنوب تتحكم فيه عدة عوامل كالامتداد الجغرافي والعلاقات الاقتصادية والعرقية ، اذ ان قبائل الجيتول استوطن بعضهم الاوراس والبعض الآخر جاب شمال الصحراء⁵ وكان النوميديون في مقاومتهم ضد

¹ عبد القادر خليفة ، مرجع سابق ، ص48.

² هي مدينة تقع جنوب تقرت وتبعد عنها بحوالي 100 كلم ، وقد تعددت الروايات حول أصل تسميتها بهذا الاسم ، وأرجحها إلى الصواب هو أن قصرها القديم الذي بني على روة عالية يلوح في الأفق وعلى مسافات بعيدة ، حيث يظهر للرائي وكأنه حجرة صغيرة ، وتصغيرا لهذه الكلمة أطلق اسم كلمة " الحجيرة".

³ إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999 ، ص41 .

⁴ إسماعيل العربي ، "مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء الكبرى " ، مجلة الثقافة ، عدد62 ، السنة11 ، (مارس- أفريل 1987)، صص43- 44 .

⁵ محمد البشير شنيقي ، "التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية" ، مجلة الاصاله ، عدد 41 ،

الجزائر ، 1977 ، ص 23

التوسع الروماني في الشمال يستمدون قوتهم من المناطق الجبلية والصحراوية ،لذا عمل الرومان بعزل سكان الجنوب عن سكان الشمال للقضاء على المقاومة بخط الليمس والتي اعتبرها الرومان الحدود الروماني وبسط سيطرته على الطرق بين الشمال والجنوب¹ وعلى المسالك للاستفادة من التبادل التجاري لأنها بمثابة سوق هام للشمال الخاضع لسيطرة الرومان ولم تتوقف الحروب بين الرومان والبربر حتى تم عقد صلح بين الطرفين يقضي بسيطرة الرومان على الاقاليم الساحلية بينما الجبال والصحاري للبربر² بينما استمرت الثورة في الجنوب حتى نهاية الحكم الروماني للبلاد سنة 43 م³.

2-2- انتشار الاسلام في المنطقة: [انظر الخريطة 5]

إن المعلومات عن وصول الإسلام إلى إقليم وادي ريغ غامض لندرة المصادر ، غير ان بداية الفتوحات الإسلامية الحقيقية كانت على يد عقبة بن نافع عندما ولي على رأس جيش الفتح الإسلامي في ولايته الأولى سنة 46 هـ⁴ واختط القيروان سنة 50 هـ⁵ كقاعدة امداد ليواصل الفتح ، ففتح غدامس وتوجه نحو اقليم الجريد حتى وصل توزر⁶ ومن هناك انتشر الإسلام عبر كافة المنطقة.

Potter (r) , histor de sahra , paris , 1947, p125

¹ أنظر

² التيجاني ابو محمد عبد الله ، رحلة التيجاني ، تصحيح حسن عبد الوهاب ، تونس ، 1958 ، ص160 انظر ايضا

: القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ج5، القاهرة ، ص116

³ محمد البشير شنيقي ، المرجع السابق ، ص24

⁴ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ج1 ، شركة الامل للطباعة والنشر ، ص262

⁵ حسين مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته ، ج1، ط1 ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1992 ،

ص88

⁶ ابن عبد الحكم ، المصدر السابق، ص ص262-264

ان الكتب ومختلف الدراسات التي تناولت مواضيع الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي لم تتناول في طياتها تاريخ دخول الاسلام الى الاقليم ، ولم تذكر في المسالك والطرق التي مرت بها حملات عقبة بن نافع او حسان بن النعمان اية منطقة او قرية من وادي ريغ .
ومن المعروف بأن هناك عدة عوامل ساعدت على إنتشار الإسلام في الصحراء ومنها قوافل الحج إلى بيت الله الحرام و التجارة ، سالكين مناطق الجريد والقبلات التجارية و بسكرة قبلة بجاية و واركلي قبلة الجزائر والاهمية الكبرى لها ان هذه المناطق هي طرق ومحطات التي تعبر المغرب من طرف الى طرف بعيدا عن الشريط الساحلي لأنها اقصر ، لأنها تسير في حماية قبائل البادية لان القوافل بالنسبة لها موارد حياه ، لهذا كانت الطرق الصحراوية في المغرب اهمية اقتصادية وعمرانية كبرى ، وتعتمد القوافل على عيون مياه تسمى الحاسي وجمعها احساء او آبار مثل حاسي مسعود، كما أن قوافل التجارة كثيرا ما يكون فيها الفقهاء والعلماء¹ .

بالاضافة إلى ذلك الهجرة من الشمال إلى الجنوب ، وأهم القبائل التي هاجرت على نطاق واسع هما قبيلتا زناتة وصنهاجة بمختلف فروعهما²، اذ ان عقبة بن نافع خلال فتوحاته في المغرب الاوسط احدث اضطرابات لقبيلة زناتة وذلك بتراجعها باتجاه الصحراء والواحات³. وهذا لا يعني ان هذه القبائل اعتنقت الاسلام .

ان دراسة تاريخ وادي ريغ عملية صعبة جدا ومعقدة، نظرا لمحدودية المعلومات التي اوردتها المصادر حول اقليم وادي ريغ ، اذ ان الفتوحات الإسلامية وطرق دخول الاسلام الاقليم تبقى غير واضحة ، لكن ذلك لا يعني امكانية بلوغ الجيوش الإسلامية الى هذا الاقليم خاصة وانها وصلت اقليم الزاب .

¹ حسين مؤنس، المرجع السابق ، ص32

² اسماعيل العربي ،مسالك الاسلام ، المرجع سابق ، 44.43

³ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص98

وبالرغم مما قيل عن تاريخ اقليم وادي ريغ فاننا لانعرف شيئا عنه في ظل غياب كامل النصوص التاريخية و الابحاث الاثرية ، حيث ان اغب المراجع تناولت بالدراسة اقليم وادي ريغ بداية من قيام الدولة الرستمية 160هـ مع محدوديتها. ليظل تاريخها غامضا طيلة هذه الفترة ،وبالتالي يبقى التسائل مشروعا حول عدة نقاط حول الظروف الدينية كمعتقداتهم وطريقة اعتناقهم الدين الاسلامي ، الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية... لذا سنتطرق لتاريخ المنطقة في الفترة الاسلامية انطلاقا من قيام الدولة الرستمية.

دخلت منطقة وادي ريغ تحت حكم الدولة الرستمية منذ تأسيسها عام 160هـ /777م على يد عبد الرحمن بن رستم وعاصمتها تيهرت¹ فعم سلطانها جل المغرب الاوسط ماعدى الشمال الشرقي الذي استمر خاضعا للأغالبة بتونس، وناحية تلمسان غربا ظلت خاضعة للأدراسة بالمغرب².

وفي عهد الامارة الرستمية(160-296هـ)، عرف المذهب الاباضي انتشارا واسعا بمنطقة وادي ريغ ، و ورقلة، ووادي سوف ، و اقليم الزيبان ، ما بين القرنين الرابع والخامس الهجريين،العاشر والحادي عشر الميلاديين ، فقد كان لهم تأثير واضح على الاقليم من خلال بناء القرى والقصور كقرية جالو قرب قوق 20كلم شمال تقرت ، كما سيطروا على طرق القوافل التجارية بين ورقلة وقفصة حتى النصف الثاني من القرن الثالث هجري ، التاسع ميلادي ، وهو تاريخ بداية التراجع والاضمحلال لتلك الدولة ، حيث استغل ابو عبيد الله الشيعي ظروف الانقسام والتنافس داخل الدولة الرستمية ليقصد تيهرت فخرج اليه اهلها ووعدوه بتسليم المدينة ، كما خرج اليه اهل البيت الحاكم واستقبله مسالما،وهكذا سقطت تيهرت في يد الفاطميين على يدي عبد الله الشيعي سنة 296 هـ/909م ،والتي كانت

¹ محمد عيسى الحريري ،الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي "حضارتها وعلاقتها بالمغرب والاندرلس 160هـ -296 هـ"، ط2 ،دار القلم للنشر والتوزيع،1987 الكويت ، ص92

² عبد الرحمن الجليلي ، تاريخ الجزائر العام ، ط4 ، ج1 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1980 ، ص166

حدودها الصحراء الكبرى الى وادي ريغ و ما بعد ورجلان¹ في هذه الاثناء فر العديد من أتباع المذهب الاباضي الى الجنوب الشرقي خاصة وادي ريغ ووادي مية حيث تم بناء مدينة سدراة التاريخية² واستمر الحكم منذ تأسيس الدولة الفاطمية الى ان انتقل الخليفة المعز لدين الله الى مصر سنة 362هـ ليبدأ تراجع هيمنة هذه الدولة حيث بدأ ضعفها.

وخلال فترة ضعف الدولة الفاطمية التي عاشها³ ، سكان وادي ريغ وعانوا هذه الاضطرابات لأنهم كانوا يدينون بالمذهب الاباضي لذلك عمل الجيش الفاطمي على اخماد تلك الثورات فألحق أضرارا بليغة بالسكان والعمران.

ومع قيام الدولة الحمادية سنة 408 هـ /1016 م اصبح وادي ريغ تابعا لها بعد هزيمة بني رمان- الذين ثاروا على الحماديين سنة 450هـ /1056م- وهم مشايخ منطقة الزاب، ويمتد سلطانهم الى المسيلة ونقاوس شرقا والى ورجلان ووادي ريغ جنوبا ، الدوسن غربا وبادس شرقا- أمام الحماديين سنة 454 هـ/1062م⁴. في هذه الأثناء تغلغل الهلاليون بالصحراء - بعد استيلائهم على القيروان و هجومهم على المغرب الاوسط منتصرين على زناتة-استقروا في الزاب ودفعوا امامهم القبائل البربرية فارين الى وادي ريغ⁵ ، حيث يذكر ابن خلدون⁶ قائلا: " وجاء العرب الهلاليون وغلبوا على الضواحي كل من كان بها من صنهاجة وزناتة " .

وابتداء من القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي (7هـ،13م) أصبحت المنطقة تخضع لإمارة بني مزني نسبة إلى حاكمها الفضل بن علي بن أحمد بن الحسن بن علي بن مزني

¹ عبد الله محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية "قيامها ببلاد المغرب وانتقالها الى مصر الى نهاية القرن الرابع هـ"، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991 ، ص32

² أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، طبقات المشايخ بالمغرب، ت ابراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، ج2، ص124

³ عبد الله محمد جمال الدين ، المرجع السابق، ص55

⁴ عبد الرحمن الجليلي ، تاريخ الجزائر العام ، ج2، بيروت ، 1980، ص56

⁵ بورويبة رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، الجزائر ، 1977، ص56

⁶ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج7 ، ص98

- التابعة للدولة الحفصية - ، وفي نفس الوقت كانت كل مدينة تخضع لرئاسة أو مشيخة تتولى أمرها ، إذ نجد مدينة تقرت كانت تحت رئاسة يوسف بن عبد الله من ريغة ، ومدينة تماسين كانت رئاستها لبني إبراهيم من ريغة أيضا¹ .

وخلال القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي (8هـ، 14م) عرفت المنطقة عودة انتشار المذهب المالكي عن طريق الشريف سيدي محمد بن يحيى الإدريسي² ، هذا الرجل الذي لازال يذكره أهالي وادي ريغ ، لكونه خلص المنطقة كما يعتقدون من تأثير الإباضية ، والقضاء على الصراعات المذهبية ، وحل النزاعات وفض الخلافات بين السكان.

ومنذ منتصف القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي ، خضعت المنطقة من جديد تحت حكم بني جلاب بقيادة الشيخ سليمان بن رجب المريني الزناتي الجلابي الذي تبرع على كرسي المشيخة - تسمت الإمارة باسمه لأنه المؤسس الأول ، حيث وجد الفوضى والحروب منتشرة في مختلف ربوع وادي ريغ ، فقام بإخماد تلك الحروب وجعل المنطقة تحت حكمه ، ليرثها من بعده أبنائه وأحفاده

وهكذا دخلت المنطقة حكم بني جلاب منذ سنة (937هـ/1531م)، واستمرت هذه السلطة أكثر من ثلاثة قرون الى غاية سقوط المنطقة في أيدي القوات الفرنسية عام (1270هـ/1854م)، وقد توسعت سلطتهم أحيانا إلى نفطة بتونس شرقا ، وأولاد جلال غربا ،

¹ الحسن بن محمد الوزان ، وصف إفريقيا ، ت محمد الحجي ومحمد الأخضر ، ج2، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1982، ص 45

² جاء الشريف محمد بن يحيى الإدريسي إلى المنطقة بعد أدائه لفريضة الحج ، فأعجب بها وبسكانها ، فاستقر بها ، وكان رجل صلاح وتقوى ، وهذا ما لمس أهله البلاد في هذا الرجل الصالح فأحبوه وأعطوه لقب " سلطان وادي ريغ " وان كان البعض ينسب سيدي محمد بن يحيى إلى قبيلة ريغة القريبة من سطيف ا ينظر: محمد الطاهر عبد الجواد ، عاصمة وادي ريغ - تقرت- أيام بني جلاب ، الملتقى التاريخي الثالث حول حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ ، تقرت ، 23- 24 أبريل 1998 ، ص 49.

وازدهرت عاصمة وادي ريغ (تقرت) في عهدهم ، إذ عرفت إقبالا كبيرا من التجار التونسيين والمغاربة مما أنعش التجارة الداخلية وطوروا الصناعات التقليدية¹.

وبما أن المنطقة لم تخضع للسيطرة العثمانية ، فقد تميزت علاقتهم بحكام بني جلاب بدفع أتوات سنوية ، واذا مارفضت هذه المناطق تتعرض لهجومات تأديبية من طرف حكام بايلك الشرق أو التيطري ، ولم ينقطع حكام وادي ريغ عن دفع الاتاوات حتى سقوط عاصمة بايلك الشرق على يد الفرنسيين سنة 1837م².

ثانيا : العمارة الإسلامية بين المفهوم والمصطلح

العمارة الإسلامية من أهم الميادين التي تفوق فيها المسلمون ، فقد شيّدوا العديد من العماائر مستمدة أصولها المعمارية ومقوماتها الأساسية من العقيدة الإسلامية. وقد اهتم الكثير من علماء المسلمين بموضوع العمارة والبناء والخطط ، وقد اهتم الجغرافيون والرحالة المرخون بوصف المعالم الحضارية وصفا دقيقا .

1- المفهوم:

لقد تعرض المؤرخون ومفكرو العمران إلى ظاهرة العمران وعرفوها باسماء عديدة. فوردت عند ابن منظور³ ان المدينة من فعل مدن "بالفتح" ، فيقال مدن بالمكان اي اقام به ، والمدينة هي الحصن يبني في اصططمه الأرض ، وكل ارض يبني بها حصن في اصططمتها فهي مدينة - والاصططمة معظم الشيء وتماهه - والنسبة إليها مديني ، والجمع مدائن ومدن ، والعمران له

¹ يمينه حضري ، " الحياة الاقتصادية بمنطقة وادي ريغ " ، الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب ، أفريل 1998 ، تقرت ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد ، ص 81.

² ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، سلسلة الدراسات الكبرى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص ص 230-231

³ محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين ابو الفضل ، لسان العرب ، ج13 ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ص 402

عدة معان منها البنيان والعمارة، فهي مشتقة من الفعل عمر - اي اطال العمر ،وعمر الرجل يعمر وعمر وعماراة وعمر ، وعمره اي ابقاه ن واستعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى البناء الذي ارتبطت به- وبني ¹ .

وكلمة مدينة في الاصل من كلمة "دين" وهي كلمة لها معناها في الارامية والعربية ، والاديان معناها القاضي وعند الاشوريين والاكاديين عرفت بالدين "القانون" ، وتوافق هذه التفسيرات ماورد في القرآن الكريم على اساس صفة التقاضي أي ان الكلمة مشتقة من الدين والملك والقضاء ² يقول الله تعالى في كتابه العزيز "وليكتب بينكم كاتب بالعدل" ³ . "واذا حكمتكم بين الناس ان تحكموا بالعدل" ⁴ .

وصنفها ابن خلدون ⁵ ضمن الاجتماع البشري على انها مرتبطة بفطرة الانسان ، فقال: "...الانسان مدني بالطبع ، اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة، وهو معنى العمران... ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم ، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ، لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم "

اما عند الفقهاء فهي المكان الذي يوجد فيه سلطان يقيم الحدود، وقاض ينفذ الأحكام ، ولذلك فهي ترتبط بمسألة العدالة والقضاء ⁶ . ويذهب بعض الجغرافيين الى نفس المفهوم مثل المقدسي : الذي يقول "كل بلد جامع تقام فيه الحدود وقاض ينفذ الأحكام" ⁷ .

¹ المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 601

² محمد عبد الستار عثمان ، "المدينة الاسلامية" ، سلسلة علم المعرفة ، رقم 128 ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب ، الكويت، اغسطس 1988 ، ص 16

³ الاية 282 من سورة البقرة

⁴ الاية 58 من سورة النساء

⁵ ابن خلدون ، المصدر السابق، ص 27

⁶ محمد عبد الستار عثمان ، المرجع السابق، ص 16

⁷ المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 47

كما تندرج المدن في اطار عملية اعمار الكون ، والاستخلاف في الارض ، وقد ارتبط هذا كله بهدف اسمى وهو عبادة الله تعالى ، حيث يقول تعالى في محكم تنزيله : " قل هو الذي ذرأكم في الأرض واليه تحشرون " ¹. ومنه نستنتج ان الاسلام يحث على تعمير الارض وفق المفهوم الاسلامي.

و العمارة هو بناء معماري وتنظيم عمراني يشغل حيزا من اليابسة ويخضع لعوامل جغرافية في علاقتها بالبيئة المحيطة بها ، وعوامل اقتصادية بحكم انتمائها لنمط انتاج معين ، ولعوامل اجتماعية نتيجة موضعها في النظام الاجتماعي المنظم لها ، والثقافة العمرانية هي ارتباط الوظائف العمرانية في المدينة بنظام المجتمع والقيم النابعة من الإطار الحضاري ².

وقد أخذت العمارة تتبلور عبر المراحل التاريخية للانسان ، الذي حاول تصميم عمائره وفق احتياجاته، فلجأ الانسان البدائي الى المغارات فنظم ورتب فراغاتها حسب احتياجاته ونشاطاته المختلفة ، وبذلك تعرف على المبادئ الاولى للعمارة ³.

وبمرور الزمن تطورت الاساليب والمواد الانشائية في العمارة- خاصة بعد ان عرف الانسان حياة الاستقرار ، فقام بتنظيم الفضاءات الداخلية حسب الحاجة والذوق ونشاطه داخل المسكن- فمن الطين و جذوع النخيل انتقل الانسان الى استخدام الحجر الغير المنحوت ثم المنحوت الى ان ابتكر وسائل انشائية جديدة مثل القباب والعقود والاقبية ⁴.

فهي نتاج النشاط الانساني ، وعمل انشائي تكويني يخدم الانشطة الانسانية ، فهي تعبير وظيفي يوضح تأثير القيم والتقاليد على الحياة اليومية ، اذ ظهرت العمارة نتيجة حاجة الانسان الى التكيف مع بيئته ، وتحقيق الأمان المادي تجاه ظواهر الطبيعة واشباع الحاجات النفسية

¹ الآية 24 من سورة الملك

² اسحاق يعقوب القطب ، "خصائص المدينة والتحضر في الدول الاسلامية" ، مجلة المدينة العربية، العدد 22 ، الكويت ، 1990 ، ص 05

³ زينف مهنا ويسن بحر ، نظريات العمارة ، الكتاب الأول ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992 ، ص 20

⁴ توفيق أحمد عبد الجواد ، تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ، ج3، القاهرة ، 1970 ، ص 2

وإصبحت العمارة فنا لأنها وظفت أغلب أنواع الفنون على أسطحها وفي جدرانها الداخلية والخارجية ، كما أنها توفر فراغات وظيفية لتأدية نشاط محدد¹.

والعمارة هي نتاج التفكير الإبداعي للعقل البشري والتي ظهرت في صورة مجسمات فراغية تحمل من خلالها هوية الشعوب الثقافية لما تحويه من أنواع الفنون المختلفة والمعبرة عن عادات وتقاليد الشعوب².

والعمارة الإسلامية تطلق على المنجزات العمرانية في المناطق التي وصل إليها الإسلام واعتنقت شعوبها الديانة الإسلامية، مستفيدين منهم في بداية عهدهم من تجاربهم وخبراتهم "أي الشعوب التي دخلت في الإسلام"، فتأثر المسلمون بالفن الساساني والبيزنطي³.

وخلال الفترة الممتدة من ظهور الإسلام وإلى نهاية العهد الراشدي ، لم يعر العرب المسلمون أهمية خاصة للفن والعمارة ، لانشغالهم بالرسالة ونشر الإسلام ، ولذلك كانت قضايا الفن والعمارة من الأمور الغير مستعجلة ، لذا فقد ظهرت الأعمال المعمارية الأولى بسيطة وبعيدة عن التعقيد تخطيطا وتنفيذا⁴.

و بعد تثبيت أركان الدولة الإسلامية بدأ الاهتمام بالعمارة الإسلامي ، فتميز عن باقي الحضارات الأخرى من حيث التخطيط الهندسي والتقسيمات العمرانية ، فضلا عن العناصر المعمارية والزخرفة، ومن حيث تركيب نسيجها العمراني ومتطلبات الإنسان وحاجياته.

فمن حيث تخطيط المدينة يشكل المسجد نواة العمارة الإسلامية ومركزها الذي تنطلق منه بقية المنشأة ، باعتباره إلى جانب الوظيفة الدينية فهو منظم العلاقات الاجتماعية ، وحول المسجد المدارس ودور المسلم ومساكن الطلاب والمكتبات ، ثم الأسواق والحمامات والمرافق

¹ محمد علي محمود نصره ، جماليات الكتابات العربية في العمارة الإسلامية ، رسالة دكتوراه ، جامعة حلوان ، 2001، ص20

² اسحاق يعقوب القطب ، المرجع السابق، ص05

³ George Marçais , L'art Musulman , 1^{er} Ed, presse universitaire de France , paris ,1962,p02

⁴ صالح يوسف بن قرية ، علم الآثار والهوية المغربية ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، 2012، ص27

العامّة ، وفي المركز نجد دور القضاء والحكام¹. وابتكرت لنفسها عناصر فنية ومعمارية خاصة بها كالمآذن ، والعقود الخدوية والمفصصة، والمقرنصات بأنواعها ...

لتظهر على اثرها العمارة بمفهومها المعماري الواسع مع الامويين ، الذين اتخذوا من الشام مركزا لهم ، حيث شهد عصرهم نهضة معمارية ، نتيجة للاستقرار السياسي و الرخاء الاقتصادي الذي عم دولة الاسلام نتيجة الفتوحات العظيمة² ، لتعرف تطورا في الانتاجات الفنية والمعمارية لدول العالم الاسلامي بعد ذلك.

فالمقومات الثقافية العمارة الاسلامية تتمحور حول القانون ومؤسسات السلطة ، والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي نتجت عن تطور المجتمع الاسلامي وما ينتج عنه من فنون وعلوم³.

ومجمل القول أن العمران الإسلامي هو ذلك المحيط الذي يستجيب للمقاصد العامة للشريعة الإسلامية ، وليست للمدينة القديمة في بلداننا الإسلامية ، سوى صورة محددة في الزمن والمكان لكيفية الاستجابة لتلك المقاصد ، مما يؤهلها إلى حد ما لاستنباط الحلول لمقتضيات الحياة المدنية في ظل الشريعة الإسلامية.

2- المصطلح :

إن فن تنظيم المدن ظهر وازدهر أثناء فترة الحكم الإسلامي ويخضع تخطيطها إلى قوانين وأنظمة مرتبطة بوضعية المجتمع ، حيث يستجيب فيه الشكل للمضمون، فمكة المكرمة حيث ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، و دعا لنشر الإسلام . كانت منطقة تجمع حضري ذات أهمية

¹ خالد مصطفى عزب ، "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية" ، سلسلة كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الدوحة ، 1997 ، ص ص 47-49-51-55

² صالح يوسف بن قرية ، المرجع السابق، 2012 ، ص 27

³ إسحاق يعقوب القطب ، المرجع السابق، ص 05

،فهي نقطة التقاء تجارة القوافل ومركزا للحج ،ومستقرا للعديد من الأصنام ،كما وضعت أسس المجتمع الإسلامي وتنظيماته في المدينة المنورة فترة هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها. رغم أن الإسلام ولد في الصحراء فهو دين تمدن إذ يجمع بين الدين والتجارة باعتبارهما أساسيان للمجتمع في ذلك الوقت ،حيث ينظم الدين ويوجه عمل الفرد والمجتمع وسلوكهما داخل المدينة خاصة التجارة التي كانت تقوم على الزراعة وبعض الحرف¹.

وعلى الرغم من أن المسلمين الذين خرجوا من بيئة شبه صحراوية قاسية تندر فيها موارد المياه تمكنوا من تأسيس مجموعة من المدن العظيمة ،تمتد من الهند شرقا إلى المغرب الإسلامي غربا ، أي أن انتشار الإسلام رافقه تطور عمراني في ثلاث مناطق أساسية امتد إليها الفتح الإسلامي،"الإمبراطورية الساسانية -بلاد ما بين النهرين وفارس-والإمبراطورية البيزنطية-سوريا ومصر-والمغرب -إفريقيا وإسبانيا-"².

ولرواد الفكر العمراني الإسلامي الأوائل مفاهيم ومعايير أساسية عند اختيار مواقع المدن وتخطيطها ومواضعها ،فابن الربيع¹ يحدد شروطا يجب أن تراعى عند إنشاء المدينة منها:

- أن يسوق إليها الماء العذب حتى يسهل تناوله من غير عسف
- إمكان الميرة المستمدة
- القرب مما تدعوا إليه الحاجة من المراعي والاحتطاب.
- اعتدال المكان وجودة الهواء
- تحصين منازلها
- أن يحوطها بسور يعين أهلها.

¹ السيد الحسيني، المدينة -دراسة في علم الاجتماع الحضري- دار المعارف، القاهرة، 1981، ص14

² -J,François, Tribillon, Ville et Develeppement ,Ed la Découverte Massiah, ,paris, p 21

ثم يحدد شروطاً أخرى يجب أن يراعيها الحاكم عند موضع المدينة وهي: " أن يسوق إليها الماء العذب ليشرّب أهلها ، ويسهل تناوله بغير عسف ، وأن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق ، وأن يبني جامعاً للصلاة في وسطها ليتعرف على جميع أهلها ، وأن يقدر أسواقها بحسب كفايتها لينال سكانها حوائجهم عن قرب ، وأن يميز بين قبائل ساكنيها بألا يجمع أزداداً مختلفة متباينة ، وإن أراد سكانها فليسكن أفسح أطرافها ، ويجعل خواصه محيطين به من سائر جهاته ، وأن يحيطها بسور مخافة اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة ، وأن ينقل إليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها حتى يكتفوا ويستغنوا بهم عن الخروج إلى غيره .

ويذهب الماوردي في هذا الشأن إلى حقوق السكان على الحاكم أو الذي ينشأ المدينة:
- أن يسوق إليها ماء السارية إن تعدت أطرافه إما في أنهار جارية أو حياض سائلة ليسهل الوقوف إليه من غير عسف .

- أن يحوطهم بسور إن تآخموا عدواً ، وإن خافوا اغتيالاً حتى لا يدخل عليه إلا من أرادوه ، ولا يخرج عنهم إلا من عرفوه . لأنه دار لساكنيه وحرز لمستوطنيه² .

ويحدد ابن الأزرق شروط اختياره لموقع المدينة في إطار "جلب المنافع ودفع المضار"³
أما العلامة ابن خلدون فيقول : إن المدن قرار تتخذها الأمم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه ، فتأثر الدعة والسكون ، وتتوجه إلى اتخاذ المنازل للقرار ، ويجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها ، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها . فيحدد مواصفات تمثل

¹ ابن أبي الربيع أحمد بن محمد ، سلوك المالك في تدبير الممالك ، تحقيق ناجي التكريتي ، مطبعة الهدف ، بيروت ، 1978 ، ص 192 ، 193 انظر: محمود البناء ، المدن التاريخية - خطط ترميمها و صيانتها - ط 1 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2002 ، ص 16

² الماوردي أبو الحسن علي بن محمد ، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك ، تحقيق محي هلال السرحان وحسن الساعاتي ، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ، لبنان ، 1981 ، ص 162-163

³ ابن الأزرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق ، د محمد عبد الكريم ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، 1977 ، ص 563

إيجازا بليغا لاشتراطات المسلمين في مواقع المدن إذ يرى أن مخطط المدينة يجب أن يراعى ما يلي:

- أن تحتل موضعا ممتنعا من الأمكنة، على هضبة أو على نهر أو باستدارة بحر حتى يصعب الوصول إليها إلا بعد عبور جسر أو قنطرة
- مراعاة الموقع الذي يتمتع بطيب الهواء للسلامة من الأمراض
- جلب الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزائه عيون عذبة
- طيب المراعي للسائمة فإذا كانت قريبة طيبا كان ذلك أرفق بهم
- أن تحاط المدينة بسور يدفع عنها المضار¹

هذه الشروط أساسية لتشييد مدينة ما لما لها من أهمية في حياة الإنسان، فمنذ القديم، الماء والمرعى يشكلان عاملا أساسيا في نشأة المدينة لذا فإن توفر الماء في موقع التجمع المراد إنشاؤه يشكل خطوة أساسية لتشييد الفضاء الذي سيحوي أفراد المجتمع ولأنه يتصل بالإنسان عن طريق استهلاكه المباشر أو الغير مباشر أو يندرج تحت بعد عقائدي تبلور حول فكرة الطهارة التي أرادها الإسلام للإنسان والقائمة على عنصر الماء الطهور².

أما الميرة فهي ضمان حصول الإنسان: على حاجاتها من الموارد الغذائية بلا عقبات لأن الغذاء يضمن استمرار حياة المجتمع.

أما اعتدال المكان وجودة الهواء: أي أهمية المناخ لاعتبارات صحية حيث يمثل مظهرا من مظاهر تفاعل الإنسان مع بيئته. وأخذه منها وعطائه لها.

وفيم يخص قربه مما تدعوا إليه الحاجة من المراعي وبالاحتطاب وذلك لتوفير مراعي الماشية التي تشكل مصدرا رئيسيا للثروة والغذاء أما الاحتطاب ففيه مصدرا للوقود³.

¹ ابن خلدون، المقدمة، ج3، المصدر السابق، ص 839-840

² تيتوس بركهارت، فاس، في المدينة الإسلامية، ندوة مركز الشرق الأوسط، جامعة كمبريدج، بريطانيا، 1983، ص173

³ ابن جبير، المصدر السابق، ص73

أما ابن أبي زرع فإنه يتفق مع الشروط السابقة الذكر ويضيف شرطا آخر هو السلطان ، إذ يرى في ان السلطان به صلاح حال المدينة وامن سبلها وكف جبابرتها¹. وعموما فإن هؤلاء المفكرين يتفقون في شروطهم على معيار واحد هو ضمان توفير المصلحة للإنسان، بجلب المنافع ودفع المضار. بدراسة وتحليل كل شرط من هذه الشروط على حدة، والقيام بإسقاطها على خصائص مواقع بعض المدن الجنوبية، يتبين لنا مدى أهمية مواقعها كما يلي:

1-سعة المياه المستعذبة:

وهو يراعي وفرة المياه الصالحة للشرب خاصة، والكافية للسكان وما يكفي لزيادة عددهم مستقبلا، إذ بالمياه العذبة تكون الحياة واحساس الإنسان بالراحة والأمان، وقد حققت مواقع المدن الصحراوية هذا الشرط، سواء بتوفرها على الآبار والعيون العذبة أو بمجاورتها للأنهار أو بجلب المياه من المناطق المجاورة، لأن في سوق المياه للمدينة تسهيل مهمة الحصول عليه دون عسف، ومدينة تقرت وقصور وادي ريغ عرفت بكثرة المياه والنخل².

2-إمكان الميرة المستمدة:

وفيه ضمان حصول المدينة على حاجتها من الموارد الغذائية بلا عقبات تحول دون ذلك، لأن توفير الغذاء مطلب أساسي لنشأة المدن واستمرار حياة المجتمع الذي يحركها، ويدل ذلك على البعد الإقتصادي الذي يجب أن يقيم له وزن منذ إختيار الموقع، فالمدن تعتمد على إقليمها في توفير الغذاء أو تحصل عليه من الزراعة أو عن طريق التجارة والتبادل، وما إلى ذلك من أساليب التحصيل، لذلك مرعاة هذا الشرط كانت من

¹ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1973، ص33

² ابن خلدون، العبر...، ج 1، المصدر السابق، ص51

الأولويات، وحققت مواقع المدن الصحراوية هذا الشرط، بدليل أن أغلب المدن الصحراوية عرفت بأنها بلدان خصبة كثيرة الزرع والضرع والبساتين، مثل وارجلان¹، وتقرت وسوف²، التي جمعت أنواع كثيرة من الفواكه والنعم والزيتون والحبوب والنخل واشتهرت بكثرة الخيرات³.

لقد ساعد توفر المياه على إقامة الزراعات المتنوعة في البلاد الصحراوية، كما ساهم قرب المياه من السطح في بعض مناطقها من إقامة الزراعة بشكل أيسر، ففي منطقة سوف كان من أراد غرس نخلة حفر في الأرض قليلا حتى وصل إلى الماء، فيغرسها بحيث تكون أصولها في الماء، ثم يرد عليها الرمل فلا تحتاج إلى السقي أبدا، ويتم معالجتها بعد ذلك بأبعار الإبل وغيرها، وكذلك يفعلون بأنواع الخضر والبقول وسائر ما يغرسونه، وتمرهم أطيب ثمار تلك البلاد⁴.

وساهمت التجارة الصحراوية في ضمان حصول المدينة على الميرة بشكل كبير، حيث كانت مواقع المدن الصحراوية همزة وصل ومحطات عبور التجار، مثل مدينة وارجلان ومدن الزاب التي إشتهرت لكونها همزة وصل ومحطة عبور التجار ببلاد المغرب، فيذكر ابن خلدون أن "واركلا⁵ باب لولوج المسافرين من الزاب إلى المفازة الصحراوية المفضية إلى بلاد السودان،

¹ ياقوت الحموي، ج 5، المصدر السابق، ص 371

² مجهول المؤلف، كتاب الإستبصار في عجائب الامصار، ت سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 224

³ ياقوت الحموي، ج 5، المصدر السابق، ص 381

⁴ العياشي، الرحلة العياشية، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مجلد 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، ابو ضبي، 2006، ص 123

⁵ بني واركلان إختطوا المصير المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة- إلى المغرب، بنوها قصورا متقابلة متقاربة الخط، ثم إستبحر عمرانها فأتلقت وصارت مصرا واحدا. أنظر: ابن خلدون، العبر...، ج

7، المصدر السابق، ص 69

يسكنها التجار الداخولون لها بالبضائع¹، واستمرت فعالية تجارتها خلال عهد العياشي، حيث كانت المنطقة ملتقى القوافل، وسوق السمن، والغنم، والإبل، والزرع، واللحم، والتمر، وهو الحال بالنسبة لمدينة سجلماسة التي تميزت برستاقها الكثير التمور، والأعناب، والحبوب، والفواكه، وموقعها الفسيح لإجتماع الناس والتسوق فيه، فقد كانت نقطة إلتقاء المقيمين بها وحوّلها لتبادل السلع والبضائع²، وكان التبر بها أمكن منه بغيرها من بلاد المغرب لكونها باب لمعدنه³.

وهناك مراكز تجارية صحراوية مثل مدينة سوف⁴، وقرية تسابت أول عمالة توات كان أهلها أهل تجارة، فهي موضع تجارة الخيل والإبل والتمر بأنواعه الكثيرة، وبلد توات هي مجمع القوافل الآتية من تنبكتو ومن بلاد أكيدز من أطراف السودان، ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك شيء كثير، والسلع التي تجلب من الغرب مما هو خرج السودان نافقة في هذه البلاد كالخيل وملابس اللف والحرير⁵.

زد على ذلك إسهام الزراعة الصحراوية في بلاد المغرب الإسلامي في حركية تجارة المنطقة، حيث يذكر ابن خلدون أن فواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب، مثل توات وتكدارين ووركلان⁶ "

وفي الصحراء من وارجلان إلى غدامس معدن حجارة تشبه العقيق، وهذا الحجر (حسب صاحب الإستبصار) يعتبر أنفوس شيء ببلاد السودان وغانة وغيرهما، وهو عند

¹ نفسه، ص70

² محمد حسن العيدروس، المغرب العربي في العصر الاسلامي، دار العيدروس للكتاب الحديث، القاهرة، 2009،

ص490،

³ مجهول الإستبصار، المصدر السابق، ص202

⁴ العياشي، المصدر السابق، ص123

⁵ نفسه، ص ص 79-80

⁶ ابن خلدون، العبر...، ج 1، المصدر السابق، ص45

سكانها مثل الياقوت وأجمل، وربما وجد من هذا الحجر في النادر حجر كبير، وإذا وصل به إلى أهل غانة تغالوا في ثمنه، وبهذه الصحراء أيضا معدن الشب الأبيض الطيب¹.

3-إعتدال المكان وجودة الهواء²:

وهنا تأكيد على أهمية المناخ و الاعتبارات الصحية التي يجب أن ينشأ في كنفها الفرد المسلم، فسلامة هذا الأخير صحيا واجتماعيا مرتبط بسلامة البيئة، والوقاية من الآفات لا تتم إلا إذا روعي طيب الهواء للسلامة من الأمراض، ويتضح لنا ذلك عند النص الخلدوني: وما يراعى في الحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكدا خبيثا، أو مجاورا للمياه الفاسدة، أو منافع متعفنة، أو مروج خبيثة، أسرع إليها العفن من مجاورتها، فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة"، وهنا يبين النص أهمية العنصر البيئي في المنظور الخلدوني، ذلك أن سلامة المدن وبقائها واستمرارها مرتبط بسلامة البيئة المحيطة³، فلا نجد ما يشير إلى عفن هواء قصور وادي ريع أو مجاورتها لمنابع أو مستنقعات متعفنة، بل جاءت محاذية للأخبار أو وسط واحات النخيل أو مجاورة لها مثل تقرت ، تمرنة ، المغير ، تماسين.

¹ مجهول، الإستبصار، المصدر السابق، ص 224-225

² إهتم المسلمون أيضا لاعتبارات الصحة والمناخية عند اختيارهم لمواقع مدنهم الجديدة، فعند إنشاء مدينة واسط طلب الحجاج من أصحاب العلم والدراية في قضايا الصحة والزراعة والري والتجارة اختيارهم موقع مناسب لها، وطلب منهم أن يكون المكان مرتقعا وعلى نهر جار عذب، وأن يكون مناخ المنطقة جيدا وطعامها سائغا، وعدت "جودة الهواء" من المي التي أشاد بها الجغرافيون في حديثهم عن الصفات الحسنة للمدن، ومنهم من دلل عن ذلك بأدلة عدة من المقاييس التي كان تعتبر نافعة في معرفة طيب هواء الموقع أو فساده، فقد ذكر القزويني مثلا في حديثه عن صنعاء مدلا على صحة هوائها أن " اللحم يبقى بها أسبوعا لا يفسد"، وذكر عن طليطلة أنه " من طيب تربتها ولطافة هوائها تبقى الغلات في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير"، وعندما تحدث عن أصفهان ذكر " أنه لطيب هوائها يبقى بها التفاح غضا سنة والحنطة لا تسوس واللحم لا يتغير". لمزيد من المعلومات راجع: يحيى وزيري، "العمارة الإسلامية والبيئة"، عالم المعرفة، ع 304 ، مطابع السياسة، الكويت، 2004 ، ص 94

³ ابن خلدون، العبر...، ج 1 ، المصدر السابق، ص 290

4-القرب مما تدعو إليه الحاجة من المراعي والإحتطاب :

وذلك لتوفير مراعي الماشية، التي تشكل مصدرا رئيسيا للثروة من ناحية، ومصدر للغذاء والنتاج والضرع من ناحية أخرى، ووسيلة نقل وحمل وركوب، أما الإحتطاب فيه مصدر الوقود الأساسي بل الوحيد تقريبا في ذلك الزمان، إضافة إلى إستخدامه مادة بناء، ونلاحظ وجود مراعي طيبة وقريبة بشكل نقاط منتشرة في الصحراء، مثل مراعي القليعة بين توات و وارجلان ومراعي هضاب وأودية وادي ريغ وغديرها وهي حسنة للإبل¹، في حين توفر الواحة بأشجارها المختلفة لسكان مدن وقصور وادي ريغ الحطب كوقود للنيران في الطبخ والخشب للبناء.

5-تحصين المنازل من العداة واحاطتها بسور يعين أهلها:

الأمن ضروري للإستقرار واستمرار المدينة وحماية سكانها من الأخطار الخارجية التي تهدد أرواحهم، فتحصين المنازل وبناء الأسوار فيه دفع للأذى وحمايه للأنفس والخيرات والممتلكات، ومثلما وفرت مواقع العمران الصحراوي للسكان حاجياتهم من الغذاء والمشرب، ومكنتهم من ممارسة الأنشطة الإقتصادية مثل الزراعة والتجارة وغير ذلك من حاجيات الإستقرار والحماية، حققت لهم إمكانية صد الخطر الخارجي، فتم إختيار أحسن المواقع لإنشاء المدن المحصنة مثل سفوح الجبال والمرتفعات، أو العمل على تحصين المدن وزيادة إستحكاماتها الدفاعية في حال تميز الموقع بالإنبساط.

وعلى إعتبار أن الصحراء تتميز بالإنبساط وقلة الجبال والمرتفعات، وأن إنسان المنطقة لا يستطيع الإبتعاد عن منابع المياه أي مجبر على البقاء بالقرب منها، لذلك تم إنشاء بعض القلاع الحصينة على سفوح بعض الجبال مثل قرية القليعة بين توات ووارجلان المحصنة على

¹ العياشي، المصدر السابق، ص113

سفنح جبل من الحجارة الصلبة¹ ، وانشاء العديد من المدن في مواضع غير جبلية ذات إستحكامات دفاعية مهمة² ، أبرزها مدينة وارجلان أهم مدينة صحراوية في بلاد المغرب الأوسط³ المكونة من سبعة مدن مسورة حصينة⁴، إضافة إلى مدن الزاب مثل تهودة، وبادس، وبسكرة، وطولقة، وبنطوس، التي إشتهرت بكثرة تحصيناتها الدفاعية⁵، أما المدن الواقعة على أطراف الصحراء كقصور وادي ريغ فقد أعطها بعدها ووقوعها في المناطق النائية سياج أمان وأمن لها ولساكنيها، مثلما هو الحال بالنسبة تقرت وتماسين، التي زودتا كل واحدة بسور حول القصر.

لقد إستطاع إنسان الصحراء أن يبني نمط عمراي يتوافق والظروف المحيطة به فوصف عمرانه بالصحراوي، أي الطراز الدال على صفات الطابع العمراي والمعماري وحتى الفني لمجال الصحراء الواسع، وبالخصوص طابع وصفات وأشكال ووظائف المدن والقصور الصحراوية⁶، حيث يعتبر العمران الإسلامي الصحراوي بتخطيطاته وبنائه وزخرفته، من أبرز المظاهر العمراي في المناطق الصحراوية عامة، ومنطقة الجنوب الشرقي للمغرب الأوسط

¹ العياشي، المصدر السابق ، ص ص 111-113

² وقد أولى إنسان الصحراء إهتماما كبيرا للجانب الأمني، يتضح ذلك من خلال إحاطة المدن والقصور بالأسوار الضخمة المدعمة بأبراج للمراقبة ، إضافة إلى الخنادق التي تزيد من إستحكاماتها الدفاعية .أنظر :صالح يوسف بن قرية، أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011 ، ص ص 453-454.

³ يذكر بن خلدون أن قبيلة بنو واركلا أحد بطون زناتة هي من أسست أحد أهم المدن الصحراوية ببلاد المغرب الأوسط في منطقة كانت تشكل نقطة إتصال بين الصحراء والساحل .أنظر :ابن خلدون، العبر...، ج7 - ، ص

⁴ البكري، المصدر السابق، ص 371

⁵ مجهول الإستبصار، المصدر السابق، ص ص 173-174

⁶ علي ثويني، معجم- عمارة الشعوب الإسلامية، بيت الحكمة، بغداد، 2005 ، ، ص444

بصفة خاصة¹، فالعمران الصحراوي الذي ميز الصحراء شديدة الحر وقليلة الشجر والجبل والمطر، ممثلا في شكل مدن وقصور وأربطة على مقربة من الواحات ومنابع المياه، والتي إنتشرت كثيرا بالجنوب الجزائري في مناطق ورقلة وواحات وقصوروادي ريغ وسوف والزاب وغيرها.

3- العمارة القصرية:

يعرف القصر في المعاجم العربية بأنه المنزل ، وقيل كل بيت من حجر قرشية² ، لأنه تقصر فيه الحرم "تحبس" ، يقول الله تعالى في كتابه العزيز الحكيم : "تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا"³. ويقول أيضا في موضع آخر : " وبئر معطلة وقصر مشيدة"⁴، أي ما شيد من المنازل وعلا من البنايات الفخمة والواسعة .

مما سبق نلاحظ أن هذه التعاريف اللغوية تقترب من المصطلح المتداول في المصادر والكتب التاريخية التي تتناوله بمفهوم أن القصر هو مقر الخليفة وأفراد عائلته وحاشيته⁵ أي أنه ما شيد من المنازل وعلا، وبصيغة أخرى هو بناية فخمة واسعة، وبالرجوع إلى المصادر التاريخية، فهذا التعريف الأخير يقترب من ما هو متداول بها، حيث يقصد بالقصر مقر الخليفة أو الحاكم، وأفراد عائلته⁶ وبطائنه، وما يضمه من غلمان وخصيان، كما يطلق لفظ لفظ القصر على سكن علياء القوم وأغنيائهم ، تميزت هذه القصور بتخطيطها وفخامة

¹ صالح يوسف بن قرية، أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب...، المرجع السابق، ص453

² ابن منظور ، ج6، المصدر السابق ، ص411

³ الآية 73 من سورة الأعراف

⁴ الآية 45 من سورة الحج

⁵ عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1963، ص121،

⁶ علي حملاوي، "القصر بالجنوب الجزائري" مفهومه ومكوناته"، حوليات المتحف الوطني للآثار، ع 10 ،

مطبعة سومر، الجزائر، 2001، ص32

بنائها وجمال زخرفتها لما كان يوليه الحكام والأفراد من إهتمام وتنافس فيما بينهم، فشيّدوا قصورهم في المدن والبوادي والصحاري، مثل قصور الأمويين والعباسيين والأغلبة وغيرهم¹. وقد تنافس الخلفاء والحكام في بناء القصور الفخمة منذ العصر الأموي - حيث كانت تتميز بالبساطة خالية من مظاهر الترف أيام الخلفاء الراشدين- والتي كانت بمثابة رمزا للثراء، فشيّدوا المباني العالية ذات الأبواب الضخمة، والزخارف البديعة، تشمل قاعات مختلفة الوظائف وساحات ومخازن، ويحاط القصر بمعسكرات الجنود. ومنها ما بني داخل المدينة وأصبح جزءا منها، ومنها ما بني في البادية مخصص للراحة².

وقد ذكرت كتب التاريخ والأدب الكثير من هذه القصور، ولكن هذه الاهتمامات انصرفت الى وصف الترف والزخرفة والجماليات، ولم تعول على التصميم الهندسي الا القليل النادر.

ولكن المبدأ العام الذي قام عليه البيت قام عليه القصر ايضا، فهناك السور الخارجي الذي يخلو من الفتحات، والصحن الداخلي الذي تشرف عليه الاروقة ومن ورائها الغرف في طابق او طابقين³

وعلى العموم كانت القصور معروفة قبل الإسلام في حضارات الشرق واليمن، كما هو قصر غمدان، وعرف تاريخ الإسلام أول قصر في الكوفة بما يدعى قصر الإمارة، الذي بناه سعد بن أبي وقاص متاخما للمسجد الجامع، ليطلقى بناء القصور في العهد الأموي لما توفره من رفاهية لخلفاء بني أمية، والذي كان أول حالة لبناء القصور في العمارة الإسلامية⁴

¹ صالح يوسف بن قرية، أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب... المرجع السابق، ص ص 451، 452

² على حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 16

³ صالح احمد الشامي، الفن الاسلامي التزام وابداع، ط 1، دار القلم دمشق، بيروت، 1990، ص 325

⁴ علي ثويني، المرجع السابق ص 566

ومن ناحية الإصطلاح يختلف مفهوم القصر¹ في المناطق الصحراوية إختلافا كليا عما قدمناه، فالأستاذ علي حملاوي² يعرفه بأنه " :عبارة عن قرية محصنة أو بالأحرى عبارة عن تكتلات سكنية متراسة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية، تنتمي إلى أصول عرقية أو طبقات إجتماعية مختلفة، يحيط بهذه التكتلات أحيانا سور سميك تتخلله مزاغل ومدعم بأبراج، وأحيانا تخلوا بتاتا من مثل هذه العناصر الدفاعية، ولكن تعوض بجدران البيوت الخارجية لتشكّل في النهاية ما يشبه السور يحيط بكافة أرجائها."

او هو جملة من غرف عديدة متلاصقة، تفتح على ساحة داخلية غالبا ما تتخذ شكلا هندسيا كالمستطيل أو المربع أو غيرهما، وتتوزع هذه الغرف التي قد يتجاوز عددها في بعض الحالات ثلاثة على أكثر من طابقين في أغلب الأحيان ، وتمتلك كل أسرة من أسر القبيلة غرفة أو أكثر لتخزن فيها العلف والحبوب والزيت والتمر، وما إلى ذلك مما تحتاجه في حياتها³. وهو يختلف عن تعريف الأستاذ علي حملاوي في جوانب عدة خاصة الوظيفية والإجتماعية والعمرانية.

ومما سبق نستخلص ان تعريف القصر بأنه :الفضاء المشترك المغلق والمقسم إلى مساحات موزعة توزيعا نوعيا، الذي تخزن فيه مجموعة بشرية -ذات المصلحة الواحدة - محصولها الزراعي الموسمي، وتستهمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها اليومية، ووقت الحروب

¹ لقد استعملت كلمة قصر في بعض المصادر التاريخية للدلالة على أنها تجمعات سكنية أهلة بالسكان أو هوجرت من طرف أصحابها،- ويمكن للقصر أن يضم مجموعة من القصور .أنظر :علي حملاوي، القصر بالجنوب الجزائري، المرجع السابق ، ص 32

² علي حملاوي، القصر بالجنوب الجزائري، المرجع السابق ، ص 33

³ عبد الصمد زايد ، عالم القصور بالجنوب التونسي ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقق والدراسات ، بيت الحكمة ، تونس ، 1992 ، ص ص 7،8

للإحتماء من هجوم العدو، وفي هذه الحالة يتشكل القصر من سور فتح به مدخل واحد أو ما يعرف بقم القصر، ولمزيد من الحيلة والحذر يدعم برج أو برجين للمراقبة¹ أما القصبة وهي جوف القصر ، و قصبة البلد مدينته ، والقصبة جوف الحصن يبني فيه بناء هو أوسطه ، و قصبة القرية وسطها².

والقصبة هي المدينة القديمة بعمرانها وعمارتها ومرافقها ، مبنية في أماكن عالية ، والمحاطة بأسوار لصد الهجمات الخارجية، تتخللها أبواب معلومة ، كقصبة الجزائر العاصمة وقسنطينة التي بقيت كل منهما لأزمة عديدة قلب المدينة ، ورمز خصوصيتها.

وتتوفر القصبة على قصور سكنية مخصصة للسلطة وهي تشبه كتلة أو خلية متلاصقة المساكن والمحلات ، تمتاز بضيق أزقتها وتعرج ممراتها نافذة إلى البيوت ، أما المنازل فتفتح على ساحة تتوسطها لتوفير الهواء يحتوي على بئر للشرب .

¹ علي حملاوي، القصر بالجنوب الجزائري، المرجع السابق، ص35

² ابن منظور ، ج 6 ، المصدر السابق ، ص376

وخلاصة القول إن اقليم وادي ريغ يقع في الشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية ، في منخفض مستطيل الشكل.

يتميز بمناخ قاس بارتفاع درجة الحرارة وقلة التساقط ،اما المظاهر التضاريسية فهي تتكون من العروق التي تغلب على الاقليم بنحو 91% من المساحة الاجمالية والمقدرة بحوالي 24007 كلم². والمظهر الثاني يتمثل في الشطوط والسبخات ، الاولى عبارة عن بحيرات مغللة وهذا ما يفسر وفرة المياه الجوفية في الاقليم ، اما السبخات مستنقعات جفت مياهها وهي تتميز بالملوحة ومياهها الصاعدة ، وهذا يعني انها غير صالحة للتوسع العمراني لذا نخلص ان لمؤثرات السطح تأثيرات واضحة في تحديد موضع القرى والقصور بالاقليم.

وبالرغم من قساوة الظروف الطبيعية الا انه عرف الاستيطان البشري منذ اقدم العصور ، ومرت عليه العديد من الحضارات القديمة ، وصولا الى الحضارة الاسلامية بانتشار الاسلام بالاقليم نتيجة لعدة عوامل منها التجارة وتيار هجرة القبائل البربرية كزناتة وصنهاجة من الشمال الى الجنوب ، ليخضع للدويلات الاسلامية مثل الرستميين ، فالحماديين ، ثم امارة بني مزني ، لتخضع فيما بعد لأسرة بني جلاب الى غاية الاحتلال الفرنسي للاقليم.

وتأقلم الانسان الذي قطن هذا الاقليم مع الظروف القاسية من خلال تشييد القرى والمدن ويتكون الاقليم من واحات وقصور تشكل في مجموعها واحات وادي ريغ وتعتبر مدينة تقرت العاصمة السياسية ، اما تماسين فهي العاصمة الدينية لوجود الزاوية التيجانية بها.

ومن هذه المعطيات السابقة فان شكل القصور الصحراوية -بصفة عامة، وقصور وادي ريغ بصفة خاصة- وتنظيماتها الداخلية تتحكم فيه العوامل الطبيع بالدرجة الاولى وعوامل اخرى كالعوامل البشرية أي الثقافية يتميز بها أهل المنطقة.

لذا جاءت القصور الصحراوية تبرز أصلا تاريخيا عريقا، ونمطا عمرانيا متميزا ، يحتفظ بمعالم وطرز معمارية وفنية ونسيج عمراني عتيق، غني بتصاميمه وسمياته القديمة، وهو إرث سكنيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا هاما، تمكن من الصمود في وجه الزمن، وهو عبارة

عن قرى محصنة ذات تصميم هندسي فريد من نوعه، تأثر بالعوامل البيئية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، يتميز بالتراص والتضام والانغلاق، على شكل بيوت متصلة فيما بينها، يتوسطها المسجد الجامع، تتخللها أزقة، محاطة بسور ضخمة و أبراج مراقبة.

الفصل الأول

نشأة العمارة الإسلامية

بوادي ريغ

أولاً: تاريخ ظهور المدينة الإسلامية

ثانياً: نشأة العمارة الصحراوية

ثالثاً: مظاهر العمران الإسلامي وخصائصه بوادي ريغ

مع انتشار الإسلام وتوسع رقعة الدولة الإسلامية وتبعاً للمستلزمات الأمنية والمعاشية للمسلمين ، تم إنشاء وتخطيط المدن التي عمرت بالسكان فيما بعد وأصبحت أسوة بالمدن التي كانت موجودة قبل الإسلام ، وظللت بظل الإسلام في الدولة الإسلامية.

أولاً: تاريخ ظهور المدينة الإسلامية:

لقد عنى المسلمون عناية فائقة بتخطيط المدن وعمرائها ، وكانت لهذه المدن خصائصها التي تتلاءم مع الحياة الإسلامية حيث ارتبطت نشأتها و تطورها بمعايير حضارية إسلامية تأثرت إلى حد كبير بتاريخ الإسلام و تطور حضارته، وهي لم تنشأ عشوائياً بل أقيمت وفق تخطيط دقيق ومحكم يتناسب مع الواقع الذي يعيشونه¹.

قامت حضارة الإسلام على تشجيع البناء العمران، ففتح العرب الأمصار، ومع انتشار الإسلام في الشام، والعراق، ومصر، وشمال إفريقيا والأندلس... ازدهر العمران العربي بصورة واضحة في البلاد المفتوحة وكانت البداية من تغيير النبي صلى الله عليه وسلم اسم يثرب بالمدينة، فالمدينة في اللغة العربية تطلق على المصر الجامع، وتدل على الحضارة واتساع العمران، و"مدن" بالمكان "أقام به"، وتجمع المدينة على : مدائن ومدن، بسكون الدال، وضمها، فإطلاق المدينة على يثرب فيه إشعار بأن الحضارة الإسلامية تشجع العمران والبناء والتوسع فيه .

ومنذ بناء المسجد النبوي بالمدينة المنورة انطلقت حركة العمران العربي الإسلامي، حيث بنيت الدور السكنية في مختلف جهات المدينة وضواحيها، ومن هذا التاريخ اعتبر المسجد هو النواة الأولى في المدينة الإسلامية، والمحور الذي تتفرع عنه المباني المختلفة .

¹ صالح يوسف بن فربة ، علم الآثار... المرجع السابق ،ص27

وتحتل السوق بالمدينة الإسلامية مكانتها البارزة بأجنحتها المتعددة، حيث تختص كل جهة منها ببضاعة معينة، وأماكن أخرى للحرف والصنائع.. وكلما اتسعت المدينة الإسلامية اتسعت مرافقها وأسواقها، وتعددت مساجدها، وفنادقها ومتاجرها¹.

وقد نالت المدن جزء كبيراً من تاريخ الحضارة الإسلامية²، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد منطقة العراق قد شهدت تحولا حاسما بعد معركة القادسية 16هـ/636م، حيث جاءت مرحلة الفتوحات الإسلامية العظيمة للبلاد، مرفقة بنهضة عمرانية تمثلت في اختطاط المدن كالبصرة والكوفة

وكان من الطبيعي أن يكون نصيب العراق من هذه الحركة العمرانية والحضارية شيئا معتبرا، وذلك لقربه من موطن الإسلام ومهد الرسالة واعتباره منطقة حيوية، توجهت إليه أنظار العرب قبل وبعد الإسلام³. بعد حروب الردة، اتجهت الفتوحات الإسلامية إلى الأقاليم المجاورة، ونشطت هذه الفتوحات نشاطا كبيرا في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى أصبحت الدولة الإسلامية تضم الشام والعراق ومصر، واتخذ المسلمون قواعد متقدمة تكفل استمرارية قوة الجيوش فالإسلامية الفاتحة في الشرق والغرب، فأنشئت تلك المدن التي كانت بمثابة معسكرات متقدمة لهذه الجيوش، ومركز إدارية لإدارة الأقاليم المفتوحة⁴ ولقد كان الفاتحون المسلمون في بادئ الأمر إذا ساروا إلى غزو أو فتح اصطحبوا نساءهم وعيالهم، فإذا فتحوا بلدا أقاموا في ضواحيه بخيامهم وأخبيتهم وجعلوا هذا الموضع معسكرهم وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشترط على جنده المقيمين في الأمصار ألا يقيموا في مكان يحول الماء فيه بينهم وبينه حتى إذا أراد أن يركب راحلته إليهم، كذلك فعل عمر بن

¹ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، ج1، شركة الأمل للطباعة والنشر، ص92

² بن يوسف إبراهيم، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1992 ص66

³ حسين عبد الرازق عباس، نشأة مدن العراق وتطورها، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، المطبعة الفنية الحديثة، 1973 ص04

⁴ عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت 1988، ص64

العاص رضي الله عنه في الفسطاط ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في الكوفة و البصرة ، ولما طال المقام بالفاتحين في هذه المناطق اختطوا الأسواق وبنوا المنازل و القصور¹ . ومع استمرار الفتوحات الإسلامية و دعم هذه المدن بالجيوش ، حدث النمو الطبيعي في مدن الأمصار وتمشياً مع توزيع القادمين على خطط قبائلهم زادت الحاجة إلى المساحات التي تتسع لهذه الزيادات السكانية المتتابة ، وتلاصقت الخطط وامتدت المباني لتضييق الشوارع الرئيسية و الثانوية ، فشكل ذلك الشوارع المتلوية و الطرق الضيقة التي اتسمت بها الفسطاط² ومرت البصرة والكوفة وغيرها من مدن الأمصار بالمراحل نفسها ، حيث تحولت من مجرد معسكرات حربية إلى مدن ذات معايير حضارية واضحة. و انتقل المسلمون من تحويل معسكراتهم إلى مدن حضارية ، بعدما كانت عبارة عن خطط موزعة بين القبائل ومبنية بالقصب الذي يجمع عند الغزو على شكل حزم ليعاد استخدامه من جديد بعد العودة من الغزو.

وقد اختلفت المدن الاسلامية من حيث ظروف نشأتها بسبب اختلاف وظائفها ومواقعها ومواضعها والمؤثرات التي تؤثر على نموها وتطورها، هذا الاختلاف لا يتعارض مع المفاهيم النظرية الاساسية التي يجب الاخذ بها عند اختيار المدن وتخطيط مواضعها³ واذا كانت هذه المدن وغيرها من المدن الاسلامية اختلفت في ظروف نشأتها . فقد اختلفت ايضا في فيما بينها في الهدف الذي أنشئت من اجله ، فمنها ما بدأ على هيئة معسكرات حربية كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ، ثم تطورت على هيئة مدينة ، ومنها ما

¹ زيدان جورجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مراجعة وتعليق ، د .حسين مؤنس ج 2 ، دار الهلال ، القاهرة ، ص

175

² عثمان محمد عبد الستار ، المرجع السابق ، ص71

³ السيد محمود البناء ، المرجع السابق ، ص15

اتخذ لأغراض ادارية كواسط ، ومنها ما أنشئ كعواصم وحواضر كبغداد والقاهرة وفاس، ومنها ما كان في بدايته مناطق ارتكاز تحصينية للدفاع. وبمرور الزمن غلب عليها الطابع المدني¹.
يقسم بعض الباحثين المدن الإسلامية إلى نوعين رئيسيين من المدن، مدن ذاتية نشأت وتطورت عبر فترات تاريخية طويلة لعدة ظروف تتعلق بموقعها الجغرافي و مكانتها التجارية لكونها على طرق النقل و التجارة، و مدن مخلوقة كان إنشائها مرتبها بأمر من الدولة أو الأمير كي تكون عاصمة للدولة أو مقرا للأمير، و قد يرتبط وجود هذه المدينة بالدولة أو الأمير².

والجدير بالملاحظة ان الاعمال المعمارية كانت بسيطة بعيدة عن التعقيد تخطيطا وتنفيذا اذ ان المسلمون لم يعطوا اهتماما بالغاً لمسألة الفن المعماري، لانشغالهم بالرسالة ونشر الاسلام، لذلك كانت قضايا الفن والعمارة من الاعمال غير المستعجلة ، يمكن الاهتمام بها بعد تثبيت اركان الدولة الناشئة³.

وانعكس ذلك على نشأة هذه المدن ومراحل تكوينها ، فقد كانت حياة منشئها كرا وفرا انطلاقا من هذه القواعد ، ثم آلت إلى الاستقرار، وبدأت هذه المدن تعتمد على أقاليمها وعلى الجزية والخراج والمكوس الآتية من البلاد المفتوحة، وفي كل ذلك إشارات واضحة إلى عوامل جديدة، ومقومات مختلفة، أدت إلى نشأة هذه النوعية من المدن الإسلامية.
وهكذا اتسعت دائرة الإسلام وتعددت دول المسلمين فصاروا يختطون المدن كنتيجة حتمية لتطورهم الحضاري الزاهر ، حيث أنشئت بغداد و القاهرة و سامراء و الزهراء من المدن الإسلامية التي خلدها التاريخ ودلت عليها آثارها الباقية.

¹ السيد محمود البناء، المرجع السابق، ص16

² عبد الجبار ناجي، "مفهوم العرب للمدينة الإسلامية"، مجلة المدن العربية، نشر المنظمة العربية للمدن، العدد14، السنة

3، ص147

³ صالح يوسف بن قرية، علم الآثار...، المرجع السابق، ص27

ثانيا: العمارة الصحراوية وعوامل ظهورها

عرفت بلاد المغرب الإسلامي في مجملها ظاهرة القصور كظاهرة معمارية تدل على التحضر واستقرار الإنسان في الجهات الجنوبية الصحراوية، فعلى الرغم من شساعة الصحراء وقساوة مناخها لم تمنع الإنسان من أن يجد نمط معيشي في تلك الأماكن البعيدة، كما هو الحال في مناطق الصحراء الجزائرية المعروفة بوجود العديد من القصور والقصبات، والتي تمثل نمط إستقرار وسكن متميز من حيث خصوصياته وتأثره بالمعطيات الطبيعية والإقتصادية وحتى السياسية، والتي تبرز أصلا تاريخيا عريقا، وتشكيلات هندسية عمرانية متميزة. فقد أثارت هذه القصور إهتمام الباحثين في مختلف التخصصات العلمية، كما ألهمت المبدعين في مختلف مجالات الفن والإبداع، ومازالت تثير إعجاب السياح والزوار، كيف نشأت؟ وما عوامل نشأتها؟

تعتبر القصور من المظاهر العمرانية والأثرية المميزة لصحراء المغرب الإسلامي¹ عموما، وصحراء الجنوب الجزائري خصوصا، إذ يتواجد عدد كبير منها في هذه الربوع متشابه إلى حد كبير في البنية العمرانية والمعمارية، مع إختلافات في الوظائف والأشكال، ولفهم هذه الظاهرة وجب البحث في تاريخ نشأتها والعوامل الكامنة وراء ذلك، والإحاطة بالماضي الإجتماعي والسياسي والإقتصادي لها، وكيف أثرت كل هذه العوامل في رسم المعالم

¹ عرفت بلاد المغرب العربي في مجملها ظاهرة القصور كظاهرة معمارية تدل على التحضر واستقرار السكان في الجهات الجنوبية، والقصر هو من أهم المنشآت المعمارية في جنوبي المنطقة المغاربية، إستطاع أن يحقق علاقة متميزة بين السكان ومحيطهم المتميز بالتأثر المستمر بالجمال الصحراوي من جهة وبالبعد على مركز الحكم وما يصحبه من إختلالات أمنية من جهة أخرى، كما تستعمل كلمة قصر بالمغرب العربي بمعنى القرى الطينية على تخوم جبال الأطلس والصحراء الكبرى، أنظر: محمد نجيب ابو طالب، "الابعاد الحضارية لظاهرة القصور بالجنوب الشرقي"، مجلة الحياة الثقافية، ع 212، طباعة أوريس، تونس، 2010، ص 11. أنظر كذلك: علي ثويني، المرجع السابق، ص 566

العمانية للقصر، وهو ما سنحاول البحث فيه من خلال هذا العمل، والذي سنخصصه لقصور الصحراء الجزائرية، لتوضيح عوامل نشأتها وأهم أنواعها ومكوناتها.

ويجد الباحثون صعوبات جمة في مسألة التأريخ لنشأة القصور الصحراوية نتيجة شح المصادر التاريخية وغياب الوثائق -رغم إختلاف بعض الباحثين على وضع تاريخ محدد لنشأة القصور، إلا أنه إتفقت جل الدراسات في إرجاع ظهور القصور إلى حقبة ما بعد الحملات الأولى للفتح الإسلامي، فلو بحثت حول نشأة القصور أيام الخلافة الأموية أو العباسية لاستطعت الحصول على مادة تاريخية مهمة¹.

ان أقدم القصور في وادي ريغ ترجع الى حقب تاريخية قديمة، لكن من الصعب جدا ان نحدد اطارها الزمني، في ظل قلة المصادر المكتوبة من جهة ، ومن جهة ثانية غياب الادلة الاثرية الكفيلة بذلك وهذا لتأثير طبيعة المنطقة التي لا تساعد كثيرا على الإحتفاظ بالشواهد المادية والأثرية.

وللقصر الصحراوي نمط عمراي مميز فهو عبارة عن تجمع سكاني مقسم الى مجموعة من الاحياء تربط بينها شوارع وازقة ملتوية وضيقة لتلتقي في ساحة عامة هي الرحبة ، ويحيط بها سور محصن بأبراج ، ويحيط بالسور خندق يتم عبوره بواسطة ابواب خشبية متحركة كما هو الحال في قصر مستاوة ، وقد يكون السور هو الجدار الخارجي للبيوت مثل تقرت و تماسين وتمرنة².

¹ تميزت هذه القصور بتخطيطها وفخامة بنائها وجمال زخرفتها لما كان يوليه الحكام والأفراد من إهتمام وتنافس فيما بينهم، فشيّدوا قصورهم في المدن والبوادي والصحاري، مثل قصور الأمويين والعباسيين والأغالبة وغيرهم. لمزيد من

المعلومات راجع: صالح يوسف بن قرية، أبحاث و دراسات في تاريخ وآثار المغرب... المرجع السابق، ص 452
² يمينة بن اصغير حاضري ، قصري تقرت و تماسين خلال فترة بني جلاب ،دراسة تاريخية أثرية ، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية ، جامعة الجزائر ، 2001/2000 ، ص66

وقد اطلق على القصور الصحراوية تسميات مختلفة قد تكون منسوبة الى ولي صالح كقصر سيدي خالد أو سيدي راشد ... ا والى اتجاه معين كالقصر الظهراوي والقبلي، أو الى قبيلة كقصر ورقلة وقصر أولاد موسى ... او حسب الاقدمية مثل القصر القديم¹ .

إكتسبت القصور الصحراوية خصائص كثيرة في عمارتها ووظيفتها، إذ أن الفن المعماري الصحراوي قد عرف نمواً وتطوراً كبيرين، إذ أصبح ذا أهمية كبرى في الفترة الوسيطة، حيث اكتسب طابع معمارياً مميزاً ترك بصماته واضحة على فنون إفريقيا وجنوب الصحراء². نتيجة تأثيرات المنطقة الصحراوية و مؤثرات حضارية محلية البربرية، وأخرى جديدة قوامها الاسلام، فجمعت بين الدين والفن والابتكار، بدليل أن العديد من القصور جاءت بطرز معمارية ومعالم عمرانية على شاكلة حضارات كبيرة، مستخدمة مخلفات موادها الإنشائية، ومواقعها قريبة جداً من مواقع مراكز بشرية قديمة، إستطاعت هذه القصور الصمود لمدة طويلة أمام المؤثرات الطبيعية الصحراوية، وعوامل التلف الأخرى كالعوامل البشرية. ومن خلال تتبعنا لعديد المواقع من القصور الصحراوية والمداشر والقرى والمدن العتيقة جنوب الأطلس الصحراوي، حاولنا أن نحصر هذه العوامل في مجموعة من المعطيات التي كانت عاملاً في نشوء القصور ونحوضها، وتخطيطها بما يخدم استقرار الإنسان والمتمثلة فيما يلي:

1-العامل الطبيعي :

إن العامل الجغرافي يعني دراسة المكان باعتباره سكناً للإنسان فعناصر هذا المكان لا تستمد أهميتها إلا بقدر علاقتها به ليتحدد العامل الجغرافي باختيار الموقع المفضل ذو المناخ الحسن من اعتدال المكان وجودة الهواء وسعة الماء والقرب من المرعى والاحتطاب وتوفر المنتج

¹ حملاوي على، قصور منطقة جبال عمور، من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر هجري، رسالة دكتوراه ن جامعة الجزائر، 2000/1999، ص61

² صالح يوسف بن قرية، أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب..المرجع السابق، ص452

الغذائي¹، إذ يعتبر الموقع نقطة جد حيوية بمعناه الطبيعي والبشري فهو أهم عنصر جغرافي مؤثر على القصر ، فالمواد المادية والبشرية للموقع هي الطاقة الحقيقية لأي تجمع سكاني² ويعتبر الماء³ هو العامل الرئيسي للحياة والاستقرار، لذلك أقيمت القصور على مقربة من مصادر المياه كالوديان، التي أخذت تسميتها منها في كثير من المرات كواادي ريغ، وادي مية، وادي سوف، وادي ميزاب ، وكذلك بالقرب من الآبار-أين توجد المياه الجوفية القريبة من السطح-، فحيثما وجد قصر كان قرب منابع المياه ومصادر الجريان السطحي للمياه الموسمية، ونفس الظاهرة لوحظت في معظم المدن القديمة التي بنيت على ضفاف الأنهار وذلك لما كان يشكله الماء من أهمية في حياة أي تجمع سكاني.

كما يوفر الموقع خامات البناء والتي تعطي السمة العامة لأي قصر من القصور فتوفر مادة الطين في كل من منطقة وادي ريغ ووادي مية دفعت بالبناء إلى كثرة استعمال هذه المادة التي أصبحت الصفة السائدة لهذه القصور في حين بنيت قصور وادي ميزاب بالحجارة لتوفرها بالمنطقة ونفس الشيء فيما يخص كثرة استعمال عصي، وخشب أشجار النخيل في البناء لتوفر هذا النوع من النبات بالموقع نتيجة تأقلمه مع المناخ السائد. في حين استعملت أخشاب بعض الأشجار بشكل محتشم لقلتها كشجر الرومان، وشجر المشمش.

وما تجدر الإشارة إليه أن مواد البناء المتوفرة بالموقع تتلاءم والمناخ السائد بهذه المناطق سواء كانت طينية أو حجارة جيرية التي توفر البرودة صيفا والحرارة شتاءا.

¹ ابن الربيع شهاب الدين، سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة وتحقيق ناجي التكريني، ط1 ، بيروت، باريس 1958ص152

² الموسري مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، العراق، 1982 ، ص 123

³ الماء هو عصب الحياة، وعامل لنشوء الحضارات في حالة توفره كما أنه من عامل من عوامل انهيارها في حالة ندرته، لذا جاءت أغلب المدن الإسلامية وحتى القصور قرية من منابع المياه، والتي يكون موقعها بعيد عن مصادر المياه يجلب الماء إليها، أنظر: خالد محمد عزب، "جوانب مجهولة من فقه العمران في الحضارة الإسلامية"، مجلة

العمران والتقنيات الحضريّة، ع1 ، مطبعة الحضنة للطباعة والنشر والبرمجيات، الجزائر، 2009، ص104

وبطبيعة الحال انعكست نوعية المواد المستعملة على تقنيات البناء والتي دفعت بالبناء الصحراوي إلى محاولة إيجاد أنجع التقنيات المناسبة لاستعمال هذه المواد بشكل أسهل ولا يتوقف دور الموقع الجغرافي لأي تجمع سكاني فيما سبق بل يتعداه إلى تحديد شكل القصر الدائري، مستطيل، منحرف ، وحتى مراحل تطوره من حيث طبيعة الموقع والحواجز المحيطة به والتي قد تقف عائقا في وجه تطوره، فالمدن التي تقام محصورة بين ضفة نهر أو واد وتلال أو جبال يكون شكلها طويلا كمدينة البصرة وسامراء، في حين يساعد المكان الواسع الخالي من أي حواجز على اختيار الشكل المطلوب¹.

أما المناخ فيكمن دوره في تمييز هذه القصور من حيث تخطيطه الداخلي الذي يتلاءم وما يتعرض له من رياح رملية ورياح حارة وحرارة مرتفعة صيفا ومنخفضة شتاء، فكان هم الإنسان القصور في الأول وفي الأخير إيجاد السبل المثلى التي تمكنه من الاستقرار والاستمرار في هذه المناطق فكان التخطيط العام يوجه في الغالب جنوب شرق ، كما امتاز التقسيم الداخلي بضيق والتواء الشوارع وتلاصق المباني وهذا ما يتماشى والظروف الطبيعية ونفس الأمر بالنسبة لمواد وتقنيات البناء المستعملة.

كما يشكل هذا الغطاء حاجزا في وجه الرياح التي تعصف بالمنطقة على طول فصول السنة، لتقلل أيضا أشجار النخيل من نسبة ارتفاع حرارة المياه بهذه القصور، فما تعانيه القصور اليوم من تدهور ما هو إلا نتيجة القضاء على الواحة.

¹ الموسري مصطفى عباس، المرجع السابق، ص221

2- العامل الاقتصادي

إنه من البديهي القول إن ركائز العمران بالمنطقة الصحراوية تقوم على البنية الاقتصادية الزراعة والتجارة اللتين أدتا أدوارا كبيرة في نشأة القصور الصحراوية وساعدت على استمرار الحياة وخاصة الفلاحة كالزراعة، والحديث عن الزراعة مقترن بالنخيل. وهكذا احتضنت القصور الصحراوية التجمعات السكنية والتي أوجدت لنفسها مع الزمن علاقة قوية مع فلاحة النخيل حتى أصبحت تنسب إليها، إذ تحيط بهذه القصور واحات النخيل التي تعد مصدر رزق جد مهم لسكانها ، فكانت مصدر رزقهم ، ويقتصر وجود واحات النخيل على المجال الصحراوي الذي يتوفر فيه الماء ، فمعظمهم ينشطون في فلاحة أشجار النخيل التي تلائم وطبيعة المنطقة ولما توفره من غذاء ثابت لسكان هذه القصور كما تعتبر مادة جد مهمة للتجارة سواء مع المناطق التلية أو أقصى الجنوب أو مع بلاد السودان¹. والقصور الصحراوية بصفة عامة وقصور وادي ريغ بصفة خاصة تقع جميعها في خط سير القوافل التجارية فلعب العامل التجاري دورا هاما في نشأة هذه القصور، حيث كانت هذه الأخيرة تؤدي وظيفة الربط بين المحاور الكبرى للقوافل الصحراوية ، فنجد الأبعاد بين القصور متساوية تقريبا مثال ذلك قصور الصحراء المنخفضة ، تسمح بتنقل القوافل في الصحراء الجافة والقاحلة، إذ تقام بالقرب من الواحة لحاجتها إلى الماء والنخيل من أجل دعم الإستقرار.

فكانت كمحطة ومستودعا مؤقتا وسوقا استهلاكية لمنتجات الصحراء والتل وبلاد السودان، فكانت تقرت من أهم المحطات التجارية ونال سوقها شهرة الذي يعقد يوم الجمعة²، فتشكلت بذلك علاقات داخلية وخارجية جد نشيطة ينظمها خط سير يربط بين هذه القصور عرف مع الأيام بطريق الواحات أو القصور والذي كان ينطلق من تافاللت و غدامس ويتفرع

¹ الوزان حسن بن محمد، المصدر السابق، ص135

² الادريسي ، المغرب ، المصدر السابق ، ص85

من و الى تقرت إلى كل من غاط و تماسين و القليعة والأغواط والزيبان¹، والذي كان طريق جد نشيط خاصة في موسم الحج، كما وجد طريق آخر يربط بين هذه القصور لا يقل أهمية عن الطريق السابق عرف بطريق الذهب كما ، كان مصدر جد مهم لتدفق الذهب والعبيد والملح من أقصى بلاد السودان، إذ كان التجار يغامرون للوصول إلى هذه الأماكن رغم المخاطر والمسالك الوعرة لما كانوا يجنونونه من، أرباح كبيرة في كل سفيرة².

فكانت هذه الطرق امتدادا لتاريخ المنطقة، وبنشاطها تنتشر بذور الحياة إذ أن بقاء هذه التجمعات وازدهارها مرتبط بهذه الطرق وذلك لما كانت توفره من رزق لأهالي القصر³ وأي تحول عنها يعني الفناء وهذا ما حدث بالفعل في السنوات الأولى لقرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي عندما عرفت هذه القصور تحول للطرق التجارية و سواحل الأطلس مع اكتشاف الطرق التجارية الجديدة فبدأت هذه القصور في التراجع تدريجيا إلى ما بعد نهاية القرن السابع عشر ميلادي عندما فقدت أهميتها الاقتصادية نهائيا لتبقى مجرد تجمعات سكانية⁴.

3- العامل الاجتماعي والديني

إن خصوصية القصر وعلاقة أفرادها القوية تظهر من خلال القوانين الاجتماعية التي تربط بينهم خاصة القوانين المعمارية والتي بدت بشكل واضح في بناء المنشآت الدينية والمدنية والعسكرية وفي تخطيط قصورهم بتقسيمها إلى عدة أحياء كل واحد منها ينسب إلى قبيلة معينة أو عرش معين ، كما تبدو هذه الخصوصية في تفرع الشوارع الرئيسية إلى شوارع ثانوية

¹ الزبيرى محمد العربي،التجارة الخارجية للشرق الجزائري، في الفترة ما بين،1830.1789م ،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ، 1984، ص156

² أبو عبيد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، تحقيق ، جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003 ، ص74

³ مزهودي مسعود ، الاباضية في المغرب الأوسط ، جمعية التراث بالقرارة ، غرداية ، 1996، ص131

⁴ أنظر Dévise (J) , Routes de commerce échanges en afrique occidentale en retation avec la méditerranée,R.H.E.S ,paris ,1972, p45

(أزقة) ودروب مغلقة تخصص لمجموعة من العائلات تربطها نفس صلة الدم إذ تتحرك النسوة بكل حرية وكان الكثير منها يغلق ليلاً لمقتضيات أمنية.

وبما أن معظم سكان القصر من الطبقة البسيطة إذا ما استثنينا طبقة الحكام وبعض الأعيان فإنه كان لذلك أثره في توجيه عمارة القصر خاصة المدنية منها إذ لا يبد والفرق واسعا بين البيوت الخواص وبيوت عامة الناس إلا من حيث سعة المساحة والأقسام الإضافية واتساع الغرف وكثرت عددها، الى جانب الثراء والزخارف.

وللترايط الكبير بين منشآت القصر كان من الضروري إيجاد متنفس لهؤلاء السكان بإيجاد فضاء واسع تمثلت في مساحات تتوسط الأحياء "رحبة" والساحة التي تتقدم المسجد الجامع والقصبة لتجمعاتهم وإقامة أفراحهم في مختلف المناسبات واتخاذها كأسواق يومية للتزود بما يحتاجونه من منتجات خاصة الفلاحية منها كما لا ننسى دور انتشار الإسلام بالمنطقة في تصميم الوحدة المعمارية إذ كان له أثر كبير في تشكيل العمارة الدينية والمدنية إذ تأثرت القصور بالطابع العمراني للمدن الإسلامية، يتضح ذلك من خلال المكانة المركزية التي أخذها المسجد كمنشأة دينية روحية، تجمعت حوله فضاءات القصور داخل الحيز الذي رسمته الأسوار حيث يعتبر المسجد الجامع القلب النابض في القصر حسب التنظيم المعمول به في مختلف بقاع العالم الإسلامي مع اختلاف طفيف في كونه لا يتوسط القصر كما عهدناه في المدن الإسلامية، كما امتاز كل حي بوجود مسجد لأداء الصلوات الخمس وتعليم القرآن الكريم وأصول الدين .

وبارتباط سكان القصر بأماكن العبادة بعد انتهاء أشغالهم اليومية زودت شوارع المنشآت الدينية بجلسات للتجمع في انتظار أوقات الصلاة ولمناقشة بعض مشاكل القصر كتوزيع أوقات السقي وحل بعض المشاكل الاجتماعية والتي يمكن أن تكون في أغلب الحالات بالقرب من الساحة العامة.

كما يظهر أثر العامل الدين في بناء المقابر خارج أسوار القصر مع تخصيص مساحتها ويجعل لها ما احتاجت إليه من طرق من كل ناحية لتعرف هذه المقابر بوجود أضرحة للأولياء الصالحين والمشايخ الحكام ربما أشهرها مقبرة بني جلاب بتقرت.

أما العمارة المدنية بالقصر فقد تأثرت بالعامل الديني من حيث تخطيطها إذ يراعى فيها خصوصية المرأة كوجود سقيفة تحجب المارة من رؤية ما بداخل الدار وأماكن مخصصة للمرأة كما هو معمول به في بعض بيوت المدن الإسلامية¹.

4-العامل الدفاعي

أغلب القصور والمدن الصحراوية جاء تخطيطها يراعي الجانب الأمني، بدليل اختيار مواقع عالية من جهة، وزيادة الاستحكامات الدفاعية من أسوار وأبراج وخنادق من جهة ثانية²، فأكد أن القصر هو مجال صمم لحماية ساكنيه من الأخطار البشرية في حالات الغزو والمهجوم على القصر، كما أنه يحقق الحماية من المخاطر الطبيعية كالحرارة، والبرودة، والرياح المحملة بالأتربة والرمال.

مما لاشك فيه أن عوامل نشأة القصور تتباين من ناحية الأهمية، إلا أنها جميعها ضرورة لاستقرار الإنسان بالصحراء، ولا يمكن الاستغناء عن القصر لأنه مقر إقامة من استقر بالصحراء لفترات زمنية طويلة، فالقصر قد شكل الاستقرار العمراني الأول، فهو لا يترك لأهله من اختيار غير الانتشار من حوله والالتفاف به .

¹ الموسري مصطفى عباس، المرجع السابق، ص 228

² خالد محمد عزب، جوانب مجهولة من فقه العمران في الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 112

ثالثا: العمارة الإسلامية بوادي ريغ :

يتكون إقليم وادي ريغ من العديد من القصور التاريخية أهمها قصري تقرت و تماسين باعتبارهما النواة الأولى لنشأة العمارة بهما ، وكذا لمكانتهما بين قصور وادي ريغ ، فالأولى تعتبر العاصمة السياسية للإقليم لوجود دار الإمارة بها ، والثانية هي مركز الزاوية التيجانية التي مقرها قصر تماسين. الى جانب قصر تمرنة.

1- اشكالية النشأة والتأسيس

من الصعب تحديد تاريخ نشأة العمران الاسلامي بوادي ريغ ، لأن المؤرخين تطرقوا في كتاباتهم بالوصف لاقليم وادي ريغ دون من دون التطرق الى تاريخ التأسيس والجنس الذي أسسها ، فاختلفت الروايات حول تاريخ نشأة العمران الاسلامي .

فهناك من يرى أنه تأسس من طرف القوم الذين قدموا من المشرق خلال القرن الثاني للهجرة ، القرن الثامن للميلاد ، ويطلق عليهم اسم الحشاشنة¹ ، لكننا لا نستطيع أن نقبل هذه الرواية لأن مصطلح الحشاشنة هو وصف لحرفة الزراعة و غراسة النخيل ، ولا نجد ذكر هذا المصطلح في مصادر التاريخ التي امتلأت بتاريخ هذه المنطقة ، بل إن هذا المصطلح لم يظهر إلى الوجود إلا بعد دخول الاستعمار الفرنسي إلى منطقة وادي ريغ فقبل الاستعمار كان المصطلح الشائع على سكان الإقليم هو مصطلح "الرواغة"²

¹ نسبة الى الحشانة "رجال الحشان" وهي كلمة كانت تطلق على الفلاحين الذين اشتغلوا بجلب فساتل النخيل "الجبار أي النخلة الصغير " من منطقة الزاب قبل انتشار الاسلام في اقليم وادي ريغ ، اذ كانتلغة البربر هي السائدة في تلك الناحية ويقال لهم " آريازان تيزواي" أي رجال النخلة ، انظر : الشيخ محمد الطاهر بن دومة ،مذكرة اخبار تاريخية لواحة تقرت وبعض ضواحيها ...، تحقيق محمد الطاهر عبد الجواد ومحمد السعيد بوبكر ، المطبعة العصرية للوائح ، 1995 ، ص11

² معاذ عمران ، جمال بالفردي ، قصر تماسين القديم أحد المعالم الحضريّة بمنطقة وادي ريغ، الملتقى المغاربي حول المدينة في بلاد المغرب الاسلامي ، من الفتح الى القرن 9هـ، 14-15 افريل 2009 ، قطب الكيفان ، جامعة ابي بكر بالقايد، تلمسان ، ص3

بينما يذهب البعض الآخر الى ان المنطقة لم تعرف الفن العمراني إلا بعد الفتح الإسلامي وبالضبط بعد قيام الدولة الرستمية (160هـ/777م) عندها بدأت تتوافد قبائل زناته وانتشرت في البلاد فاخذتوا القرى والقصور على امتداد الإقليم ، لأن منطقة وادي ريغ كانت خاضعة للدولة الرستمية بينما منطقة الزاب بالشرق التي ظلت خاضعة للأغالبة¹ سبق لنا ان اشرنا الى سقوط الامارة الرستمية (296هـ/909م) حيث انتقل اغلب بقايا الرستميين إلى الجنوب الشرقي ورجلان "ورقلة" ، واخذتوا عدة قرى من بينها تماسين² أما ابن خلدون³ فيرى بأن القصر تأسس من طرف قبيلة ريغة البربرية التي سمي اقليم وادي ريغ باسمها فيقول: ((...وأما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة...ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب و وركلا ، فاخذتوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب إلى الشرق ، ويشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة...وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء ومن سنجاس وبني يفرن وغيرهم من قبائل زناته...)).

أما الحسن الوزان يذكر بان تقرت "مستاوة" بناها النوميديون ، ليكتفي بوصفها على انه شيدت على هضبة يمر على سفحها نهر صغير ، ومحاطة بسور من الطوب ومنازلها بنيت بالآجر المشوي ماعدا الجامع فانه بني بالحجر المنحوت⁴ ، وهنا الحسن الوزان في الحقيقة هو يصف المنطقة ايام حكم بني جلاب.

والحاج بن الدين الاغواطي يصف المنطقة كما يلي : "تعتبر تقرت بلدة الثروة والرخاء ، وهي عاصمة المنطقة ولها نفوذ على اربع وعشرين قرية ، وهي تحتوي على على حوالي اربعمائة منزل ومحاطة بأسوار ولها أبواب ، وهذه الأسوار محاطة بدورها بخندق يمكن مقارنته ببحر من الماء ، وهذا يتصل بعيون ماء تصب جميعها فيه وعلى هذا الخندق ثلاث جسور ، ولمساجد

¹ الجيلائي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام ج1، دار الثقافة بيروت، 1982، ص 166.

² كراسة عبد المجيد بن حبة باحث في تاريخ المغرب والانساب

³ ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 63

⁴ الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 135، 136

تقرت منارات عالية...ومن أعالي منائر البلدة يمكن مشاهدة عدد من القرى وغابات المناطق المجاورة ، فالنزلة ، و تسبست و تماسين و لمقارين والمغير وغيرها من الأربع والعشرين قرية المشار إليها كلها ترى من منائر تقرت صخور ، ولكن منابع المياه فيها كثيرة"¹.

اما العياشي في رحلته فقد تعرض للجانب المعماري لقصر تماسين واصفا اياها بانها " بلدة كثيرة العمارة والنخيل واميرها ابن عم أمراء تقرت وهو كالمستقل في بلده ، وأجزل ضيافة الحاج ، وفي مسجدهم صومعة وثيقة البناء طويلة جدا فيها نحو من مائة درجة على بابها اسم صانعها وهو المعلم أحمد بن محمد الفاسي ، وتاريخ بنائها سنة سبع عشرة وثمانمائة²، ومئذنة تماسين معاصرة لمئذنة تقرت³.

لكن هذا لا يدل على ان نشأة العمران الاسلامي في وادي ريغ كان خلال القرن التاسع هجري باعتبار ان المسجد هو النواة الاساسية في العمارة الاسلامية ، فنشأتها تعود الى زمن سابق لهذا التاريخ ، اذ ان الاسلام انتشر في الجنوب منذ القرن الأول الهجري ، لكن نظرا لظروف الطبيعية واخرى بشرية حالت دون استمرار شواهد مادية تؤكد وتؤرخ تأسيس العمارة الاسلامية بهذه الاقليم . حيث يمكن اعتبار تشييد المسجد خلال القرن التاسع هجري ما هو الا استمرار وتحديد للمساجد الدينية وتطويرا لها عبر مراحل مختلفة ولظروف معينة.

وان ذهب البعض الاخر الى ان القصر تاسس في العهد الجلابي خلال القرن العاشر هـ السادس عشر ميلادي ، حيث يذكر العدوان⁴ : "انه كان رجلا من أسرة بني مرين حكام المغرب الاقصى ، كان كل عام يحج الى بيت الله الحرام ، فكان يأتي الى وادي ريغ لبيع ما فضل من حجه ، وهكذا حتى أتوه أهل الوادي ، فقالوا له : يا سيدنا لو سكنت بقرينا كان

¹ الحاج بن الدين الاغواطي ، رحلة الأغواطي ، تحقيق أبو القاسم سعد الله ، المجلة التاريخية ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد 13 ، الجزائر، 1982 ، ص 78

² العياشي ، رحلة العياشي ، المصدر السابق ، ص 49

³ مختار حساني ، مرجع السابق ، ص 207

⁴ العدواني عمر بن محمد ، تاريخ العدواني ، ط1 ، تقديم وتحقيق : سعد الله أبو القاسم ، بيروت ، 1996 ، ص 139

خييرا لنا ولكن قال لهم :نعم.... فانطلق الى فاس ، وأتى بأهله وماله حتى نزل بالوادي " . وهذا الرجل هو الشيخ سليمان ابن رجب الجلابي الذي كان ثريا واسع التجارة ومتحكما في الاسواق ، فكانت له أفضال على أهل الاقليم¹ ، كانت له امرأتان فجعل احدهن في تقرت ، ووضع الأخرى في تماسين ، وبنى لهما قصران وخلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، اجتاحت المنطقة قحط و ضائقة اقتصادية² الذي اجتاحت ربوع الصحراء ولم يستطع الأهالي كفاية انفسهم ولا تسديد ديونهم للتجار فاستدعى- محمد بن يحيى الريغي شيخ الاقليم-سليمان ابن رجب الجلابي وعرض عليه المشيخة مقابل التنازل وتسديد ديون الاهالي ، فازدهرت المدينة وزاد عمرانها وبنيت أهم معالمها³ .

ومن خلال المعطيات السابقة الذكر، فانه من الأرجح ان نشأة العمران الاسلامي بوادي ريغ لم يكن وليد الجلالبة، وهو رأي مستبعد . بل اسبق من ذلك، لان ابن خلدون زار منطقة وادي ريغ قبل هذا العهد و وصف قراها ، ومدنها ،وسكانها ، وربما كان قبل عهد ابن خلدون غير ان الدلائل المادية ، والكتب التاريخية ، لم تتطرق لها،أضف الى ذلك فان أصل التسمية كان قد اقترن بالقبائل الزناتية ولهجتها ،أما الأسرة الجلابية لم تحكم في منطقة وادي ريغ إلا سنة(937هـ/1531م) على أرجح الاقوال ، أي بعد زمن ابن خلدون بعشرات العقود،غير ان هذا لا ينفي عدم وجود عمارة اسلامية سابقة للعهد الجلابي غير ان مختلف المواد التي بنيت بها والظروف المختلفة عبر الزمن ادت الى اندثار هذه العمائر ، وبنيت على أنقاضها مباني أخرى أحدث. بينما في العهد الجلابي تشكلت مختلف مظاهر العمارة الاسلامية في هذه الفترة لما عرفته المنطقة من استقرار وأمن ساعد على البناء والتعمير المعماري وتطوره ما لم تشهده من قبل .

¹ عبد الحميد ابراهيم قادري ، التعريف بوادي ريغ، المرجع السابق، ص14

² العدواني عمر بن محمد، المرجع السابق، ص139

³ يمينة بن صغير حاضري ، المرجع السابق ، ص36

وارجح أن نشأة القصور بوادي ريغ تزامن مع استيطان بنو ريغة في هذا الاقليم حسب ابن خلدون ، أو قبل ذلك ، أي اثر الهجرة الهلالية وآثارها على بلاد المغرب والتي حددت بالقرن الخامس الى السادس هجري ، الحادي عشر الى الثاني عشر الميلادي .

وننتقل الآن الى التعريف اشهر قصور وادي ريغ المعروفة باسم:

2-قصور وادي ريغ

1-قصر تمرنة : [انظر المخطط3، الصورة 1]

يعتبر قصر تمرنة واحدا من اهم القصور بوادي ريغ ، يقع ببلدية سيدي عمران التابعة لولاية الوادي .ويعد اصل التسمية فهي ترجمة لكلمة "تمرنا " أي التمر لنا ، خاصة وان المنطقة تهتم بزراعة النخيل ونتاج التمور .

لقد شيد هذا القصر على نمط القصور الصحراوية ، حيث بني على ربوة ، وتحيط به واحات النخيل ، وهو قصر قديم بقدم اقليم وادي ريغ حيث ان هندسته المعمارية تتطابق مع الهندسة المعمارية في قصور اقليم وادي ريغ.

ولم تثبت الادلة التاريخية سنة تأسيسه ، ولكن الدرجيني¹ ذكر اسم المنطقة خلال القرن السابع الهجري ،الثالث عشر ميلادي فيقول : "ان ابا اسماعيل البصري عندما راي اهل الدعوة فاجتاز على بلاد ريغ وعلى كدية بني غمرة وهم قوم ظلمة ، فتجاوزهم زنزل -تمرنت- ". غير انه من المؤكد ان نشأة القصر مرتبط بنشأة باقي القصور بوادي ريغ اذا مااعتمدنا على المؤرخ ابن خلدون .

¹ الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ج 2 ، المصدر السابق ، ص413

2- قصر تماسين: [انظر المخطط 2، الصورة 1]

يقع قصر تماسين اما جغرافيا فهو يقع وسط بلدية تماسين حاليا ، يحده من الشمال قرية البحور ، ومن الجنوب تملاحت ، ومن الغرب قرية سيدي عامر ، ومن الشرق واحات النخيل وبحيرة تماسين .

اقيم القصر على ربوة "تلة ارتفاعها ثمانية امتار ، وبطول يقدر باربع مائة متر ، عرض ثلاثمائة متر ، واحيط القصر بخندق واسع-ردم هذا الخندق في فترة الاستعمار الفرنسي - ، وسور عالي.¹

أما عن أصل تسمية تماسين فهناك رواية تقول بأن قوما مسالمين أتوا من الشرق يحملون فسائل من النخيل فلما وصلوا هذه التلة وقع إختيارهم عليها فأقاموا بها وكعادة الرجال الصالحين أخذوا يطوفون حول المكان وهم يقرؤون القرآن لتحصين أنفسهم من شر الانس والجان، وكان آخر ما اختتموا به تلاوتهم تلك سورة يسن ، فقالوا تمت ياسين سميت المنطقة " تمت ياسين" ومع مرور الزمن اختصرت إلى كلمة تماسين². وهي رواية مستبعدة فهي أقرب الى الاساطير منها الى التاريخ فلا يعقل ان يسمى مكان ما في لحظة طواف وتحصين لمنطقة ما.في العادة تسمية المكان تعود لشخصية او قبيلة ما ، او صفة ما تغلب على المنطقة

أما الرواية الثانية أو أصل الكلمة يعود إلى كلمة بربرية كان ينطقها سكان المنطقة (الرواغة) ، وفيها تفسيران ؛ الأول فسرت كلمة تماسين على أنها مركبة من جزئين هما ؛ تمان ومعناها في لهجة زناتة "حاجب" وياسين ومعناها "اثنين"³ ، اي "حاجبين اثنين" ، هذا التركيب لا يدل على أية معنى للمنطقة ولا يمت لها بصلة.

¹ قصر تماسين القديم واهم معالمه الاثرية ، دراسة تحليلية معمارية لتصنيف معالم هذا القصر ضمن المعالم الاثرية الوطنية ، بلدية تماسين ، مارس 1995، ص12

² معاذ عمراني ، اسرة بني جلاب بمنطقة وادي ريغ خلال القرنين 19-20م دراسة سياسية واجتماعية ، رسالة ماجستير جامعة الامير عبد القادر قسنطينة 2003 ص 10 .

³ معاذ عمراني ، اسرة بني جلاب بمنطقة وادي ريغ، المرجع السابق، ص10

على أن هناك رواية أخرى ملخصها أن كلمة تماسين معناها المنطقة التي تكثر بها المياه ، وهي الاقرب بين هذه الروايات بدليل ان المنطقة تتميز بوفرة المياه الجوفية وبحيرات أهمها بحيرة تماسين ، والتي استغلت في مجال الري .

3- قصور تقرت [انظر المخطط 1، الصورة 1]

يذكرها ابن خلدون¹ قائلاً: "وأكبر هذه الامصار يسمى تقرت ، مصر مستبحر العمران بدوي الاحوال ، كثير المياه والنخل" ، وقصرها مستاوة ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة مستاوة الزناتيه التي كانت تشكل أغلب سكان القصبه في ذلك الوقت² تحولت المدينة من مكانها الأول أكثر من مرة كبقية ، المدن التاريخية وحسب الروايات أن أول مكان أقيمت عليه تقرت هي تالة قرب غمره ثم تحولت ناحية سيدي بوجنان، ثم إلى شمال النزلة الحالية في عهد البهجة³ ، وعندما حكم بني جلاب المدينة تحولت إلى المكان المعروف الآن بين باعلوش و النزلة، فأقاموا حولها سورا مبنيا بالطوب، وأحاطوها بخندق واسع

¹ ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج7 ، المصدر السابق ، ص65

² معاذ عمران ، جمال بالفردى، المرجع السابق ، ص04

³ هي التسمية التي طالما عرفت بها تقرت، وحسب ما ترده بعض الروايات الشعبية المتناقلة عبر الأجيال والتي تحكي قصة تأسيس المدينة تقرت، تناقلها المؤرخون الفرنسيون في معظم كتاباتهم عن المدينة والمنطقة، أخذها فيرو بدوره كما صرح به السكان:

« ... تأسيس مدينة تقرت الحالية يعود إلى قصة امرأة تسمى البهجة، لشدة جمالها، كانت تسكن تالة أو تقرت القديمة التي كان موقعها قرب النزلة ، ولما أزعجتهم ممارساتها قرروا طردها من تالة، فقامت ببناء " عشة " بجريد النخل في موقع خارج القرية في موضع تقرت الحالية ، ولما كان ولي صالح يمر بالمنطقة، سيدي بوجملين على ما تذكره الرواية ورفض سكان تالة الترحيب به واستقباله، فلجأ إلى عشة البهجة التي أكرمه وآوته، ولما غادرها، وضع يده على رأسها داعياً لها بأن تعمر عشتها وتصير عمراناً، ومنذ ذلك الوقت تحولت عشة البهجة إلى دار من الطوب وكثرت بقرى المنازل حتى تحولت إلى مدينة وسميت " تقرت البهجة " وغلب عمرانها تالة التي اندثرت . وحتى اسم تقرت التي تعني بالبربرية حسب روايات سكان المنطقة من الذين ما يزالون يتكلمون الشلحية في بلدة عمر قرب تقرت، يؤكدون أن كلمة تقرت تعني عندهم القمر " ثاوورث " . ربما كان ذلك وصف لجمال تلك المرأة. أو الباب " ثابورث " وهو المدخل إلى العمران أو العمارة قوة هذه الرواية الأسطورية في كونها تؤسس لمدينة تقرت الرعاية والحماية من ولي من الأولياء الصالحين "....للمزيد انظر

تحصينا لها من دخول الأعداء وأصبحت هي قصبة السلطان، تضم قصر المشيخة وبيوت القوم والتجار والصناع والأعيان

وتضم تقرت داخلها أكثر من قصبة منها قصبة مستاوة المقسمة إلى أزقة وحاتر وقصبة النزلة القديمة الواقعة جنوب مستاوة، يسكنها أصحاب الملاك العقارية من أراضي فلاحيه وبساتين النخيل، وهذه القصبة أقدم من قصبة مستاوة¹.

أما فون مالتسان فيقول: " كانت القصبة عبارة عن مدينة صغيرة داخل مدينة كبيرة و لها أبواب كثيرة مثل أي مدينة من المدن وفي وسطها بناية كبيرة من الطين هي قصر بني جلاب "².

وبما أن تقرت وقصرها القديم "مستاوة" هو النواة الاساسية لنشأة وتكوين المدينة فقد شهدت نموا وتوسعا عمرانيا عبر مراحل مختلفة يمكن ان نستخلص مرحلتين اساسيتين في هذا التطور .

أولى المرحلتين قبل (990هـ/1582م) وخلالها تشكلت في هذه المرحلة النواة الأساسية للمدينة المتمثلة في حي مستاة الذي ساهم في استقرار السكان ، يشرف على الواحة التي تعد مصدر رزق للسكان ، تخطيطه دائري يتوسطه مسجد وساحة "الرحبة" تربط بين اطرافه والمنازل مجموعة من الشوارع والدروب محاط بسور به ثلاثة ابواب اي انه كان ذا نمط عمراي اسلامي .

أما المرحلة الثانية فتستمر الى غاية (1269هـ/1853م) اي سنة سيطرة الاستعمار الفرنسي على المنطقة، في هذه الفترة شهدت المنطقة انطلاقا حركة التوسع العمراني ، فظهرت

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص 69

² هانريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا، ترجمة أبو العيد دودو ، الجزائر 1980، ص ص 149

عدة قصور سكنية متموقعة على مناطق مرتفعة "كديات" هدفها مراقبة المدينة وتجنب الأخطار الخارجية¹ ومن قصور مدينة تقرت:

2-1- قصر مستاوة: [انظر الخريطة 4، الصورة 2]

تأسست النواة الأولى لقصر مستاوة أواخر القرن الثامن هجري ، الرابع عشر ميلادي أي قبل حكم سلاطين بني جلاب سنة (937هـ / 1531 م) ، وقد تشكلت عوامل مختلفة في هيكله البنية القديمة لقصر مستاوة تدخل في مجموعة القيم التي تؤلف المدن العربية الإسلامية².

2-2- قصر بني يسود "تيسبست": [انظر الخريطة 4، الصورة 2]

تقع شرق تقرت يحدها من الجنوب بلدية النزلة ومن الشمال الزاوية العابدية ويحدها من الشرق منقر التابعة للطيبات ، يرتبط تاريخها ببلدية تقرت فهي جزء من النسيج العمراني القديم المتكون من النواة الأصلية "مستاوة" وكانت أقدم العائلات التي سكنتها هي عائلة سالم في الجهة الجنوبية أما الشمالية فعائلة "اولاد زائدة" والمتأخرين عائلة بن زينة ، ولا تزال آثار من بقايا البيوت والبساتين لتلك القرية المهجورة³.

2-3- قصر النزلة: [انظر الخريطة 4، الصورة 2]

هي جزء من القصر القديم "مستاوة" ، أنشأها الولي الصالح أحمد بن يحيى في حدود القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر ميلادي ، وأنشأت للاعتقادات الشعبية المحلية المرتبطة بسكان المنطقة في إقامة القصور على بركة الأولياء الصالحين وحمائهم، وارتبط اسمها بنزول السكان القاطنين قديما بمنطقة الولي الصالح أحمد بن يحيى غربا⁴ من صعود "النز"⁵.

¹ زهية شويشي، المرجع السابق ، ص114

² المرجع نفسه ، ص165

³ محمد الطاهر عبد الجواد ، آفاق بلدية تيسبست ، 1992 ، ص05

CH.Féraud, OP,Cit,p59

⁴ أنظر

⁵ النز هو الماء القليل جدا وضعيف التدفق في مجراه ويخرج من باطن الارض ، يطلق عليه مصطلح النز

2-4- قصر الزاوية العابدية: [انظر الخريطة 4، الصورة 2]

تقع الزاوية العابدية شمال شرق تقرت "مستأوة" يحدها من الشمال بلدية لمقارين وجنوبا بلدية تبسبست، أما شرقا بلدية منقر.

يرجع تاريخ نشأتها الى القرن الحادي عشر هجري ، السابع عشر ميلادي 17 وبداية القرن الثاني عشر هجري ، الثامن عشر ميلادي ، حيث ارتبط تاريخ النشأة بتأسيس النواة القصر وهو المسجد ، من طرف الولي الصالح سيدي العبد ، وتوسعت بالعمران باستقرار السكان حول المسجد¹.

ثالثا: مظاهر العمارة الاسلامية بوادي ريغ

اشتركت مجمل المدن الصحراوية العتيقة في عامل حضاري له الأهمية بمكان إلا وهو الدين الإسلامي هذا العامل الذي كان له الدور الفعال في تحديد الأشكال الرئيسية لمعالم تكون المدينة ، حيث أنها أبرزت المساجد و حددت نوعية الساحات التي تحيط بها فالمدن العتيقة الصحراوية تميزت بتوجهها نحو الداخل من خلال عناصرها العمرانية المختلفة التي تكاد تكون ثابتة، حيث أظهرت هذه العناصر التعبير الفطري بعفوية وصدق عن المجتمع و احتياجاته و هي : المسجد ، الخدمات العامة ، المناطق السكنية ، شبكة الشوارع. يعتبر القصر الريغي في مفهومه كتلة واحدة رغم تميز عناصره بوظائف مختلفة ، ترتبط هيكلته ارتباطا وثيقا بالتوزيع المجالي لمكوناته البنائية ، وتوقعها الذي تحدده وظيفتها وكذلك الحاجات الاجتماعية والاقتصادية لسكان القصر، المتميزة بأسلوبهم الثقافي والفكري الخاص بهم².

¹ زهية شويشي، المرجع السابق، ص153

² صالح يوسف بن قرية ، أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الاسلامي وحضارته، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 455

من خلال مختلف الأوصاف التاريخية التي تحدثت عن قصور وادي ريغ وكذلك المدن الصحراوية الأخرى والتي هيمنت على شبكات قصورها والتي تتميز بتشابه كبير في مميزات المجال المباني، وهيكلته في معظمها تنطبق عليها أوصاف المدينة في العالم العربي الإسلامي، وتشكل قصور وادي ريغ عموماً حول مركبات عمرانية عديدة "نقدمها من خلال قصور وادي ريغ" تتمثل فيما يلي: [انظر المخططات 1، 2، 3]

1- المسجد:

المسجد من أهم المنشآت العامة في المدينة الإسلامية لما له من دور أساسي في حياة المجتمعات إذ يعتبر زيادة على الوظيفة التعبدية "مكان لاقامة الصلاة"¹، هناك وظائف أخرى ذات الارتباط بدور المسجد حيث ارتبط لعدة وظائف نذكر منها الآتي :

مركز ديني و اجتماعي تقام فيه الصلاة و يفسر فيه تعاليم الدين و دراسته و ملتقى للاجتماع الناس بساحته خمس مرات في اليوم.

- مركز سياسي لالتقاء الخطب و إذاعة الأخبار و ساحة للعدل و الحكم بين الناس و إقامة الحدود

- مركز ثقافي و تعليمي تقام به المناظرات و الحلقات العلمية بين العلماء و عليه فالمساحة التي تخدمها المساجد تتوقف على البعد بين المسجد والمدة الزمنية بين الآذان و الإقامة أي ان هناك حد أقصى للمساحة التي يخدمها المسجد أثناء التخطيط للمدينة

و عليه فإن إحياء دور المسجد بالمدينة العتيقة ليس فقط إحياء للقيم و المعايير التخطيطية للمجتمع بل إنه إحدى مقومات التي سيتم التأصيل من خدمتها للقيم الحضارية في بناء المدينة

¹ خالد محمد عزب ، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية ، سلسلة كتاب الأمة ، وزارة الاوقاف والفنون الإسلامية ، الدوحة ، 1997، ص 49

وحكمت هذه الاهمية للمسجد الجامع موضعه في المدينة باعتباره النواه الاساسية في تخطيطها حيث كان اول ما يخطط ، ومن حوله كانت تخطط الخطة " الاحياء " وتنتهي اليها شوارعها ودروبها ن حيث يقع موقعه مباشرة بعد اختيار موقع المدينة أو القصر ، قبل أن تنطلق أشغال البناء الأخرى، وهي ليست قاعدة وسطية المسجد الجامع ، فقد يحتل موقعا خارج منشأة القصر ، في مكان تقام حوله السوق الأسبوعية ، وهذا راجع إلى إتاحة الفرصة للقادمين الأجنب الفرصة للصلاة وعدم الاختلاط بالسكان¹.

وتذكر معظم النصوص التاريخية أن قصر تقرت اخذ شكلا دائريا² وهذا على غرار معظم القرى والمدن في منطقة وادي ريغ مثل تماسين أو المجاورة لها مثل ورقلة³ يتوسطها الجامع الكبير وكذا جامع المالكية هذا الأخير بقت من آثاره المئذنة إلى وقت لاحق ثم هدمت وقد خصص النصف الشمالي للملحقات السكنية والجزء الجنوبي خصص لعدد ثان من الملحقات السكنية ومقر إقامة السلطان⁴.

يقع المسجد العتيق بتقرت بالجهة الغربية للقصر مقابلا الساحة العامة موقعه من القصبه فهو يحتل الوسط ، أما جامع الملكية الذي يعتبر المعلم الديني الثاني في القصبه ، يقع جنوب الجامع العتيق.

ويحتوي قصر تماسين على خمسة مساجد أهمها المسجد الكبير العتيق الذي يتوسط القصر، بينما أقيمت بقية المساجد في شوارع رئيسية تتميز بعدم انفصالها عن الكتلة السكنية مما يجسد جليا فكرة التحام المجتمع.

¹ صالح يوسف بن قرية ، أبحاث ودراسات المرجع السابق، ص 464

² Kitab ElAdouani, "Recueil de tradition sur le Sahara" Traductionpublique par feroud (Ch), Dans le recueil de la société archéologie de const, de const, paris 1868 pp 100.

³ Le Khielleux (J), "Ouargla cité Saharienne", Genthner, Paris, 1984 pp138

¹ Le Khielleux (J),op cit,p138

2- قصر السلطان

بينما قصر السلطان بقصر تقرت اندثر هذا المعلم وانحى من ذاكرة الأهالي لكن لحسن الحظ بقي وصفه محفوظا في كتب الرحالة الذين أشادوا به ووصفوه وصفا رائعا بقولهم يسود هذا القصر بذخ خرافي و لم يبق لهذا المبنى الرئيسي في القصبة أثر يحدد معالمه كما له تحفظ لنا الوثائق والنصوص التاريخية يوجه عام مخططات ولا الوصف العام، باستثناء قلة أعطتنا فقط تلميحات وردت خلال نصوص إهتمت بجوانب أخرى من القصبة¹ جهر القصر بحديقة خاصة بالسلطان وحاشيته موجودة في الجهة الجنوبية ومنها تؤدي إلى واحة النخيل

3- الأسواق:

تلعب الأسواق دورا كبيرا في انتعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمسلمين على مختلف مستوياتهم الاجتماعية ، وتؤكد الكتابات التاريخية أن الاسواق في المدينة الاسلامية كانت تتميز بالتنظيم المتقن وتصنيف مختلف السلع في أماكن تختص بكل صنف منها ، وتزخر العديد من العواصم العربية حتى الوقت الحالي بتلك الاسواق². ويضع الماوردي شروطا تشمل تحقيق كل الحاجات المتجددة التي يحتاجها الانسان كالكسب والمعاش والرفاهية والمال³ ، وهي متعلقة بالتجارة والسوق.

ومنطقة وادي ريغ عامة وتقرت بصفة خاصة قد لعبت دورا بارزا في تنشيط الحركة التجارية وهذا بحكم موقعها الاستراتيجي الهام فكانت عاصمة المنطقة مركزا تجاريا تحط فيه القوافل القادمة من الجنوب (إفريقيا والسودان) تنقل البضائع إلى الشمال عبر التجار الوافدين

¹ أنظر Dubocq (M), Mémoire sur la constitution géologiques des ziban et de l'oued rig , du point de veue des eaux artésiennes de cette partie du sahara , tome2, paris,18/52, P 64

² خالد محمد عرب ، تخطيط وعمارة المدن الاسلامية ، المرجع السابق، ص55

³ الماوردي ، المصدر السابق ، ص162

منه وقد ساعد هذا على تنمية التبادل التجاري بينهم كما كان له أيضا دورا في تسويق إنتاج منطقة وادي ريغ بصفة عامة وخاصة وفي موسم جني التمور.

وحرصا على حرمة المجال الخاص ، نجد أن الانشطة في قصور وادي ريغ ، تتجمع في فضاءات عامة تكون معزولة عن المجال المخصص للسكن ، فتتجمع الدكاكين ومختلف الانشطة اما في الساحة العامة للقصر ن أو على المحاور الرئيسية حفاظا على المجال السكني وعلى خصوصيته وحرمة¹. لهذا كانت النشاط التجاري للقصبة يمارس ضمن سوقين: السوق الأول كان تقام خارجها شرق "باب البلاء" يتم فيه تسويق الخضر ، الضروريات الغذائية وكذا الفحم.

السوق الثاني وهو الرئيسي يقام في ساحة أمام الجامع الكبير مثل قصر تماسين فالسوق جاء في المنتصف، في الساحة شمال المسجد العتيق ، وهو سوق فيه الصوف والكتان، التمور في جهة ثانية قد ساهمت في إقامة حركة صناعية وحرفية تعددت جوانبها، تركزت هذه المصانع الحرفية على طول الشارع الرئيسي بين مدخل "باب البلاء" والجامع الكبير بعضها مازال يؤدي وظيفته لحد الساعة.

4- الشوارع والطرق: [أنظر اللوحة 2]

لما كان الطريق هو المسلك الذي يستعمله المارة لبلوغ الهدف المنشود داخل الشبكة العمرانية لأن وظيفتها لا تتجاوز المرور والعبور ، فهي بمثابة قنوات اتصال بين مختلف المكونات المجالية للقصر، وإنشائها وتخطيطها يمثل أهمية في بناء وهيكل القصر عامة². لذا جاء تخطيط المدينة الاسلامية متميزا بحماية وحفظا لحياة الجماعة والجيرة والتقارب الاسري فالأزقة الضيقة دليل على مواجهة الأبواب بعضها لبعض وقربها ومما يجبي حق الجار

¹ صالح يوسف بن قرية ، أبحاث ودراسات .. المرجع السابق، ص457

² صالح يوسف بن قرية ، أبحاث ودراسات .. المرجع السابق ، ص459

ويقوي رابطة التآلف التي قواها الاسلام بالزيارات والدعوات ،ويوفر هذا النوع من الخطط للأزقة ظلا وافرا أما الشوارع المتفرعة فهي للاستخدام الخاص بالأحياء.

ويضع ابن الربيع شروطا لتخطيط موضع المدينة انه على الحاكم أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق¹.

اعتمد في المدن العتيقة الصحراوية على معايير جد دقيقة و مفصلة بحيث لا يمكن حصرها جميعها لكونها تتشعب لتصل حتى سلوك الأفراد في الشوارع .حيث أن اتساع الشارع سيتم تحديده من خلال ضرورة الحاجة للشارع وأهميته و دوره.

فمن بين أهمية المعايير الخاصة بالشوارع الآتي:

- الارتفاق بالشوارع النافذة حق للجميع و لا يجوز أخذ تعويض عن هذا الارتفاق
- يحق لمن يملك على هذه الشوارع بيتا أو أرضا أن يفتح له بابا سواء كان للمنزل أو لدكان .

- يحق لملاك الأراضي حوار الشارع النافذ الارتفاع بمبانيهم دون قيد أو شروط ، والبناء تحت مستوى السطح الأرض بأي أعماق يوردونها باستثناء القاعدة الشاملة لا ضرر ولا فرار .
- يمنع استعمال الشارع في حفر بئر خاصة أو حفر مجاري إلا في حالة حفر بئر للعمامة لتحقيق حق المرور دون عوائق بالشارع للمارة و كذا الراكنين .

- لا يسمح بإقامة سقف في الشوارع النافذة بين الرصيفين حتى و إن كانت الأرض المقابلة ملك لنفس المالك و مهما كان ارتفاع السقف.

- يرخص بإنجاز بروزات تتعدى هواء الشارع ، شرط أن تكون هذه الشرفات (البروزات) مرتفعة بالقدر الذي يسمح للمارة بالولوج دون ضرر أي بقدر فارس مع رحمة منصوبا ، عند

¹ابن الربيع ، المصدر السابق ، ص192،

وجود شارع أو طريق خاص يتم تحديده ، بعرض أربع أذرع و لا يجوز الارتفاق به إلا لأهله وحدهم ، حيث لا يحق لأحد فتح باب عقاره نحوه إلا لهم دون سواهم و أخذ الإذن منهم¹.

و من أهم الملامح التخطيطية التي امتازت بها شوارع المدن العتيقة الآتية:

- استخدام شوارع ضيقة غير مستقيمة لتوفير أماكن ظلال واضعاف الرياح الضارة و

تأكيد الجوار و الترابط

- تدرج الشوارع و تكاملها

- التقسيم إلى مقاطع بصرية تسمح بالرؤية عن بعد و تحقيق التلاقي وعدم الإحساس

بالمثل و تحقيق المتعة البصرية

- الظهور و الوضوح و الرؤية من بعد.

- الاستمرارية و الإحساس بالحركة وذلك عن طريق استمرار الشخصية الوظيفية الواحدة

و كذا الطابع الواحد

- الاعتماد عن الشوارع المسدودة

- الطرق القادمة من وسط المدينة تنتهي لطريق داخل السور ويوازيه (حيث يقع حول

السور خندق ليعمل في الأغراض الدفاعية)

- الحارات تنتهي ببوابات لغلق المناطق السكنية و ذلك للأغراض الأمنية و تحقيق

الخصوصية.

وتدرجت الشوارع حسب أبعادها من العناصر العمرانية العامة التي تحكم فيها المسجد

الجامع الى حد كبير باعتباره مقصدا السكان من كل ارجاء المدينة.

¹ الفرستائي، ابو العباس احمد بن محمد بن بكر النفوسي، القسمة و أصول الأرضين، تحقيق بكير بن محمد الشيخ

بلحاج، محمد صالح ناصر ، ط2 ، نشر جمعية التراث ، غرداية ، 1999 ، ص ص 188، 191

يمتاز القصر بشوارعه الضيقة و المتوية بحيث تقلل من حدة الرياح الرملية و التيارات الهوائية الباردة(السميqli) أو الحارة (الشهيلي) ، مع الانتظام التام بمرور منتظم للهواء داخل الشارع، كما تمتاز أركان هذه الشوارع بانسيابها حيث تسمح بمرور الرياح دون نحتها كما تسهل عملية السير بهذه الشوارع.

ويشتمل القصر على انواع من الشوارع الاولى التي يسلكها العامة¹ و تعرف بالطرق السابلة " اطلق عليها الفقهاء بطريق المسلمين او العامة لعموميتها " و هي تؤدي مباشرة على المراكز الحساسة بالقصبة المتمثلة في مسجد الجامع و الرحبة و نظرا للظروف الطبيعية للمنطقة دائما غطيت هذه الشوارع بنسبة الثلث و التي تعرف محليا بالسقايف لتوفير كمية أكبر من الظلال بينما تركت النسبة الباقية دون تغطية حتى تسمح بمرور الضوء و الهواء و تتواجد معظم مساجد القصبة على طول هذه الشوارع و لتمييزها زودت سقائفها بمقاعد حجرية للجلوس (دكانات) و هي مجالس للتلاقي و إصدار القرارات و تلقي الأخبار

و عرض الشوارع الرئيسية لا يقل عن ثلاثة أمتار و هي بذلك قريبة إلى ما نصت عليه الأحاديث النبوية إذ يقول صلى الله عليه وسلم: "إذا تدارأتم في شارع فاجعلوه سبعة اذرع"². و هي في الغالب تمتد من الشمال إلى الجنوب ، حيث تؤدي مباشرة إلى غاباتهم أو إلى الماء أو إلى السوق أو المقبرة، و إذا كان المسجد خارج القصبة جعلوا طريقا يوصل إليه³ كذا تجنبا لحرحة الشمس التي تكون عمودية لتكتسب ظلا وافرًا لمدة أطول خلال اليوم في حين تستقطب الرياح الشمالية التي تساعد على استمرار برودتها أطول فترة ممكنة⁴.

¹ صالح يوسف بن قرية ، أبحاث ودراسات .. المرجع السابق، ص462

² الماوردى ، المصدر السابق، ص 203.

³ صالح يوسف بن قرية ، أبحاث ودراسات .. المرجع السابق ، ص460

⁴ عبد الستار عثمان ، المرجع السابق ، ص08

اما النوع الثاني فهي السكة غير النافذة تكون للعامه وتكون للخواص¹، وتأخذ مستوى واحد لذا لا نجد مرتفعات العقائدي و بين التكتلات أو منخفضات يبقى أنها الرابط بين التكتلات الاجتماعية و المركز العقائدي و بين التكتلات الاجتماعية فيما بينها من جهة ثانية .

كل الأزقة الموجودة في القصر أخذت تسميات بها للأحياء الموجودة بها و نذكر على سبيل المثال زقاق الوسط، زقاق العبيد... الخ

ونادرا ما نجد داخل القصور على فتحات خارجية تكشف الأسرار الاجتماعية داخل الخلية السكنية إذا نجد كل الواجهات المطلة على الزقاق صماء بها فقط فتحات صغيرة موجودة في العلى على العلوم يمكن أن نضع تصنيفا الأزقة القصبه حسب طبيعة تصميمها على النحو التالي :

أ- أزقة منحية:

هذا النوع يتميز بطوله ، إذ يسمح بحركة تنقل عادية لسكانها، مغطاة بجذوع النخيل و لهذا النمط دور في تلطيف الجو المتميز بالحرارة الشديدة في فصل الصيف و البرودة القاسية في فصل الشتاء و كذا التخفيف من شدة التيارات الهوائية و العواصف الرملية.

كما نجد و خاصة أمام المساجد مقاعد خاصة يطلق عليه محليا اسم "دكانه"

ب - أزقة محورية:

تصل التجمعات السكنية بالمركز الديني في القصر و هو الجامع الذي يعتبر مكان التجمع أيام الجمعة التنقل فيها أسهل من سابقتها نظرا لامتدادها وقلة الانعراج أنجزت بتخطيط مدروس إذ نجد أن نهايات التكتلات السكنية تنتهي في خط واحد و من الأمثلة على هذا النوع الذي يصل الجامع الكبير بالباب الغربي للقصبه بصفة مباشرة .

¹ صالح يوسف بن قرية ، أبحاث ودراسات .. المرجع السابق، ص462

ج- الممرات الممدودة:

قليلة الحركة مقارنة بالأزقة الدائرية و الأزقة المحورية

اما النوع الثالث من الشوارع فهي المغلقة او السكة النافذة وتكون لقوم مخصوصين¹ التي تكتسي طابع الخصوصية وهي غير نافذة وهي مشتركة الملكية لأصحاب المساكن المحيطة.

5-الساحات:

لم تكتفي المدينة الاسلامية بتحديد شبكة الطرقات في الشوارع والازقة فقط بل حددت ايضا الرحبات التي تلعب دورا هاما في شحن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين والتي تمثل نقطة التقاء مجموعة من الشوارع مما ييسر الحركة لاتساع ابعادها مقارنة بالشوارع ويسمح ذلك للباعة الجوالين بممارسة نشاطهم بها، كما كانت تحتوي على بعض المرافق العامة ، وتقع الساحة العامة أو الرحبة بقصري تقرت وتماسين وسط القصر ، الى جانب المسجد الجامع وعي كذلك مقرا للسوق والباعة ، والتي تشكل المجال العام مجال المرور والنشاط والالتقاء ومن خلالها تنطلق وتتفرع بقية الشوارع

6-الأحياء

و قد قسمت القصر إلى مجموعة من الأحياء سمية بأسماء القبائل المقيمة بها. فقصة تقرت احتوت سبعة أحياء هي الجاهرية بالشمال و حي العرب بالشمال الشرقي ، و حي مستاوة بالشرق ، و حي العبيد المحررين بالجنوب الشرقي و القصبة بالجنوب ، و حي الحضرة بالغرب، و حي التلين بالشمال الغربي و بين القصبة و الرحبة حي أولاد منصور.

و لكل حي مكن هذه الأحياء مسجد خاص أو مصلى و في بعض الأحيان رحبة صغيرة ، لتلتقي هذه الأحياء بالمسجد الجامع و الساحة المقابلة له (الرحبة).

¹ صالح يوسف بن قرية ، أبحاث ودراسات .. المرجع السابق 462

7-الحمام

إضافة إلى ما ذكرناه في هذا الجانب العمراني يوجد حمام ويقع في الجهة الشرقية من لقصر تقرت ويحتوي على جميع العناصر الأساسية للحمام من غرف باردة وساخنة

8-التحصين: [انظر اللوحة 30 و المخطط 1،2،3]

يعني تحصين المدينة ، وحمايتها من الاخطار والهجمات المباغتة من الاعداء ، حيث كانت الاسوار والابراج والخنادق تؤدي دورا مهما في الدفاع عن المدينة أو القصر ، وتأمين أهلها ، ومنه نبغ حرصهم الشديد على احاطتها بسور ضخم يبنى بالحجارة ثم الطابية المقاومة للضربات القوية ، ثم دعموا أسوارهم بالأبراج الدائرية والمربعة والمضلعة احيانا ن الى جانب المداخل الضخمة¹.

إن العناصر التي تالف دفاع المدينة القديمة تتشكل في الأسوار المجهزة بقلاع للمراقبة وكما يحيط بالمدينة خندق يدعى "البحر"² وتتمثل تحصينات القصر في :

1-الخندق والسور

اذ تجمع النصوص التاريخية على أنها كانت محاطة بخندق³ لغرض إحباط محاولات افتتاحها يمر بأربع ينابيع تقطعه ثلاثة مرات متحركة تقابل الأبواب الثلاثة تستند إلى أوتاد خشبية مغروسة داخل الخندق⁴ ، أما قصر تماسين فقد حفر حول القصر خندقا واسعا يحيط بكامل القصر وتتخلله جسور تنزع أثناء الهجوم وقد استعمل هذا الخندق للتحصين من العدو.

¹ صالح يوسف بن قرية ، أبحاث ودراسات .. المرجع السابق ص469

² فؤاد حاج ، " تدهور المدينة التاريخية - مستاوة" الملتقى التاريخي الثالث، مقر متحف المجاهد ، تقرت ، 1998، ص67،68

Kitab El Adouani, "IBID P190

Magali (BOISNARO), "Sultans de Touggourt", Gouthner, Paris, 1933, P 13.

³ أنظر

⁴ أنظر

اما السور الذي يمثل تحصين ثاني لكل قصر ، يحيط بكامل القصرين ، وهو مكون من جدران المنازل المتلاصقة .فتكون سورا .

ب-الأبواب

يملك قصر تقرت ثلاثة أبواب تغلق يوميا في الليل وكذا أيام الجمعة أثناء تأدية الصلاة وهذا بأمر من السلطان وتسلم له المفاتيح¹ وهي باب البلاء يعتبر المدخل الرئيسي للقصبة، يسمى أيضا باب الخوجة، يقع في الجهة الجنوبية الشرقية، وباب السلام يفتح على القصر في الاتجاه المقابل للباب الرئيسي يطلق عليه اسم باب الغرب وباب الغدر يؤدي إلى قصر السلطان مباشرة يقع أمام واحدة من النخيل في الجهة الجنوبية

اما قصر تماسين أربعة مداخل منها مدخل رئيسي وثلاثة ثانوية اضطرارية ، وكانت مزودة بأبواب تفتح نهارا وتغلق ليلا وعند الطوارئ . كما تستعمل كجسر لاجتياز الخندق أما المدخل الرئيسي فكان على الجهة الغربية نجد مدخل الخوجة أو النجدة وهو باب احتياطي يستعمل ويفتح عند الحاجة بالخصوص حين الغارات والحصار المضروب على القصر ، فيكون باب القصر متنفسا وعينا لمراقبة حركات العدو لان هذا المدخل يؤدي إلى بساتين النخيل بينما مدخل لعلا الجروة يؤدي مباشرة إلى المسجد دون أن يزعج السكان ودون ان يتعرف على أسرار القصر

ومن الناحية الشمالية الشرقية نجد المدخل الآخر وهو جهة القصبة اين توجد دار السلطان وحاشيته وهو يعرف ""باب الزنقة "

9-المقبرة: أما المقبرة فهي خاصة بأسرة بني جلاب تقع في الجهة الغربية من المسجد

العتيق .

10- المنزل: [انظر اللوحة 28 و المخطط 4،5،6]

ان منازل قصور وادي ريغ تأخذ مواصفات هندسية خاصة ، مغلق تماما من الخارج ، مفتوح نحو الداخل ، اذ ان نوافذ الغرف مفتوحة الى الى الفناء "الحوش " المتصل بالسما ، حيث يميل للاطار المثالي للحياة التقليدية للمنطقة المتميز بخصوصية الحياة الاسرية، ومكان الحرمه ، ومرتبطة بالثقافة العربية الاسلامية. ومن خلال زيارتنا الميدانية للمناطق المراد دراستها لوحظ ان جل المباني تتكون من طابقين اثنين ، وفيما يلي نستعرض المكونات المعمارية للمنزل الريغي:

- المدخل: وهو الذي يصل المسكن بالخارج أي يفتح على الزقاق أو الدرب
- السقيفة : وتكون عند مدخل البيت وهي تفضي إلى الفناء
- غرفة الضيوف : تقع على يسار الداخل إلى البيت
- الحوش: هو فضاء مركزي داخل البيت يتوسطه عادة نخلة، وهو غير مغطى
- الصباط (البرطال): وهو فضاء يتصل مباشرة بالحوش ويكون به أقواس
- المخزن : وهي الغرفة الكبيرة التي تخزن فيها المؤونة
- غرف النوم : تستغل للنوم والأكل و الجلوس
- المطبخ: يكون بمؤخرة الطابق السفلي
- بيت الخلاءو الإسطل : يقعان دائما على هامش البيت
- السلم و السطح

¹ أنظر CHERBONNEAU (A) Précis Historique de la Bynastic Benou أنظر Djellab, Thurot, Paris, SD, P11.

مما سبق يتضح ان قصور وادي ريغ قد خضعت للمعايير التخطيطية للمدينة الاسلامية تخطيطا يحقق غايات المجتمع الفردية والجماعية والمادية والروحية ، انطلاقا من القيم والمبادئ الاسلامية فبرز التركيب البنيوي للمدينة والقصور بوادي ريغ الذي تحكمه مبادئ اسلامية والتي نراها في جميع المدن الاسلامية .

فالتركيب العمراني للقصور في وادي ريغ يغلب عليها الطابع الاسلامي ، فكان يتدرج من البيئة العامة الى الخاصة ، وتكون الانطلاقة من من الساحة العامة "الرحبة المجال الاوسع ، الذي يمثل مركز لتجمع السكان في المناسبات الكبرى ، ويضم مختلف المباني ذات الطابع الديني "كالمسجد" والاقتصادي والاجتماعي كالاسواق والساحات العامة" ، ومنها تنطلق الشوارع والدروب نحو الاحياء وخارج القصر .

الفصل الثاني

مجتمع وادي ريغ

أولا : الحياة الاجتماعية

ثانيا : الحياة الاقتصادية وطرق الري

يعد الجانب الاجتماعي أحد الأركان المساعدة في دفع عجلة الحياة و تطوير الفن المعماري ، خاصة اذا كانت عناصر هذا المجتمع مختلفة الاجناس والاعراق ، فانها تخلق تنوعا ثقافيا وفكريا يترجمه التنوع في تشكيل العمارة ، وتطور النسيج العمراني للاقليم .

أما الاقتصاد فهو من أهم العوامل الاساسية التي تنطلق منها مشاريع انشاء وتعمير المدن والقصور في اية بيئة كانت ، فالنشاط الفلاحي والتجارة يساعدان بدرجة كبيرة على الاستقرار البشري ، وعاملا جذب للسكان والمهاجرين ، وازدهار العمران .

ويمكننا من خلال هذه المعطيات ، نطرح تساؤلات عن دور الانشطة الاقتصادية التي عرفتھا المنطقة اين يكمن دورها في تطوير حركة العمران وازدهارها ؟ ، وماهي العناصر السكانية التي استوطنت اقليم وادي ريغ ؟ ، وما مدى تأثيرها في تطوير الفن المعماري بالمنطقة ، وما مدى مساهمتها في تشكيل العمارة بوادي ريغ ؟ .

أولا- الحياة الاجتماعية:

المجتمع الصحراوي هو مجموعة بشرية تعيش في بيئة واحدة محددة ضمن إطارها الجغرافي الصحراوي، ينشطون في جميع نواحي الحياة ، يسودهم طابع مميز من التعاون أو التنافس والصراع ، لديهم شعور بالانتماء لمجتمعهم التقليدي به مؤسسات لها نظام تحمل على عاتقها مهمة النهوض بالمجتمع وتنظيمه معتمدا على رأي الجماعة لا على الرأي الموحد¹.

وللمجتمع خصائص اجتماعية وثقافية دينية ، مثل التماسك الاجتماعي بين الافراد مع بعضهم البعض ، والشعور بالانتماء² .

وقد عرف أهل وادي ريغ بإخلاصهم ومحافظتهم على الأخلاق الإسلامية السمحة ويظهر هذا السلوك في تقديرهم للعلماء الذين يحتلون في قلوبهم مكانة مرموقة من الاحترام

¹ أحمد كمال أحمد ، تنظيم المجتمع ، دار وهدان للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1973 ، ص 103

² فاروق مصطفى اسماعيل ، التغيير والتنمية في المجتمع الصحراوي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1990 ،

والتقدير ، حيث لا يخلو قصر من قصورهم ولا قرية من قراهم من جامع للصلاة وضريح للزيارة والتبرك ومن شدة تعلقهم بمشايخهم وعلمائهم تصبح قبورهم بعد وفاتهم مزارات تشد إليها الرحال من كل جهة وكانوا حريصين الحرص كله على الاحتفالات بالمناسبات الدينية، كإحياء ذكرى المولد النبوي الشريف والاحتفال بيوم عاشوراء ورأس السنة الهجرية .

وحبهم لدينهم جعلهم يحرصون على تحفيظ القرآن الكريم لأبنائهم والإقبال على حلقات الدروس المسجدية .ولذلك استقدموا العلماء إلى قصورهم وقراهم من المناطق المجاورة وربما من بلاد الجريد والمغرب واستضافوهم لعمارة مساجدهم بالعلم يتعلمون منهم أصول الدين والفقهاء .

ومن الطباع التي تميز بها سكان واد ريغ كرم الضيافة وحسن استقبال الوافدين عليهم والنازلين بديارهم فيجزلون لهم العطاء ويبدلون قصارى جهدهم في حسن استقبالهم والإنفاق عليهم بما عندهم ويفتحون لهم بيوتهم إلى درجة الغفلة والسذاجة فرمى ضحى المرء منهم بمصلحة أهله وأقربائه من أجل مساعدة وإرضاء الغريب¹. وفي هذا الصدد يقول حسن الوزان² : "يجب أهل تقرت الغرباء جدا ويستضيفونهم في بيوتهم بالمجان، ويفضلون أن يزوجوا بناتهم للغرباء من أن يزوجهن أهل البلاد، ومن عاداتهم أن يمنحوهن مهرا مكونا من عقارات . كما هو الشأن في أوروبا . ويقدمون أيضا هدايا هامة إلى الغرباء ولو كانوا يظنون أنهم لن يعودوا إليهم أبدا، وذلك لفرط كرمهم " . وهذا الأمر أشار إليه حتى صاحب ري الغليل في مخطوطه و سماه التضامن مع عابر السبيل فيقول " :فمهما تعددت أجناسهم وألوانهم حيث يتم الترحيب بهم وضيافتهم وإكرامهم والتضامن معهم ماديا ومعنويا هذا إن كانوا في حاجة إلى المساعدة، فنحن عندما تعبت أرجلنا ولم نعد نستطيع المشي ولا التقدم خطوة واحدة، أتى إلينا رجل اسمه

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص 32 30

² حسن الوزان ، المصدر السابق، ج 1، ص 136

سيدي حمودة من سيدي بوعزيز وقال لنا إنه هناك رجل تركي أتى من وادي سوف، وقيل أنه يعرف الطب لعله يساعدكم... ،

أما في المغير استضافنا مرابط يقال له سيدي مبارك الصايم فأكرمنا غاية الكرم .

وعن الكرم والجود هناك زاوية بسيدي خليل تطعم كل من أتى إليها من غير دارها¹ وبهذه الطباع جعل الأقسام من جهات أخرى يفضلون مجاورتهم والتعامل معهم ، ولذلك فلما نجد منطقة من المناطق في الجزائر اجتمعت بها الأقسام من كل جهة، كما اجتمعت واستوطنت بمنطقة واد ريغ والزيبان، فمن ينزل بهده الديار يستطيع أن يملك الأملاك والعقارات في أقصر مدة ويصبح منهم ولهم² ويؤكد هذا القول العياشي³: " بل جل أهل البلاد من فقهاء أهل البلد و غيرهم لهم نيات صالحة وأخلاق حسنة، عربون من التكبر والعجب وأشباه ذلك . ولأمير البلد حكم نافذ في أهل مملكته والأعراب الذين يريدون عليه ، وقد ضاع لنا جملان ليلة رحيلنا فبلغ الخبر إليه فأخذ الذي جاء يطلب البشارة وحبسه وبعث المرسل حتى أتوا بالإبل "

إلى جانب هذه الخصال الحميدة لا يخلوا الفرد منهم من بعض الطباع الذميمة الموجودة في كل مجتمع كالمكر وعدم الوفاء لحكامهم ومشايخهم حيث يخفونهم عندما يكونون تحت سلطتهم ويحتقروهم إذا شعروا بضعفهم أو عزلوا عن مناصبهم.

¹ رضوان شافو، " الحياة الاجتماعية بوادي ريغ من خلال مخطوط ري الغليل"، اعمال الملتقى الوطني حول الحياة

الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12 و 13 هـ - 18 و 19 من خلال المصادر المحلية،

أيام 25 24 جانفي 2012 م ، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، د.ت، ص ص 30 26

² عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص ص 32 30

³ العياشي، المصدر السابق، ص 122

–عناصر السكان بمنطقة وادي ريغ:

سكنت وتسكن منطقة وادي ريغ قبائل وأجناس كثيرة ومتداخلة في أنسابها وأصولها جمعتها ظروف الحياة ووحدها تقاليد اجتماعية واحدة، وبهذا التمازج والاختلاط الذي تعمق بعلاقات المصاهرة والزواج والسكن وأصبح من الصعب التمييز بين الأصول والأنساب ولذا نجد صعوبة في معرفة الأصول العرقية والاجتماعية سكان وادي ريغ، لكن بالرجوع الى ابن خلدون الذي قال فيهم :

" قبيلة ريغة وسنجاس هي من اوسع بطون مغراوة فأما بنو سنجاس فلهم مواطن في كل عمل من افريقية والمغربين ، فمهم قبلة المغرب الأوسط بجبل راشد وجبل كريكرة، وبعمل الزاب وبعمل شلف ،ومن بطونهم بنو عيار بأعمال قسنطينة ، وكان بنو سنجاس هؤلاء من أوسع القبائل وأكثرهم عددا ، وكان لهم فتنة زناتة وصنهاجة آ ثار بإفريقية والمغرب ، وأكثرها في افساد السبيل والعبث في المدن ، ونازلوا قفصة سنة أربع عشرة وخمسمائة بعد أن عاثوا بجهات القصر ، وقتلوا منه وجدوا هنالك من عسكر تلكاتة ، وخرجت اليهم حامية قفصة فأثنخنا فيهم ، ثم كثر فسادهم، وسرح السلطان قائده محمد بن ابي العرب في العساكر الى بلاد الجريد فشردهم عنها وأصلح السابلة ، ثم عادوا الى مثلها سنة خسة عشرة وخمسمائة فأوقع بهم قائد بلاد الجريد وأثنخ فيهم بالقتل ، وحمل رؤوسهم الى القيروان فعظم الفتح فيهم ، ولم تزل الدولة تتبعهم بالقتل والاثخان الى ان كسروا من شوكتهم.

وجاء العرب الهلاليون وغلبوا على الضواحي كل من كان بها من صنهاجة وزناتة ، وتحيز فلهم الى الحصون والمعازل ، وضربت عليهم المغار مالا من كان ببلاد المغرب القفر مثل جبل

راشد، فإنهم لبعدهم عن منازل الملك لا يعطون مغرما" ¹

¹ ابن خلدون ، ديوان العبر... ج7 المصدر السابق ، ص ص 63-64

ثم يضيف ابن خلدون قائلاً " اما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة ، ولما افترق امر زناتة تحيز منهم الى جبل عياض وما اليه من البسط الى نقاوس واقاموا في قياطينهم ، فمن كان بجبل عياض منهم أهل مغارم لأمرء عياض يقبضونها للدولة الغالبة ببجاية ، وأما من كان ببسيط نقاوس فهم من اقطاع العرب لهذا العهد. نزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووركلا، فاختطوا قصورا كثيرة في عدوة واد ينحدر من المغرب الى المشرق يشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة ، والأطم قد رف عليها الشجر ونضدت حفافها النخيل ، وانساحت خلالها المياه، وزهت ينابيعها الصحراء ، وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء، وبهم تعرف لهذا العهد، وهم أكثرها. ومن بني سنجاس وبني يفرن وغيرهم من قبائل زناتة. وتفرقت جماعتهم للتنازع في الرياسة فاستقلت كل طائفة منهم بقصور منها أو بواحة " ¹.

حيث واجه المغرب الأدنى في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر ميلادي حركة غزو ، هذه الحركة حملت في طياتها الكثير من ألوان الدمار والخراب ، وقد عرفت هذه الحركة في التاريخ الإسلامي باسم الهجرة الهلالية .

وكان لهذا الغزو ذا طابع خاص ، إذ انه لم يأخذ شكل جيش منظم يأتمر لقيادة موحدة ، تسير وفق خطة مرسومة ، وإنما جموع مخربة خرجت لتحقيق أهدافها في السلب والنهب ، وفي نفس الوقت أرادت السلطة الحاكمة في مصر تحقيق أهداف معينة لها وهو التخلص من حكم بني زيري في المهديّة فضلاً عن التخلص من هذه الجموع ذاتها إنما كانت مصدر إزعاج وقلق الحكم الفاطمي في مصر وقد نجح الغزو الهلالي في تحقيق هذه الأهداف ، وقد عرفت هذه الهجرة في التاريخ باسم " حركة بني هلال " ، وقد كان لهذه الهجرة دور كبير جداً في وصول العرب وانتشارهم في بلاد المغرب والمناطق المجاورة حينها ، وعلى الرغم من أننا لانعرف أصل هذه التسمية نظراً لأن الهجرة الهلالية كانت قد ضمت قبائل عدنانية هلالية وغير هلالية وقبائل قحطانية ايضاً . إلا أنه من الواضح أن بني هلال كانوا قد ترأسوا زعامة كل

¹ ابن خلدون، ديوان العبر... ج7 المصدر السابق ، ص ص 63-64

هذه المجموعات المهاجرة¹. كما يعتقد إن قبائل بني هلال كانت أولى القبائل العربية التي دخلت المغرب في ذلك الوقت² أما أهم هذه القبائل التي شملت الهجرة الهلالية فهي بنو هلال وبنو سليم ويرجع معظمهم إلى أصلين كبيرين هوازن بن منصور وسليم بن منصور . ومنصور هذا يرجعه النسابة العرب إلى قيس عيلان مضر³ .

أسباب هجرة بني هلال الى بلاد المغرب

- كان بنو هلال المستقرين في مصر سبباً لكثير من الاضطرابات والفتن وقد رأى الحكام الفاطميون ضرورة التخلص منهم وكانت الخلافة الفاطمية في مصر تعاني من أزمات اقتصادية وصلت إلى حد المجاعة في القرن الخامس الهجري وسببه قصر نهر النيل سنة اربع واربعين وربعمائة للهجرة فارتفعت الاسعار وليس بالمخازن شيء من الغلات واشتد الامر على السكان واخذت الازمة تتزايد واشتدت سنة سبعة وخمسين واربعمائة هجرية ، تزايد الغلاء واعقبه الوباء حتى تعطلت الاراضي عن الزراعة ، وشمل الخوف وخيفت السبل برا وبحرا، واستولى الجوع لعدم القوت⁴ ويظهر إن الفاطميين حاولوا التخلص منهم دفعا للاضطرابات التي يثيرونها وتخفيفاً للأزمة الاقتصادية التي تعانيها مصر وذلك عن طريق تشجيع هؤلاء بالهجرة الى المغرب.

¹ ابن خلدون ، كتاب العبر ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 36

² المراكشي ، ابو العباس احمد بن محمد بن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ج1 ، دار الثقافة للطباعة والنشر، بيروت ، 1968 ، ص228

³ ابن حبيب ، ابو جعفر محمد ، مختلف القبائل ومؤتلفها ، فرديتلن فستلند غوتا، 1850 ، ص18

⁴ المقرئزي ، اغائة الامة في كشف الغمة ، تحقيق كرم حلمي فرحات ، ط1 ، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، الهرم، 2007 ، ص ص 92-98

- ان الأزمة الاقتصادية في مصر قد أثرت في القبائل الهلالية ودعتها إلى التفكير في البحث عن مناطق استقرار أفضل فاختارت الحضر ليكون منقداً لها¹ ولاسيما إن هناك جماعات من عرب بني هلال كانت قد استقرت منذ مدة طويلة في برقة وهم بنو قره²

- كانت الحالة السياسية في المغرب أبان منتصف القرن الخامس الهجري عاملاً مهماً في هجرة بني هلال ففي هذا الوقت تدهورت العلاقات بني آل زيري " من قبيلة صنهاجة" الذين تركهم الفاطميون لحكم بلاد المغرب بعد مغادرة الآخرين إلى مصر وبين السلطة الفاطمية في مصر وبمرور الزمن حاول آل زيري الاستقلال بحكم المغرب إلى إن تحقق لهم ذلك فعلياً عام 443 هـ ولما كان الفاطميون عاجزين عن مجابهة آل زيري عسكرياً بعد أزمتهم الاقتصادية التي أشرنا إليها ، فقد قرروا توجيه القبائل العربية البدوية الضخمة التي تسكن الحوض الشرقي من مصر إلى بلاد المغرب انتقاماً من آل زيري، فجاءت هجرة بني هلال إلى المغرب بموجب خطة وضعها اليازوردي وزير الحاكم الفاطمي المستنصر بالله بأن أصلح القبائل الهلالية المتصارعة وأغرى رؤسائها بالعطايا وأغدق على أفراد قبائلهم الهدايا³ فاندفعت هذه القبائل عبر نهر النيل ونزلت منطقة برقة حيث المراعي الخصبة لحيواناتها ومن برقة استمرت قبائل بن هلال بالتدفق إلى أنحاء المغرب والصحراء . أما في المغرب الأدنى أفريقيا فقد اصطدمت القبائل الهلالية بالسلطة الزيرية ودارت بينهم معارك كثيرة نتيجتها سقوط المهديّة عاصمة آل زيري على يد العرب كما تم لهم السيطرة على مدن أخرى مثل تونس وبونه⁴ .

ويمكن القول إن الفوضى السياسية التي عمت المغرب بعد سقوط الحكم آل زيري يرجع إلى عدم قدرة الهلاليين على تأسيس أي امارة ذات أهمية في المنطقة أما الامارات التي

¹ ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 2 ، المصدر السابق ، ص 26

² الصيرفي ، الاشارة لمن نال الوزارة، تحقبق عبد الله مخلص ، القاهرة 1924 ، ص 42

³ ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج2، المصدر السابق، ص 29،30

⁴ ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج 2 ، المصدر السابق، ص 299

أسسها هؤلاء العرب الهلالية مثل إمارة بني جامع في قابس وبني جبارة في سوسة ، فلم تكن لها القابلية والقوة على إقامة دولة عربية قوية موحدة في بلاد المغرب لتضع حداً للفوضى السياسية فيه .

أما في المغرب الأوسط فقد انتشرت القبائل العربية الهلالية فيه مشتبكة بقبائل زناتة البربرية هناك ودارت بينهما حروب طاحنة كانت نتيجتها اندحار زناتة أمام الهلاليين¹ أما النتيجة الأكثر أهمية من ذلك فهي سقوط الكيانات السياسية لزناتة وصنهاجة وانتشار الهلاليين في بلاد المغرب وهيمنتهم على أنحاء المغرب الأدنى والأوسط.

أما مناطق الصحراء فقد شهدت هي الأخرى وصول مجموعات من القبائل العربية الهلالية ، لقد اندفع بنو سليم إلى صحراء فزان جنوبي برقة وطرابلس واستقروا في مراكز الاستقرار فيها بل إن الإدريسي¹ في القرن السادس الهجري يشير إلى إن مناطق فزان كانت تحت نفوذ العرب المنتشرين فيها ويبدو إن منطقة فزان أصبحت قاعدة للانتشار العربي في الصحراء باتجاه الجنوب والغرب بفعل العوامل البشرية والجغرافية والتجارية فمنها تدفق العرب إلى مناطق السودان جنوباً.

وأخيراً يمكن القول إن العرب الهلاليين الذين انتشروا في صحراء فزان بعد منتصف القرن الخامس الهجري أسهموا بصورة واضحة في تشكيل العنصر البشري إذ ان قبائل هلالية من بني زغبة تدفقت إلى الصحراء الواقعة جنوب المغرب الأوسط -الجزائر حالياً- واستقرت فيها. وباستعراض أحداث الغزو الهلالي للمنطقة نجد انه قد ترك بصمات واضحة على الحياة الاجتماعية وتم إجمالها بما يلي:

من الآثار البارزة التي أحدثها الغزو الهلالي للمغرب ، إقامتهم بالمنطقة واختلاطهم بسكان البلاد ، وترتب على ذلك أن تعرب قسم من سكان البلاد نتيجة للتزاوج وصلات

¹ الصيرفي ،المصدر السابق ، ص 12

القراية التي تمت على مر الأيام وامتزاج السلالتين بالدماء العربية² فإذا ما أخذنا الرواية التي تقدر عدد العرب الداخلين إلى الشمال الأفريقي ما يقرب من ربع مليون عربي وان هذا العدد أقام بالبلاد لتبين لنا مدى الأثر الجنسي على السكان الأصليين للبلاد ، وقد بلغ المد العربي حداً إن وصلت قبائلهم إلى سواحل المحيط الأطلسي وامتزجت بقبائل المصامدة وصنهاجة جنوباً ، ونتج عن ذلك أن بعض القبائل العربية تعربت كلية كقبيلة ذكالة ، وقد ساعد على هذا الاختلاط والامتزاج التشابه بين حياة العرب الهلالية وبعض قبائل البربر وخاصة التي تمتهن الرعي منه بالإضافة إلى اتفاقهم في الصفات الخلقية كالشجاعة وعزة النفس وإباء الضيم وحفظ العهد وحسن الجوار وغير ذلك من الصفات³

يضاف الى التعريب الجنسي ، أيضاً التعريب اللغوي نتيجة للاختلاط والمعايشة اليومية ، ومن ثم تعلم البربر وسكان البلاد الأصليين لغة الوافدين وهي اللغة العربية . وانتشرت في أجزاء كبيرة من البلاد وبذلك ساعد العرب على نشر الثقافة العربية بالمنطقة بعد ان تعلم كثير من أهل البلاد اللغة العربية على يد هؤلاء الأعراب⁴

وهكذا استطاع العرب الهلاليون أن يلعبوا دوراً خطيراً في أقاليم المغرب منذ ان وطئت أقدامهم أرض المغرب في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، وظلوا منذ هذه الفترة يؤثرون في تاريخ المنطقة ، وظهرت بصماتهم واضحة في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

واخيراً لابد من الإشارة الى كثرة الحديث بين المهتمين بالتاريخ القدامى والمحدثين⁵ ، عن نتائج الهجرة الهلالية الى بلاد المغرب وتصارع الافكار حول كون الهلاليين العرب يمثلون احد

¹ الادريسي ، المصدر السابق، ص 133

² ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق، ص 437

³ حركات ، المغرب ، المرجع السابق ، ص 307

⁴ المرجع نفسه ، ص 349

⁵ مثل ابن خلدون وابن عذارى عن المؤرخين القدامى ، والاستاذ صالح يوسف بن قرية عن المؤرخين المحدثين

اسباب الانهيار السياسي والاقتصادي الذي حل في منتصف القرن الخامس الهجري. لكن هذا لا يقلل من كون الحركة الهلالية كانت من اهم القنوات التي حملت العروبة بكل جوانبها الى اماكن لم تصلها العرب بهذا الشكل الواسع ويمكن القول ان النتيجة المهمة الاخرى هي فيما يخص تاريخنا لأفريقيا.

ومن خلال ما سبق استعراضه يمكن تقسيم عناصر السكان الى ثلاث عناصر أساسية تولد عنها رابع وهذه العناصر هي " الرواغة، العرب، الزنوج، المولودون "

أ- الرواغة:

هم الأصل الذي تسمى بهم الإقليم ينتسبون إليه وينحدرون من قبيلة زنانة البربرية ويمثلون الأغلبية في منطقة وادي ريغ الذين عمروا الإقليم وسكنوه قديما وتعود أصول الرواغة إلى قبيلتي ريغة وسنجاس المغراويتين واللتين سكنتا قصور ريغ القديمة¹

ب- العرب:

هم الذين وفدوا إلى المنطقة في شكل هجرات فردية في بداية الأمر الزيبان والجريد التونسي والمغربي، وهجرات جماعية بعد احتياج هلال وسليم إلى منطقة المغرب وهم منتشرون في كامل تراب الإقليم ويتوزعون إلى قسمين العرب الرحل أو كما يسميهم ابن خلدون الأعراب والعرب البدوية التي اختارت وادي ريغ موطنها لها.

ج- الزنوج:

هم من بقايا أبناء العبيد الذين جاء بهم التجار بلاد السودان، والذين جعلوا من سوق تقرت نقطة عبور نحو الشمال ومن الزنوج من وفد من منطقة توات " قورارة " فارين من أسيادهم ومنهم من وفد عاملا ومشتغلا من بلاد السودان¹.

¹ ابن خلدون ، كتاب العبر ... ج7، المصدر السابق ، ص64

د-المولدون:

أما المولدون فهم خليط من الدماء العربية و الدماء البربرية، ونتيجة التزاوج بين السكان الأصليين والعرب الوافدين، اختلطت الدماء الزنجية بالدماء العربية² ، ومع مرور الزمن اندمجت جميع هذه العناصر في عنصر واحد وأصبحوا يشكلون مجمعا واحدا يعمرون القصور والقرى على امتداد الوادي وتقلصت الأنساب وأصبح من الصعب التفريق بين والبربر والعربي والريغي والزنجي أو المولد .

المجاهرية

أما في تقرت جماعة من الناس يسمون المجاهرية وهم يقطنون حيا خاصا في البلدة، وقد كانوا في القديم يهودا و اعتنقوا الإسلام ، وهم الآن مواظبون على قراءة القرآن ويحفظونه على ظهر القلب وما زالوا يتميزون بالملامح الخاصة باليهود وهم لا يتزاوجون مع العرب ومن النادر أن يتزوج عربي بامرأة من المجاهرية ولهم مساجد في حيهم من البلدة وهم يصلون في المواقيت المحددة . ولهم ثروة هائلة ونساءهم تظهر في الأسواق محجبات ويتحدثن بالعبرية بينهن عندما يرغبن في إخفاء موضوع الحديث³ .

رجال الحشان

رجال الحشان⁴ هي كلمة تطلق على سكان وادي ريغ و تم إطلاقها أول مرة على الفلاحين الذين اشتغلوا بجلب فسائل⁵ النخيل من منطقة الزاب منذ ميلاد المسيح، و في ذلك

¹ للاطلاع أكثر راجع عنصر التجارة من هذا الفصل

Feraud Cherls , op ,cit ,p59

² أنظر

³ الاغواطي ، المصدر السابق، ص264

⁴ حشان بكسر الحاء وحشان بضم الحاء وجمع الجمع حشاشين بفتح الحاء وهو النخل المجتمع ، او جماعة النخل ، انظر

: ابن منظور، لسان العرب ، ج 6 فصل الحاء ، ص286

⁵ النخلة الفتية في جذوع النخل ، وليس لها في الارض عرق، وهي الراكوبة و الراكوب ، وقيل الفسييلة تخرج من أعلى

النخلة عند قمتها ، انظر :لسان العرب ، ج 1 ، فصل الرء ، المصدر السابق ، ص432

العهد حسب لغة البربر التي هي كانت سائدة في هذه المنطقة فيقال "آريازان تيزداي" أي رجال النخلة. وهم يعتقدون أن النخلة لها تأثير في الوجود بتصريف الروح وهذا الاعتقاد لا يزال منتشرًا بين المسنين منهم¹.

أما الأسطورة التي تروي عن الحشان وهي غير قابلة للتصديق والاحتمالات هي أن رجال الحشان هم سكان وادي ريغ، ويعود أصلهم حسب الروايات الشعبية إلى الحشان رفيق سيدي عقبة أثناء الفتح "حسان" وقد تحرف الاسم من حسان إلى حشان. وقد عرف حشان بالشجاعة وجزاء له أعطاه عقبة حكم المنطقة من بسكرة إلى ورقلة وقد استقروا في وادي ريغ. وبناء على الأسطورة الشعبية فإن الحشان مدفون في بلدة سيدي عقبة². أعتقد بأن هؤلاء السكان أرادوا ربط أصلهم بالفاتحين العرب لأن سكان هذه الأقاليم نلاحظ أن مخارج حرف الشين لديهم يميل أكثر إلى حرف السين لذا فهذه الرواية أصلاً بعيدة كل البعد عن أصل التسمية خاصة إذا وضعنا في الحسبان عدم الاعتماد على الروايات في عملية التأريخ.

يذكر ابن خلدون "وأكبر هذه الأمصار يسمى تقرت، مصر مستبحر العمران بدوي الاحوال، كثير المياه والنخل، ورياسته في بني يوسف بن عبد الله كانت لعبيد الله بن يوسف، ثم لابنه داود، ثم لأخيه يوسف بن عبيد الله، وتغلب على واركلا من يد أبي بكر ابن موسى أزمان حدائته، وأضافها إلى عمله، ثم هلك وصار امر تقرت لأخيه مسعود بن عبيد الله، ثم لابنه حسن بن مسعود، ثم لابنه أحمد بن حسن شيخها لهذا العهد، وبنو يوسف بن عبد الله هؤلاء من ريغة، ويقال أنهم من سنجاس، وفي أهل تلك الأمصار من مذاهب الخوارج³

¹ الشيخ محمد الطاهر بن دومة، مذكرة اخبار تاريخية لواحة تقرت وبعض ضواحيها، تحقيق محمد الطاهر عبد الجواد، محمد السعيد بوبكر، المطبعة العصرية للواحات، 1995، ص 11

² محمد بن محمد بن عمر العدواني، المرجع السابق، ص 260

³ مذاهب الخوارج، والمقصود به المذهب الإباضي فدولة الرستميين قامت على أساسه، والعداء بين الأمويين والخوارج من أبرز ظواهر التاريخ الإسلامي، بل إن الخوارج الذين أقاموا دولاً في المغرب الإسلامي - الرستميين في تاهرت وبنو مدرار في سجلماسة في جنوب المغرب - جاؤوا إلى هنا فراراً من ملاحقة الأمويين لهم في المشرق. للاطلاع أكثر انظر:

عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام، القاهرة، 2005، ص 356

وفرقتهم كثير ، واكثرهم على دين العزابية¹ ، ومنهم النكارية² ، وأقامو على انتحال هذه الخارجية لبعدهم عن منال الأحكام³ .

2- عادات وتقاليد المجتمع الريغي:

تشكل قرى أو مدن وادي ريغ وحدة بشرية متجانسة ومتماسكة، بحيث جمعيتها ظروف الطبيعة، ووحدها طريقة العيش وأسلوب الحياة، وبالتالي ما من مجتمع إلا وله عادات وتقاليد اجتماعية تترجم علاقته بالحياة وتحدد نظامه الاجتماعي، وبطبيعة الحال أن هذه العادات والتقاليد منها ما هو ايجابي ذو طابع حضاري، ومنها ما هو سلبي ويجب تهذيبه والتحرر منه، وتنقية المجتمع من كل شوائبه التي علفت به عبر الدهور والأزمان .

2-1- الاطعمة:

من أشهر المأكولات لدى سكان وادي ريغ وأفضلها هي الكسكسي وهذا الأخير يصنع من دقيق القمح الصلب يصنع بوسائل خاصة، ويطهى علي البخار، وللكسكسي أنواع منها:

- المسفوف - كسكس أحمر- البندراق : كسكس يأكل بعقدة البندراق وهي نوع من العشب المورق - المفور - المرشومة أو العيش - المختومة وتسمى في بعض الجهات المحجوبة - الرفيس البلدي و التونسي

¹العزابي هو كل من لازم الطريق وطلب العلم واتبع سيرة اهل الحق وحافظ عليها وعمل بها، للاطلاع اكثر انظر :الدرجيني ، المصدر السابق ، ج1،ص04 ، وتتمثل في فئة من رجال العلم والدين انتظمت في شكل حلقة تقوم بدور السلطة الروحية والدينية وهي الهيئة العليا على الاطلاق لها النفوذ الروحي على العامة واسع النطاق والسلطة المطلقة في كل ما له علاقة بالدين، وهي الهيئة الشرعية الحاكمة ، للمزيد انظر :توفيق المدني ، كتاب الجزائر،دار البصائر، الجزائر،2009،ص110

² هي احدى الفرق الاباضية ، كانت نشأتها سياسية ، تزعمها ابو قدامة يزيد بن فندين الذي انكر امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، وقام بالهجوم هو واتباعه على مدينة قمرت ، للاطلاع اكثر ، انظر : علي يحي معمر ، الاباضية مذهب اسلامي معتدل ، ط3، المطبعة العربية ، غرداية ، 1994،ص42

³ ابن خلدون ، كتاب العبر ... ج7 المصدر السابق ،ص65

أما بالنسبة إلى المشروبات فقد عرفت المنطقة بما يسمى باللاقمي وهو مشروب يستعصر من النخلة فيتناوله الناس حلوا صافيا باردا. ³ و يؤكد هذا الأغواطي في كتابه رحلة الأغواطي أن سكان تقرت يتناولون مشروب شائع بينهم يسمى اللاقمي وهم يستخرجونه من فروع النخيل وذلك بقطعها والضغط عليها، والواقع أن هذا العصير يستخرج من الجمار وهو قلب النخلة وليس كما ورد في العبارة، وهذا المشروب ذو مذاق حلو كما يباع بمكاييل في الأسواق¹

2-2- اللباس: [انظر اللوحة 06]

عرفت المنطقة بلباس البرانس، الفشاشيب، القنادير، السراويل الفضفاضة المعروفة بالسراويل العربية، وكانوا كما هو اليوم يضعون على رؤوسهم شواشي صوفية منسوجة محليا وأحذيتهم كانت وبرية تعرف في بعض المناطق بالعفافين². ويقول فون مالتسان³ عن البرنوس أنه هو الشائع عندهم ويرتديه خاصة الشيوخ الكبار فهو يعطي هيبة وشخصية لصاحبه وذلك عندما ذكر في بداية رحلته بأن سيدي عمر مرافقه في الرحلة عندما التقى به أول مرة كان يرتدي ثلاثة برانس بيضاء تلوح على ملامحه سيمامة النبل، وكذلك عندما دخلوا قصر بني جلاب بمدينة تقرت قابلوا حاكمها وقال فون بأنه كان في حوالي الأربعين من عمره وكان هو وثلاثة أو أربعة من الجالسين بقربه يرتدون برانس بيضاء تلوح من وجوههم سمة الوقار عموما كما لم يحظ كل الناس بما ذكرناه من لباس وكثير منهم كانوا يستعملون بذلة واحدة طوال السنة و أن البذلة وقتئذ كانت قندورة و سروال، ربما يعود السبب إلى أن المستوى المعيشي العام لدى السكان لم يكن كطبقة الأشراف أو الأغنياء

¹ الأغواطي، المصدر السابق، ص 265

² عبد القادر نوحه، المرجع السابق، ص 42

³ هاينريش فون مالتسان، المصدر السابق، ص 152 125

2-3- الزواج :

يتم الزواج عموماً في مدن وقرى واد ريغ بصفة متشابهة ومتقاربة ومن بين هذه القرى نأخذ الزواج في بلدة عمر حيث كان يتم ربطه بما ما يعرف بعيد النخلة وهذه الأخيرة يحتفل بها مرتين في السنة بمثابة تبرك وشكر لله على نعمته، العيد الأول يسمى زيارة النخلة ويكون لظهور بشائر الغلة، والعيد الثاني يسمى المبيت ويكون عندما يكثر نوع من منتوج التمور يسمى بالمنقر وهو بداية نضج التمر. وفي هذه المناسبة السنوية كانت تتم فيها خطوبة الفتيات، فكل شاب رغب في الاقتران بها يستغل هذه المناسبة زيارة النخلة فيقدم للفتاه مما يباع في معارضها يقال له "تعقادة" ، في حين أن الفتاة إذا قبلت بتلك العطية قبلت بشاب خاطباً وزوجاً لها في المستقبل، ولا يكون ذلك إلا بعد أن تصرح لأهلها بصاحب العطية فإذا قبلت الأم بالخطوبة تحتفظ الفتاة بالعطية وإذا رفضت ترد العطية عن طريق أمه أو أحد أقاربه بمعنى رفضت الخطوبة¹

عند اقتراب موعد الزواج يقدم للعروس ما يسمى بالدفع وهو ما يعرف بصداق وفي بعض المناطق يعرف بشرط كما كانت تتم مدة الزواج آنذاك أربعة عشرة يوماً كالآتي:

- اليوم الأول: أهل العريس يكونون قد أعلنوا للناس والجيران أنهم في يوم كذا سوف ينثرون في البداية الغرس من نوع دقلة نور مهياً من قبل ويفترشون الحصائر وعليها تنثرون التمر تحت وقع الزغاريد والتهليل والتكبير والحاضرون يتخاطفون على ذلك التمر.

- اليوم الثاني والثالث: ينتظر فيه وصول الخبر لكل الناس على أن العرس قد بدأ أي أن جميع الناس قد علموا ببداية العرس أو وزاج

مساء اليوم الثالث يخرج القصادون- "هم فرقة المدائح الدينية تكون مصحوبة بضرب الدفوف و الطبله"- بالعريس إلى مجلس خاص به مع رفقائه بعد أن يتم إلباس العريس ، كما يتوجهون به إلى المسجد بالتهليل والتكبير وكذا يزورون به بعض الأماكن من منطقتة²

¹ عبد القادر نوحه، المرجع نفسه، ص 46، 42

² عبد القادر نوحه، المرجع السابق، ص 46

-اليوم الرابع هو يوم خاص للحناء والزيارات، حيث يتم فيه زيارة قبور وأضرحة مشائخ وأولياء منطقة وادي ريغ بجموع من الشباب مع العريس والعروس.
-اليوم الرابع والخامس والسادس وفيه تقوم العروس بالتوجه إلى أغلب منازل وبيوت البلدة تعريفا بزواجها وإعلانا عنه.

-اليوم السابع هو يوم الاقتران أي تزف العروس إلى عريسها بما يعرف بالحجبة وتقضي هناك مدة أسبوع، وتسمى بالسبوع .
-اليوم الثالث عشر تقام فيه وليمة من قبل أهل العريس وتحضر أطباق تقليدية مثل المختومة وغيرها من المأكولات المتعارف عليها وتأكل منها أولا العروس ورفيقاتها.

اليوم الرابع عشر هو يوم الجمار أي يخرج العريس رفقة أصحابه ومن شاء من الحاضرين إلى الغابة فيقتلعون من نخلة صغيرة جمارها فتأكل العروسة ويسمى العروسة لأنه يخص للعروسة ويأكل كذلك الحاضرون .وبعد صلاة المغرب أو العشاء تنتهي أيام الحجبة وكذا أيام العرس، فيلتحق الزوجان بدار الزوج التي غالبا ما تكون هي دار الأب وعلى العموم فإن في ذلك الوقت لم يكن هناك قاض للعقود، والزواج يتم بقراءة الفاتحة من قبل شيخ البلد وفق صيغة معينة متعارف عليها .

2-4-زيارة النخلة :

الناس في ستارة"بلدة عمر"اعتادوا إقامة حفل سنوي يسمى زيارة النخلة فيكون عند ظهور بشائر الغلة للتبرك وشكر الله على نعمته، يعلن رجال الحشان عن موعد الزيارة التي غالبا ما تكون يوم الاثنين .يومها كل أسرة في البلدة تلتزم بتحضير أكلة متوجهين إلى الغابة المعهودة التي يقام بها الحفل وهناك ترى معارض لبعض المصنوعات السعفية والصفوية، والمأكولات، وهذه الزيارة يحضرها نفر كبير من سكان الحواضر المجاورة بنية الخطبة كما ذكرنا سابقا في باب الزواج .ويطوف رجال الحشان بالطبول والمزامير في إطار ما يسمى الحضرة وينتهي بجولات في البلدة

2-5-المبيت :

نوع آخر من عادات التوجه إلى الله وحمده على نعمه للحصول على هذه الغلة وصلاحتها وهو مناسبة انفردت بها ستارة"بلدة عمر"في منطقة وادي ريغ فعندما ينتشر ما يسمى المنقر"نوع من أنواع التمور"يعلن رجال الحشان عن هذه المناسبة ويكون الإعلان عنها بالتجول في كامل شوارع البلدة تحت وقع الحضرة وذلك بضرب البندير ورفع التهليلات والتكبيرات ،واليوم المحدد غالبا ما يكون مساء الجمعة ويتوجه الناس رجال ونساء إلى مقبرة المشايخ حيث ضريح سيدي محمد بن السائح، ويتجمعون فيذبجون ويطبخون ثم يأكلون . ولحماة القرآن حلقة خاصة هناك في هذه المناسبة يجلسون ويقرؤون القرآن كاملا .ويبيت كل الناس هناك ساهرين على حلقات الحضرة وسيدي عمار أو تجمعات ذكر الله أو ذكر أعمال المشايخ حتى فجر اليوم الموالي¹

إضافة إلى هذه العادات والتقاليد للمنطقة هناك بعض الأعمال الأخرى التي تعارف

عليها السكان وتدخل ضمن هذا المجال نذكر منها:

2-6-التوزيع :

هي العمل الجماعي الذي يقوم على أساس التعاون والتضامن والتآزر من جميع أفراد المجتمع للتغلب على الصعوبات التي تواجه الفرد الذي لا يستطيع القيام بها لوحده .ولذلك ترى القوم يتعاونون في إطار ما يسمى التوزيع في بناء دور السكن وحفر الخنادق وشق السواقي وجني التمور وحصاد الزرع ودرسه ... الخ .3 فإذا عزم مثلا فلاح على انجاز عمل ما أو تنفيذ مشروع من المشاريع ما عليه إلا أن يحدد يوم ثم يخبر الأصدقاء والجيران والمعاونين بما أقدم عليه قبل الموعد بيوم أو يومين، وفي يوم الموعد سيحضر الجميع باستعداد وحماس لانجاز العمل، كما يكون عملهم مصحوبا بالمدائح الدينية والذكر .

¹ عبد القادر نوحه، المرجع السابق، ص 52،53

2-7-المغارسة :

هي عادة حسنة وعرف من الأعراف التي بها تمكن كثير من الناس من التملك والحيازة العقارية، وهذا النظام يقوم على اتفاق بين أطراف معينين على استصلاح قطعة أرض وغرسها بالاشتراك والمساهمة .مثلا طرف يشترك بالأرض، طرف يشترك بمياه السقي، طرف يشترك بالأشجار وفسائل النخيل، طرف يشترك بالعمل والعناية بالأشجار .فإذا بلغت الأشجار حجما معيناً وبلغت قدراً من الإنتاج يتم تقسيمها على حسب الأطراف المشاركة، ويأخذ كل طرف سهماً من الأسهم مقابل ما اشترك به¹

2-8- الاحتفال بشهر رمضان :

إذا حل شهر شعبان يبدأ القوم في الاستعداد لشهر رمضان والتحضير لاستقباله فيحضرون المؤونة الخاصة من :سمن، زبيب، الفريك، التوابل، كسكس وغير ذلك مما يخص الزاد

وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان يخرج الناس ويتجمعون يتطلعون إلى رؤية الهلال فإذا هلا هلاله وشاهده الناس العدول يقبل الناس على المساجد للشروع في صلاة التراويح التي تتخذ في المساجد والمصليات والبيوت وتتوسع حلقة قراءة الحزب التي كانت في الأيام العادية تقتصر على البعض وتستمر أيام رمضان ولياليه .هكذا عبادة وذكر، وفي ليلة السابع والعشرين يستعد لها الصائمون فيبعثون إلى المساجد بالأطعمة وأنواع المأكولات وبعد الإفطار يتوجه الجميع رجال وأطفال لحضور ختم القرآن بما فيهم الذين لم يواضبوا على حضور التراويح في الأيام السابقة لأن هذه الليلة عندهم من أعظم الليالي وأجلها ففيها تقدر الأرزاق وتغفر الذنوب وتخط الأوزار ويتقوى الإيمان ومن فاته الاجتهاد في هذه الليلة فقد فاته خير كثير لن يعوض أبداً، وفيها يستجاب الدعاء ولذلك تراهم يسعون إلى المساجد سعياً يذكرهم الله ويدعونهم ويشهد الجميع صلاة التراويح لعلهم يفوزون بالاستجابة .أما النساء فيبعثن مع أزواجهن أو أطفالهن الرقي والسراير لتوضع في المحاريب أو بجانب أعمدة المسجد لتعلق بها

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص 34 33

بركات القرآن وتصلي عليها الملائكة وتركيبها ليلة القدر فتجلبب .الشفاء للمرضى وتفك العقم وتدفع أذى العين وغيرها من الاعتقادات¹

2-9- الاحتفال بعاشوراء :

عندما يحل شهر محرم تنطلق المهرجانات الاحتفالية المتنوعة تشمل الرقص والألعاب البهلوانية والتنكر بأزياء غريبة وهذا ما يعرف أو يسمى بالحلة وهي جمع حلل وحلال وهو المكان الذي يحل فيه الناس بكثرة ويتجمعون وكان ذلك في حدة ساحات من عدة أحياء ومن ذلك حاسة المجزرة بالنسبة لأهل أولاد زائدة وساحة الولي عمر بالنسبة لأهل دخاخنة². فيجتمع الناس مساء من الأسبوع الثاني من محرم بما في ذلك يوم عاشوراء وحتى آخر ليلة من الليالي القمرية .فترى هذا يرتدي زي حيوان مفترس آخرحيوان أليف بالنسبة لآخر وذلك بلباس أسود وآخر في زي شيخ مسن وآخر في زي عسكري فرنسي وهم يتنقلون أمام جمع غفير منة الناس من مكان إلى آخر على أنغام دقات الطبول وأصوات المزامير والناس من حولهم يشاهدون ويصفقون ويهتفون من حين لآخر³

2-10- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف :

إذا هلا هلال ربيع الأول يستبشر الناس بقدمه فيحيون لياليه بالأفراح فالرجال يجتمعون في المساجد على المدائح الدينية التي تمدح صاحب الرسالة، والنساء في البيوت أما الأطفال فينتقلون بين المساجد والبيوت ويتجولن بالشوارع يحملون الشموع ويلعبون بالمشاعل والمتفجرات وفي النهار يطوف تلاميذ الكتاتيب القرآنية ينشدون الأناشيد، ويجمعون الهدايا والهبات لمعلميهم .وفي ليلة الثاني عشر ترتفع الأفراح إلى قممها فتزداد الحركة إلى المساجد ويتوافد القوم بالمأكولات والمشروبات وتخص بالرجال والأطفال وربما النساء في بعض القرى ليستمعوا إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم² وبعد الانتهاء

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص37

² عبد الجواد محمد الطاهر، المرجع السابق، ص10

³ عبد الجواد محمد الطاهر، المرجع السابق، ص10

يدعوا الإمام للحاضرين بالنصر للمؤمنين والرحمة والغفران للمذنبين ثم تتواصل السهرة على إنشاد الأناشيد ومدح المدائح إلى صلاة الفجر، وفي تلك الليلة تشعل الشموع في البيوت والغرف وتكون ليلة مضيئة رمزا لهذه الليلة التي أضاءت للبشرية .طريقها

2-11-الحضرة وزيارة الأولياء :

كانت زيارة أضرحة الأولياء ظاهرة اجتماعية الشائعة بالإقليم ، فلكل ضريح من الأضرحة المنتشرة عبر الإقليم وقت معلوم تشد إليه الرحال لزيارته وإقامة الطقوس من حوله وتنظيم حضرة هكذا تسمى هذه الأخيرة وهي مأخوذة من حضور الناس وتجمعهم ويقال أن المؤسس الأول لها هو الولي قاسم الذي عرف بضرب الدف منشد المدائح على النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأولياء الصالحين

كما يمتاز سكان وادي ريغ بتعلقهم الكبير بالأرض التي تعد مصدر أساسي لرزقهم وحياتهم ولهذا الغرض تم إيجاد عملية جديدة لتطوير الأرض وهي تقوم على اقتطاع صاحب الملك فدان من أرضه ويقوم بتقديمها إلى شخص لا يملك أرض حيث يقوم هذا الأخير بفلاحتها وزراعتها ويستفيد من إنتاجها، أما صاحب الأرض فيستفيد من خدمتها وحرثها وتسميد وهذه العملية أطلق عليها أصحاب وأفراد المجتمع بالمزارعة¹

ان الملفت للانتباه في تطور العمارة الاسلامية هو الارتباط الوثيق الموجود بين الازدهار الاقتصادي والازدهار العمراني ، اذ يقول ابن حزم الذي نقله ابن الازرق : "يأخذ السلطان الناس بالتجارة وكثرة الغراس ، ويقطعهم الاقطاعات في الارض الموات ويجعل لكل احد ملك ما عمر ، ويعينه على ذلك ، لترخص الأسعار، ويكثر الأغنياء..."².

فهو يؤكد انه من واجب الدولة أن تفتح امام الناس مجالات للكسب والاستثمار ، وأن تساعد على البناء والتعمير ، ليكون ذلك سببا في رخص الاسعار ، وانتشار مظاهر الرفه.

¹ العربي الزبيدي ، المرجع السابق ، ص 109

²ابن الازرق، المصدر السابق، ص223

ويقول ابن خلدون: "فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لأهلها ونفاق الاسواق انما هو في تفاضل عمراتها في الكثرة والقلة.....ومتى زاد العمران زادت الاعمال ، ثم زاد الترف تبع للكسب ، وزادت عوائده وحاجاته ، فما كان عمرانه في الامصار اوفر ، وأكثر ، كان حال أهله في الترف أبلغ من حال المصر الذي دونه..."¹.

وهو يشير هنا الى ان ارتفاع مستوى الدخل الفردي يزيد بازدهار العمران ، ويعطي مثال من واقع الحياة ، ومما هو مشاهد عنده فيقول : " واعتبر ذلك في المغرب مثلاً بحال فاس مع غيرها من الامصار الاخرى " ، التي كانت في اوج عزها ومجدها ، وتنافس ملوكها في بناء القصور ، والمدارس ، والمساجد ، والحصون ، والطرق ، والقناطير...

ثم قارن ابن خلدون بين بجاية وتلمسان وسبته وفاس ، ليقرر في النهاية انه كلما ازدهر العمران نمت الحركة الاقتصادية وزاد الدخل الفردي ، والرخاء والنماء ، وتحسن مستوى المعيشة الى ان يقول " وحيث الدخل والخرج أكثر ان تكون الاحوال أعظم ، وهما بفاس أكثر لنفاق سوق الأعمال بما يدعو اليه الترف ن فالأحوال اضخم ، ومتى عضم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن ، ووسع المصر ، وكل شيء يبلغك من مثل هذا فلا تنكره ، واعتبره بكثرة العمران ، وما يكون عنه ، من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها البذخ..."

ويقول ابن الازرق في كتابه "بدائع السلك في طبائع الملك" : "ان الدولة والملك والعمران بمنزلة الصورة والمادة ، وهو الشكل الحافظ لنوعه ن وانفكاك احدهما عن الآخر غير ممكن على ما تقرر عند الحكماء ، فالدولة دون العمران لاتتصور و العمران دونها متعذر، وحينئذ فاختلال احدهما مستلزم لاختلال الاخر ، كما ان عدمه مؤثر في عدمه". ثم يقول: "الملك بالجند والجند بالمال ، والمال بالعمارة..."².

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1 ، ص 270-272

² ابن الازرق، المصدر السابق، ج 1 ، ص 226

نستنتج ان ابن خلدون وابن الازرق يؤكدان ان ازدهار العمران من اسباب تعدد مصادر الكسب ونمو الاسواق وتنوعها.

يقول ابن الأزرق: " تعدد الأعمال من أسباب الكسب ، وهو مما يفضي الى وجود الثروة ، وينشأ عن ذلك شموخ الملك بنمو الجباية ، وصرف ما يفضل منها فباتخاذ المعازل والحصون ، واختطاط المدن والامصار". وينقل عن ابن خلدون قوله : "اقوى الاسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف -الضرائب- على المعتمرين ما أمكن ، فبذلك تنشط النفوس اليه ليقينها بادراك المنفعة فيه...."¹

وهو يقصد بهذا الى وجوب تسهيل امور السكن والمعيشة ، ليقبل الناس على البناء العماره ، وعلى تعاطي اسباب الحصول على الرزق والتوسع في البناء. ومن هذا المنطلق يستوجب علينا دراسة الجانب الاقتصادي للمنطقة لما له من اهمية وعلاقته الوطيدة بالتطور العمراني.

ثانيا :الحياة الاقتصادية

1-الزراعة:

من أسباب استقرار السكان لاقليم وادي ريغ واختيارهم لها كموطن وعمارتهم للإقامة، توفرها على المياه الصالحة للزراعة والتي اعتمدوا عليها أيضا في معيشتهم منذ القدم. و بتعاقب الأزمة واستقرار الفلاحين وارتباطهم بالأرض أصبحت المنطقة عامرة يضرب بها المثل مما جعلها مقصدا للمهاجرين ومأوى للمسافرين والعابرين من مختلف الفئات و محل نزول قبائل عديدة جاءت من كل الجهات، خاصة من الأقاليم المجاورة والذين أصبحوا فيما بعد يشكلون سكان المنطقة.

¹المصدر نفسه ، ص226

وأهم مكونات الثروة الزراعية تتمثل في النخلة¹ التي إهتم السكان بغرسها في شكل فسائل سميت بالحشاشنة وبعد غرسها تسمى بالجبارة² اللينة³ وعندما تكبر وتثمر تصبح نخلة³، وفي هذا الصدد يقول فون مالتسان⁴: "إن إقليم وادي ريغ عرف بكثرة النخيل، فواحة تمرنة احتضنتنا بظلال نخيلها الشامخ... وواحة غمرة أيضا غنية بالنخيل...".

أما شارل فيرويقيول⁵ "تضم تقرت على الجانب الغربي من واحتها قرابة الأربعة مائة ألف نخلة هذا دليل على أنها واحة كثيرة النخيل".⁵ حقا أن شجر النخيل يعتبر أساس العمران في إقليم وادي ريغ، إلا أن نوعية التربة والأرض التي يتميز بها الإقليم كذلك جعلها تتنوع في المحاصيل الأخرى.

فالفلاحة لم تكن تتمثل في استغلال النخيل فقط بل في زراعة بعض المنتجات الاستهلاكية الأخرى في المساحات المروية من الواحة ومن هذه المحاصيل نجد: من الحبوب الذرة، الفول، الشعير...، ومن الخضار نجد البطاطا، الفلفل، الطماطم، البصل، الجزر، الخردل، الثوم، السلق، الباذنجان...، أما من التوابل لدينا الكزبرة، حبة الحلاوة، الحلبة،

¹ نخل: نخل الشيء ينخله نخلا وتنخله وانتخله، صفاه واختاره، وكل ما صفى لليعرف لبابه، والنخلة شجرة التمر جمعها نخل ونخيل، انظر ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، فصل النون، ج 11 ص 651-652 وقد عرفت النخلة في اغلب الحضارات القديمة كالسومريين والأشوريين والبابليين في بلاد ما بين النهرين، تنبت على ضفاف دجلة والفرات قبل 4000 ق م، وانتقلت زراعتها لمنطقة المغرب الاسلامي عن طريق الفاتحين الأوائل الذين كان زادهم التمر، ومخلفات هذا التمر هو النوى "العلف" الذي زرع ثم كبر وثمر، انظر: فاضل السباعي، "زراعة النخيل عند العرب مشروع دراسة مقارنة"، مجلة التراث العربي، دمشق، عدد 58، جانفي 1995، ص 78

² النخلة الفتية "جبار النخل" أنظر: لسان العرب، فصل الجيم، الجزء 4، ص 113

³ عبد القادر نوحه، ستارة بين امجاد الماضي وحواضر اليوم، تاريخ وحضارة، ط1، مطبعة مزوار الوادي،

الجزائر، 2011، ص 58

⁴ فون مالتسان، المرجع السابق، ص 142-145

op.cit, p56

⁵ انظر

البسباس... ، وأخيرا من الفواكه والأشجار المثمرة ينتج البطيخ بأنواعه، التين، الزيتون، الرمان، المشمش، التفاح، التمر¹...

يقول ابن الدين الأغواطي² في رحلته "تعتبر تقرت بلدة الثروة والرخاء فهي تنتج التمر والتين، العنب، الرمان، التفاح، المشمش، والأجاص، وغيرها من الفواكه.

على الرغم من هذه المزروعات التي تنتجها المنطقة أو الإقليم بكميات نسبية لسد حاجيات الأهالي إلا أن غراسة النخيل بقيت متغلبة على باقي المحاصيل الأخرى³ وذلك لما يقدمه النخيل من ثروات هائلة لأصحابه، فقد كان الأهالي يستفيدون منه في جميع متطلبات حياتهم إن لم نقل بأنها كانت مرتبطة وتعتمد على النخيل بعد الماء لأنه ثروة بلادهم ومورد حياتهم، فالتمور لوحدها تعد ارتكاز النشاط الاقتصادي للمنطقة، فمنه يقتاتون ويخزنون ويبيعون ويتاجرون حيث تشمل الواحات الجزائرية على نحو خمسة آلاف وخمسة مائة ألف نخلة مثمرة منها سبع مائة وثمانين ألف نخلة تنتج نوعا من التمر معروف بدقلة نور وهو افخر وأفضل أنواع التمور، وعموما تنتج الواحات حوالي ألف وخمسة مائة ألف قنطار من التمر يرسل منه نحو مائة وخمسين ألف قنطار للخارج⁴. كما كانوا يخصصون مكانا من البيت أو غرفة منه للتمر، وتقسم حسب أنواع التمر ويفصل فيما بينها، أي بين التمر التي يتخذها الفلاح لنفسه كعولة وبين التي ستباع ويتاجر بها، ويستخرج أيضا من هذه التمور حتى العسل لكن من نوع خاص وهو الغرس، لأن للتمور أنواع وأنماط عديدة منها:

¹ ناصر الدين سعيدوني ، وراقات جزائرية ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، في العهد العثماني ، ط 1 ، دار

الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، ص 542

² الأغواطي، المصدر السابق، ص 263

³ سماعيل العربي، المرجع السابق، ص 152

⁴ أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق . ص 477

الغرس، دقلة نور¹، دقلة بيضاء، تينيسين، طنطبوشت، تفزوين، تأتي، اليتيمة"اليتيمة"، بوعروس"إصبع العروسة"، لعجينة، ظفر لقط، اللولو، الحلوة" الحلوى"، تاودانت، الحمراية، العماري، كونتيشي، الأرشتي، دقل مغص،... الخ .

حتى أن نوى التمر كان لا يرمى بل كانوا يجمعونه ويعلفون به البعير أو يباع إلى أصحاب الرعي لأن الماشية كانت تعلف من نوى التمر أيضا هذا بالنسبة للتمر. كذلك يستخرج من النخيل إلى جانب التمور ما يسمى بالجمار وأيضا مشروب يسمى باللاقمي، وهنا يقول الأغواطي: "وهناك مشروب اللاقمي وهو شائع بين سكان تقرت وهم يستخرجونه من فروع النخيل بعد قطعها و الضغط عليها...، وهذا الشراب يباع بمكاييل في الأسواق"². والواقع أن هذا المشروب لا يستخرج من الفروع وإنما من قلب النخلة الجمار مع العلم أن بعد قطعها تموت النخلة، ولهذا لا يستخرجون من النخيل الصغير بل من النخيل الذي لم تعد الاستفادة منه كثيرا، ولا تتوقف زراعة النخيل عند التمر.

والجمار ومشروب اللاقمي فقط بل حتى جذعها يضمن الدفاء والوقود ومن خشبها يتخذ سقف البيت وأبوابه وأثاثه ومن سعفها يصنع السلاسل والمضلات والسجاجيد.... وغيرها من الحرف التي سنتطرق لها في الجانب الصناعي .

لقد كان بالفعل للنخيل دور كبير في حياة أهالي وادي ريغ موطن النخلة . وبدورها مصدر قوته وزرقته، وأما تلك المنتجات الأخرى فهي إلا منتجات ثانوية ولكي نتحصل على أوفر وأفضل منتوج يجب العناية بالأرض وخدمتها بشكل جيد، لأنه قد تصيبها بعض الأمراض التي تؤثر على النخيل أو الغابة بصفة عامة مثل القصب أو نبات اللوأي وغيرها وحتى الخنزير الذي ظهر في الآونة الأخيرة الذي وجد في القصب المكان المناسب للاختباء والعيش بينه، ولهذا يجب على الفلاح أن يكون متنبها لمثل هذه الأمور التي قد تنقص من منتوجه

¹تعتبر من أجود التمور

²الأغواطي، المصدر السابق، ص265

الزراعي أو تؤدي إلى إتلافه نهائيا في بعض الأحيان .ودائما قبل أن يقوم الفلاح بزراعة أي منتج يقوم أولا بتقليب الأرض جيدا ثم يعالجها بالأسمدة، ولهذا العملية طريقة خاصة ثم تزرع الأرض بشتى المنتجات إما شعير أو فسائل " شتلة " فلفل أو طماطم وغيرها، ثم في الأخير تسقى الأرض، والشيء المهم في هذه العملية كلها هو التأكد من تقليب الأرض من أجل تهيئتها لعملية الزرع، لأن من خدم الأرض جيدا يحصل على منتج أفضل وهذا يعود على حسب نوعية الأرض وتربتها إذا كانت صلبة أو هشة.

وزمن الحراثة والزراعة يكون بالمواسم أو الفصول ففي فصل الشتاء يزرع الشعير والخردل والسلق، أما في فصل الربيع يزرع الفلاحون الفلفل، البصل.... وفي الخريف كذلك تهيأت أعمال الزرع التي تنتج في الشتاء وهنا يقول الأغواطي¹ الحراثة في تقرت هي شهر أكتوبر وشهر ماي".

كما أنه على الفلاح أن يقوم بتنظيف الغابة والعناية بها كما ذكرنا سابقا إضافة إلى القصب والحشائش وغيرها عليه بتقليم الأشجار والنخيل مثل العراجن والجريد اليابس الذي ينزع فإنه لا يرمي وإنما أيضا يستفاد منه فإما أنه يستعمل لإقامة سور على البساتين و سترها وتعليم حدودها أو أنه يباع وفي الغالب إلى أهالي الطيبات أو وادي سوف لأنهم يستخدموه في حرق الجبس أيضا.

مما سبق نستنتج بان الزراعة هي المورد الاقتصادي لمعظم سكان المنطقة فقد ساهمت في استقرار الكثير منهم بما رغم صعوبة الطبيعة الصحراوية، وندرة مياه الأمطار، وبما ان الفلاحة تتطلب المياه الوفيرة لضمان انتاج اوفر وبجودة عالية، فقد تمكن الفلاحون والمزارعين بذكائهم من ايجاد حلول بديلة ومناسبة لمواجهة صعوبات المنطقة ومتطلبات الفلاحة ، فأنشئوا الواحات الخضراء الوافرة الظلال، فيما هي هذه الحلول التي اوجدها الفلاحون لمواجهة هذه الصعوبات؟ وكيف تم استغلال مصادر المياه وتوزيعها على الفلاحين؟

¹ الأغواطي، المصدر السابق ، ص 265

2-المياه وطرق استغلالها

يرسم الماء خلال حركته على سطح الأرض ، دورة مغلقة تدعى عادة " بالدورة المائية"¹ وتتم هذه الحركة بعدة عوامل، أهمها :

الطاقة الشمسية الساقطة على سطح الأرض، و الجاذبية ، فبتأثير الأشعة الشمسية تتبخر كميات كبيرة من مياه البحار و المحيطات، حيث تتكاثف على شكل سحب وضباب، تنتقل بعدها هذه السحب على سطح الأرض و باتجاه اليابسة في أغلب الأحيان بتأثير التيارات الهوائية وحركة الغلاف الجوي حيث تهطل بسبب عوامل معينة على شكل أمطار أو ثلوج، تغذي الأنهار والبحيرات و البحار و المحيطات لكي تبدأ الدورة المائية من جديد² . ويتبين من الدراسة الهادفة للقرآن الكريم للمياه الصاعدة و النازلة، والتي تأخذ مفهوم الدورة الهيدرولوجية . أن هذه الدراسة في القرآن واضحة ومبينة في الكثير من آياته وضوحا يلفت النظر حيث نستطيع ان نبينها من خلال:

2-1 -المياه النازلة والصاعدة وشروط ملكيتها:

2-1-1-المياه النازلة:

يقول الله تعالى " وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات"³، ويقول جل شأنه "الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فييسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من

¹ الدورة الهيدرولوجية hydrologique cycle الدورة المائية من البحر إلى اليابسة من خلال الغلاف الجوي وعودتها

من اليابسة إلى البحرأنظر ، معجم الهيدرولوجيا ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، 1984 ، ص72

² جلال الخانجي : مدخل مفهوم الدورة الهيدرولوجية عند العرب و المسلمين ، كتاب أبحاث المؤتمر السنوي الثالث

للجمعية السورية لتاريخ العلوم، معهد التراث العلمي العربي بحلب ، 1980 ، ص86

³ الآية 57 من سورة الأعراف

خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون¹ تحمل هاتين الآيتين دلالة واضحة ويكفي أن نعبر عنها كما يلي:

رياح مرسلة تحمل سحباً يساق إلى اليابسة ينزل به المطر، ويلاحظ دقة العبارة القرآنية حيث يقول الله عز وجل " وأنزلنا به الماء" والضمير في " به " عائد على السحاب وقد ثبت حديثاً أن السحاب هو الوسطة لإنزال المطر، ويعد مكثفاً لبخار الماء الذي تحمله الرياح وخاصة في الأمطار الغزيرة².

يعاني إقليم وادي ريغ من ضآلة الأمطار المتساقطة، نظراً لطبيعة المناخ السائدة "المناخ الصحراوي، كما يعاني الإقليم أيضاً من قلة الأودية الجارية، والتي كانت في معظمها أودية كاذبة كوادي المرارة ووادي الزريق، ووادي الرتم ... الخ .

2-1-2- المياه الصاعدة:

يقول الله تعالى: " وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكنناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون"³. يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية " وأنزلنا من السماء ماءً" إشارة إلى الماء العذب و أن أصله من البحر ، رفعه الله بلطفه وتقديره من البحر إلى السماء حتى طاب بذلك الرفع و التصعيد، ثم أنزله إلى الأرض لينفع به، و أخبر الله بأن الماء الذي أنزله من السماء استودعه في الأرض وجعله فيه مختزناً لسقي الناس يجدونه عند الحاجة⁴.

ويقول تعالى " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه"⁵. يقول القرطبي¹ في تفسير هذه الآية أنزل من السماء ، أي من السحاب

¹ الآية 48 من سورة الروم

² جلال الخانجي ، المرجع السابق، ص87

³ الآية 18 من سورة المؤمنون

⁴ القرطبي: ابوعبدالله بن احمد، الجامع لأحكام القرآن الكريم، تحقيق عبدالرزاق المهدي، طبعة 01، مجلد 10

، دارالكتاب العربي، بيروت. 2004. ص112

⁵ الآية 21 من سورة الزمر

ماء، أي المطر ، فسلكه :أي أدخله في الأرض و أسكنه فيها قال الضحاك و الشعبي : كل ماء في الأرض فمن السماء نزل .

وتدل هذه الآية دلالة بينة على وضوح مفهوم الدورة المائية في القرآن الكريم لعل هذا المفهوم الواضح للدورة الهيدرولوجية في القرآن الكريم هو الذي هياً ظهور فكرة هذه الدورة في وقت مبكر على يد المهندسين المائين المسلمين لذلك نجدهم قد بذلوا كل جهودهم في كيفية الاستفادة من المياه النازلة، ومحاولة التقليل من منسوب تبخرها أو تسربها إلى باطن الأرض، وقد كان الاهتمام بهذه المادة النادرة والمقدسة من طرف كل المسلمين خاصة في فصل الصيف الحار، حيث نجد انه في القديم لا يخلو بيت من ميزاب على السطح لتصريف هذه المياه النازلة حيث توضع تحتها العديد من الأواني.

2-1-3- شروط ملكيته:

ولقد حدد الفقهاء وبالأخص عند قانون المياه "لأبي العباس الفرسطائي" في عنصر ملكية الإنسان لماء المطر، حيث حدد ملكيته بقدر القبض عليه في الأوعية المنزلية مثل الزقاق و القلل و أشبهها من الآنية المنزلية .

أما فيما عدا ذلك من أوجه التحكم في هذا الماء من تجميع أو العمل على زيادة سرعة جريانه أو تسريبه على باطن الأرض ، فإن ذلك لا يخول حق الانتفاع، وبذلك يخرج هذا الماء من نطاق الملكية، ويبقى في مجال التصرف . كما تعتمد مقارنة أبي العباس في تصوره بجانب ملكية ماء المطر، و التصرف فيه على مبدأ أساسي وهو " اشترك الناس في المنفعة المنجزة عن الماء دون الملك " ².

¹ القرطبي، المصدر السابق، مجلد 10 ، ص246

² الفرسطائي، المصدر السابق، ص283

إذن فإن ملكية الماء تظل محدودة وتقتصر على ما يتم تحصيله في الآنية بجميع أنواعها ، وما يتم حصره من الماء في الأوعية يصبح ملكا لصاحبه ويصح له التصرف فيه بالمنع أو البيع أو للهبة و بإخراج الملك و بإجراء الميراث¹ .

أما ما اجتمع من ماء المطر في الفدادين و الأجنة² فلا بأس الانتفاع به ولا يجوز لصاحب البستان الانتفاع به ما لم يأخذ الإذن من عنده . أما الأضيات " الضاية " و الغدران و الأحواض وما أشبهها فحائز الانتفاع بها بمختلف الوجوه .

أما عن عمارة الأرض بماء المطر إذا أراد قوم أن يستغلوها فيكون ذلك بالشراكة بينهم باستغلال هذه المياه في مزارعهم وبساتينهم وقد جوز الفرسطائي لمن دخل ماء المطر أرضه أن ينتفع به كيفما شاء، سواء مر الماء قبله في أرض غيره أو لم يمر، بشرط أن لا يتعمد تصريفه من أرض ليست بأرضه دون إذنهم³ .

وفي فتاوى البرزلي " إن كان هذا الماء من السماء أو كثره ماء السماء وليس فيه من العيون إلا القليل فيسلك به مسلك ماء السماء من إمساك أعلى إلى الكعبين " كما جاء في الحديث النبوي " ثم يرسله إلى من بعده حتى ينقص الماء⁴ .

وفي الجملة فإن الفقهاء يفرقون بين المياه العمومية التي لا تدخل في الملك الخاص، ومن ضمنها تقع مياه الأمطار، أم الملكية الخاصة فهي تتضح أكثر في مستوى مجاري الأودية، و القنوات ومياه الآبار و العيون و الصهاريج.

وإذا كانت الشراكة في ماء المطر فإن قسمته على قدر حاجة أراضيهم وذلك على وجهين:

¹ المصدر نفسه، ص 284

² مفرد جنان أو البساتين

³ الفرسطائي ، المصدر السابق ، ص 285

⁴ البرزلي، أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي ، فتاوى البرزلي ، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين و الحكام، تحقيق محمد لحبيب الهيلة ، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 437

1-قسمته بالمساقى في صب الماء.

2-أن يجمعوه في مستقى واحد حتى ينتهوا به إلى عمارتهم "مزارعهم" فيقسمونه بالمقاسم على قدر حاجاتهم الزراعية¹.
وقد كان أصحاب المواجل والصهاريج يجمعون مياه الأمطار بمختلف الطرق منها تحويل مياه السيول عن طريق السواقي، ومنها إحداث مجاري مائية في سطوح منازلهم عن طريق إحداث الميزاب، بحيث تنصب هذه المياه المتجمعة على الأسقف، وتتحول عن طريق الميزاب إلى المواجل للانتفاع بها². وكذلك جلب مياه الأمطار في قواديس أو قنوات أو سواقي من انهر وعيون لبلد ما أو مدينة ما تزود به مساجدها وحماماتها وسقاياتها وسائر الناس لأجباهم "مفرد جب"³

2-1-4-الأودية [أنظر الخريطة 02]

يعتبر وادي ريغ احد اقدم الاودية الصحراوية منذ العصور الغابرة وينطلق هذا الوادي من واحات قوق جنوبا ليصب في شط مروان الذي يصب بدوره في شط ملغيغ شمالا. وهو يقع في منخفض مستطيل الشكل طوله حوالي 160 كلم، وعرضه يتراوح بين 30 و 40 كلم شمالا، وعرضه الكلي يقدر ب90م وينحدر بنحو 26م تحت سطح البحر بانحدار عام يقدر ب3% بالمائة وبفارق راسي بين القمة والقاعدة يتمثل في العشرات الامتار⁴. واما عن مصدر مياهه فهي من جبال الهقار، حيث وجدت معادن يرجع اصلها لكتل الهقار في الترسبات

¹ الفرستائي، المصدر السابق، ص112

² المصدر نفسه، ص 188

³ الونشريسي، احمد بن يحيى بن عبد عبد الله، المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا و

الأندلس والمغرب، ت حقيق محمد حجي، الجزء الثامن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص44

⁴ لحول عبد الجليل، بوبكري مراد، تنظيم وتحليل مجال فلاحي صحراوي، (مشروع شهادة مهندس دولة) كلية علوم

الارض والجغرافيا، جامعة منتوري، قسنطينة. 2003/2002. ص14. ينظر ايضا الى: khadraoui.A, Eaux et

sols en Algerie, Limprimerie Houma.2006.P23-319

القديمة للوادي، وهذا دليل على ان منطقة وادي ريغ عرفت تطورا جيومورفولوجيا هاما عبر ازمنة مختلفة، حيث كان دوره الاولي هو تجميع المياه الاتية من وادي مية واغرغار، وجميع ابعاد الوادي لاراضي تحمل تناوب للتوضعات التفتيتية والكيميائية، ويلاحظ على جوانب الوادي عدة تلال تكون معرضة للتعرية¹ وتكون هذه التلال محيطة بالسبخ، واصبح الوادي يقوم بدور تصريف المياه الزائدة عن محيطات النخيل والتجمعات السكانية في مختلف بلديات وادي ريغ بالاضافة الى ذلك فهو يعمل على تصريف مياه بعض السبخ المتواجدة في المنطقة.

وحسب افادة R.Capot-Rey² فان وادي ريغ هو عبارة عن واد مياهه كثيرة جوفية تنساب تحت الأرض، وهو مصدر الينابيع، والعيون الارتوازية التي تكون بروزا للطبقات المائية الحبيسة فقد تتدفق الى سطح الأرض وتروي غابات وبساتين النخيل، وقد تتفرع عنه عدة فروع ثانوية كوادي خروف وادي المرارة، وادي الزريق، وادي الرتم وكل هذه التفرعات المؤقتة قد تنساب تحت الارض وبذلك فهي تزيد في مناسيب مياه الآبار.

2-1-5- المياه الجوفية:

فالمنطقة غنية جدا بمصادر المياه الجوفية العذبة الموجودة في عدة طبقات جوفية، والحاجة الماسة إلى الماء دفعت الأهالي إلى تحدي طبيعة البيئة الصحراوية، فقاموا بحفر الآبار التي أصبحت تمثل مصدرا أساسيا لسقي واحات النخيل³.

¹ لخضر مرابط، اثر التهئية على اوساط الصحراوية الجافة-وادي ريغ- 1997.

² أنظر Capot Rey.R Lafrique blanche francaises, T2 , P330

³ جورج غير ستر: الصحراء الكبرى، ترجمة: خيرى حماد- بيروت- منشورات الامكتب التجاري، ط2: 1961، ص

ومنذ الاحتلال الفرنسي للمنطقة حفرت العديد من الآبار الارتوازية، بأيدي وسواعد الأهالي، مع العلم أن قرى وادي ريغ كانت تتوفر كلها على آبار ارتوازية، حتى قبل مجيء الاستعمار الفرنسي¹، وينسب سكان وادي ريغ أصل هذه الآبار إلى ذي القرنين.

2-2-القسمة والتوزيع:

و أما عن أنظمة وعملية تقسيم المياه من مصادرها المختلفة في وادي ريغ فقد وجدناها مرتبطة بدفع مقابل مادي من أجل الحصول على قسمة معينة من الماء، وهي عملية كانت معروفة في الأنظمة التقليدية كعملية شراكة بين المستفيدين، ولكن تختلف رؤية أنظمة الري في تحديد أثمان الماء بحكم الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للمستعملين الزراعيين، وهذا الجانب يطرح اللامساواة في التكاليف بين مستغلي الشبكة، خاصة وان أنظمة شبكة تسيير الري التقليدية تعطي دائما نصيب الماء بدون مراعاة المساحة التي تستعملها، وبالمقابل فحجم الحقوق دائما محدودة لتفادي الاستحواذ الفردي على المصدر الجماعي حيث يمكن أن يعطى الماء جماعيا إلى مجموعة محددة بإقامة معينة أو تاريخ مشترك مثلا: يتم التقسيم خلال يوم كامل حسب القواعد الحقيقية للجميع². أي النوبة في واحات وادي ريغ او الزاب او حتى وادي ميزاب، ووجدنا ان كثيرا ما تطبق في الأنظمة التقليدية انواعا عديدة للتوزيع وعلى رأسها:

2-2-1-التوزيع بالدوران:

حيث يتم التقسيم بأدوار الماء(التناوب)³. ويمكن ان تستمر أو تتغير مدة الري إذا لم يكن هناك أية إتفاقية تحدد مدة إستعمال الماء، ويمكن للمستعمل أن يتخلى عن دوره في

¹ هانريش فون مالستان: المرجع السابق، ص113.

² سوايح زكي، اسماعيل كرية، المرجع السابق، ص 23

³ مالدونادو باسيليو بافون، العمارة في الأندلس، ت منوفي علي ابراهيم، مجلد2، ط1، المجلس الأعلى للثقافة ن القاهرة، ص 250.

حالة عدم الحاجة للسقي (أرض غير مزروعة، أمطار حديثة). وفي حالة انقطاع اشتغال القناة فإن دور الماء يتوقف.

2-2-2-التوزيع المنتظم:

هذا النوع من التوزيع يعتمد على الاتفاق المسبق بين المستعملين ومركز التسيير بطريقة أوسع من الأولى على الاتفاق على كل شروط السقي حيث يوافق مركز التسيير على التسيير على السقي لمدة معينة حسب للوفرة وحسب الطلبات الأخرى، ومن إيجابيات هذا النظام هو كونه سهل بالنسبة للمستعمل فهو يوفق بين الطلبات في التوزيع والتوزيع بالدوران ويمكن القول أن الماء يقوم بالدوران بين القطاعات. والهدف من هذه الأنظمة هو تحقيق توزيع عادل ومتساوي في إطار الشفافية وبعيدا عن الغموض المبهم، لقد لاحظنا ان تقسيم الماء داخل المجموعة هو إسناد لكل عضو جزء من المنبع أو المصدر، الذي له الحق في استعماله والحق في استعمال الشبكة¹.

كذلك عملية سقي غابات النخيل تتم بنظام خاص حتى يتمكن كل فلاح من سقي نخيله وزرعه، ويأخذ هذا السقي أوقات معينة و فترات معلومة لكل فلاح، حتى يتمكن كل الفلاحين من سقي غاباتهم .ولأوقات السقي ومدتها أسماء مختلفة منها: الفرقة، التيمون " الثمن "، النوبة، الخروبة، الربع وغيرها، فمثلا " النوبة "مدتها ستة ساعات أما الثمن مدته تسعة أدرج و الدرج يعادل خمسة دقائق أي مدة الثمن خمسة وأربعون دقيقة.

أما الخروبة مدتها أربعة أدرج ونصف أي اثنان وعشرون دقيقة وثلاثين ثانية ، وعموما يعتمد الفلاحون على المياه الجوفية للسقي وكان ذلك عن طريق إنشاء العيون والآبار التقليدية لاستنباط واستخراج هذه المياه وكان هذا العمل يقوم على عادة التوزيع المتعارف عليها كما

¹ جمال عناق ، موارد المياه وتطبيقاتها في منطقتي الزاب ووادي ريغ، من خلال كتاب القسمة واصول الارضين،

مذكرة دكتوراه العلوم، جامعة بالقاسم سعد الله، الجزائر 2، 2015-2016، ص71

شهدنا سابقا . لكن فيما بعد عرفوا الآبار الارتوازية التي توفر مجهود تدخل الإنسان لرفع الماء ليروي النخيل و الأشجار وبالتالي اقتصاد كبير في الجهد البشري¹ ونجد عموما في الأنظمة التقليدية ما هو مقدر من طرف مجموعة المستعملين، وتحدد حصة كل مستعمل حسب الكمية العامة للمياه ونوعيتها، ويمكن تصنيف الحصص المائية حسب حجم الماء المتوفر وحسب نوعية الماء الموجود، كما يمكن أن تصنف حقوق ملكية الماء إلى ثلاث:

-حقوق ملكية الماء الزمنية:

يتم التوقيع في بداية الفصل على جرعة ثابتة حسب مساحة القطعة المسقية.

-حقوق ملكية الماء الدائمة:

شائعة في الأنظمة التقليدية، وهي حقوق مادية 'قابلة للتحويل بالبيع أو الإرث، ويعرف هذا الحق على أنه ملكية حقيقية، وكثيرا ما يسمى "ملكية مائة" ويمكن أن تكون الجرعة غير كافية عندما يكون المقدار ضعيفا من سنة لأخرى ويمكن ان يبقى التوزيع بنفس الحساسية.

- حقوق ملكية الماء المؤقتة:

تعرض إلى تغيرات اقتصادية أو إلى التوجيهات الإستراتيجية عند الاستعمال الزراعي، حيث في المجتمعات الرأسمالية الماء يمكن إعطائه في كل موسم، والمستعملون يوقعون الحق حسب اختياراتهم، وحسب زراعاتهم. ومنه يمكن تغيير المعطيات من سنة لأخرى. والمستعمل هو الذي يحدد الزمن اللازم لسقي أرضه وتكمن الايجابية في تفادي التقدير العشوائي من أجل وضع حد لانحرافات جهاز التسيير، والذي يمكن له تحديد سعر السقي حسب المدة الزمنية والمساحة المسقية، ونوع الزراعات ومنه فإن سعر السقي هو المحدد لكمية الماء². ويمكن أن

¹ إسماعيل العربي، المرجع السابق ، ص141

² جمال عناق ، المرجع السابق ، ص75

يكون السقي من البداية للنهاية (توزيع نازل) أو العكس أي توزيع صاعد الأول يفرض على المستعمل بأن يتحرك نحو الأمام من أجل إغلاق وصول الماء للمستعمل السابق أما الثاني فيسمح بتغيير منحى الماء داخل القناة دون تدخل المستعمل الذي أنهى سقيه وهو صعب التحقيق لعدم تجهيز القنوات لإدارة المياه ويسبب ضياع المياه

ولأجل تفادي هذا الأخير اقترح احد الباحثين وهو **Jean Vacca** سنة 1987¹ في توزيع المياه في واد ريغ لا يزال يعتمد على التناوب² أي باستخدام (النوبة)، والنوبة هي عبارة عن مدة زمنية مقدرة ب:

- 12 ساعة بالمغير

- 08 ساعات بجامعة

- 08 ساعات بسيدي خليل

- 08 ساعات بسيدي عمران

- من 6 إلى 8 ساعات بتوقت

وتختلف ساعات النوبة حسب كميات المياه وحسب نوع الجريان، حيث قلت ساعات النوبة بعد تغير نظام الجريان إلى الضخ أي استهلاك الكهرباء. وجاءت النوبة كحتمية لوجود الآبار الجماعية حيث من الممكن أن يشترك أكثر من خمسين إلى مئة فلاح في بئر جماعي وقد تصل تكلفة البئر ب 100 مليون سنتيم فأكثر . وليتضح الامر سنأخذ هذا المثال العددي :

تصل تكلفة بئر إلى 100 مليون ولدينا عدد الفلاحين 30 فلاحا ومنه نقوم بالعملية 300 مليون / 30 = 10 ملايين ومنه ثمن نوبة كاملة ، ولنفرض أن النوبة 8 ساعات ، إذن حسب

¹ سوايح زكي، اسماعيل كرية، المرجع السابق، ص 24-25

² مالدونادو باسيليو بابون، المرجع السابق، ص 250

القدرة الشرائية يمكن للفلاح أن يشتري عدد الساعات¹ إما بالنصف ، بالربع ، بالسدس، وآخرها بالثمن.

-فلاح يشترك بـ : 2.5 مليون إذا اشترى الماء بالربع.

-فلاح يشترك بـ : 58 مليون إذا اشترى الماء بالنصف.

-فلاح يشترك بـ: 10 ملايين إذا اشترى الماء نوبة كاملة.

ومن مميزات نظام النوب انه يحتاج إلى متابعة دائمة، ولا يسمح بالترتيب في سقي المزارع ومنه تضييع الوقت والماء، وكذلك عدم حرية الفلاح في إدخاله نظام سقي جديد. ويبقى نظام الري بالغمر بالألواح هو نظام السقي العام المتبع للمنطقة في المزارع القديمة و أيضا الجديدة وهذه الألواح توصل بواسطة السواقي.

ويبقى ان طريقة الري باستخدام السواقي يحدث ضياعا كبيرا في كمية الماء الموجودة ، وذلك نتيجة الترشيح إلى الأعماق خاصة في التربة الرملية ، وتقدر نسبة الضياع بـ : 50% بالإضافة إلى التبخر الهائل لا سيما في الفصول الحارة ، بالإضافة إلى ضياع كبير للوقت بحيث يمتد وصول الماء بالساقية إلى واحد ساعة مسافة خمسمائة (500) متر، لذا فقد كان احسن حل اجرائي هو تمرير هذه القنوات تحت الأرض، والذي يعرف بنظام الفقارات - والفقارة عبارة عن قناة جوفية تتخللها آبار ارتوازية ، حيث تنقل المياه عبر القناة من مكان مرتفع الى آخر منخفض - لان مدة السقي تنخفض مع الحفاظ على كمية معتبرة من المياه.

وتسمية الفقارة مشتقة من الفعل العربي "فقر" ، والذي له معنيين :

- أولهما يدل على الفقر والفاقة وهو شائع عند عامة الناس، لأن من يهمل بإنجاز الفقارة تفقر ه لما ينفق عليها من أموال.

- ثانيهما "حفر" فالفقير هي البئر التي تغرس فيها الفسيلة وجمعها فقر¹.

¹ رحو حياة، مشكل الماء بالمغرب، ط01، مكتبة الطالب، وحدة، 2012، ص36

كما يرجعها البعض الى الفعل "فجر" ، فقارة = فجارة" من فعل التفجير ، وذلك ان الماء يفجر فيها .

أما عن ماهية الفقارة فهي عبارة عن سلسلة من الآبار الارتوازية غير محددة العدد ، والمسافة التي تفصل بين بئر وأخرى تتراوح ما بين 10 الى 60 متر ، وعمق البئر يتراوح ما بين 40 الى 60 متر ، وقطر كل بئر ما بين 0.8 الى 01 متر ، تتصل فيما بينها بنفق قطره 01 متر يعرف باسم "النفاذ" المشتق من "نفذ" ، أي انه يسمح بنفاذية الماء من بئر الى آخر حتى تظهر على وجه الأرض باتجاه الحقول².

ان توزيع المياه خاصة في المزارع القديمة، يتم على حسب القدرة الشرائية لكل فلاح فمن يدفع أكثر تكون له الحصة الأكبر، بغض النظر عن الحاجيات الحقيقية لكل مزرعة. وهذا ينجم عنه تضييع كميات معتبرة من المياه ما أدى الى ان نظام التناوب أصبح لا يسمح بالتوزيع العادل بين الفلاحين، حيث نجد ان قسمة الماء متوارثة مع الأرض، أو حسب الشرائية دون الأخذ بعين الاعتبار المناخ، المساحة المسقية ،كثافة الغرس، عمر النخيل، أسس ري المزروعات.

ويبقى السقي بالغمر الطريقة الوحيدة المعمول بها بمنطقة وادي ريغ، ما يدل على تخلفها في مجال الري، رغم كونها كانت السابقة في تجريب الري الممركز على النخيل (سيدي ماضي- تقرت) إذن فهذا التوزيع لا يتماشى مع الحاجيات المائية للمزروعات.

بالإضافة إلى هذا الخلل القاعدي سمحت هذه الدراسة بتسجيل سلبيات متسلسلة انطلاقا من التسيير إلى الري والتصريف ميدانيا، نقائص أخرى سجلت وتعود إلى عدم كفاءة رؤساء الآبار أو عدم خبرتهم في تقنيات التسيير والري، وعدم ضبط احترام مقاييس السقي

¹ ابن منظور، لسان العرب ، م5 ، ص64

² أنظر Capitaine,lo :Les foggaras de tidikelt ,I.R.S.1^{er} semestre , 1954,p52

الفصلية ما يحدث عرقلة التسيير. وهنا نؤكد على تقليص ساعات السقي ودوراته، بالأشهر ديسمبر، جانفي، فيفري.

و قد سجل على مستوى المساحات المسقية عدم احترام الترتيب في السقي، حيث تسقي المزارع الأبعد من النقب ليعود دور الماء إلى أقرب مساحة السقي بالنسبة لمنطقة الماء، ما يحدث ضياع للماء والوقت خارج وداخل المزرعة، كما يسجل هذا الضياع في داخل أغلب المزارع نتيجة لعدم تنظيم الشبكات التقليدية وصعوبة صيانتها، ويسجل أيضا اختلاف معتبر من حيث سرعة جريان الماء في هذه القنوات¹.

3-الحرف والصنائع:

عرف سكان وادي ريغ منذ القدم الصناعات التقليدية، والتي تقوم على الحرف اليدوية المحلية، فأنجوا كل ما يحتاجونه في بيئتهم من الأنسجة الصوفية البرانس والقشاشب والأغطية وستار الرأس "بخنوق"، ومن الطين مواد البناء والأواني المنزلية، وغيرها، ومن سعف النخيل وخشبه القفف والمظلات والأطباق... الخ² وأخيرا من بالجلود تصنع قرب الماء ومن أوبار الجمال العفافين "مفرد عفان" ولا يزال هناك الكثير من الصناعات الأخرى التي تقوم على هذه الحرف اليدوية وجميع هذه الأنشطة مخصصة للاستهلاك المحلي وللبيع معا حيث تعرض للبيع في الأسواق الأسبوعية والساحات العمومية، وإن كانت هناك بعض الصناعات تصدر إلى الخارج إلا أنها بقيت ضعيفة جدا مقارنة بالصناعات الأخرى التي تعتمد على المعامل الكبيرة بما في ذلك الصناعة الأوربية³، لأنه في الأخير تبقى أهم صادرات سكان وادي ريغ

¹ سوايح زكي، اسماعيل كرية، المرجع السابق، ص16-39

² محمد الصغير بن العمودي، المرجع السابق، ص13

³ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص484

هي التمور في المقام الأول و الأخير¹ ، وكانت تمارس هذه الحرف اليدوية في المنازل أو في المحلات الخاصة لهذا الغرض منها الآتي:

3-1- الغزل والنسيج: [انظر اللوحة 07]

هذا النوع من الصناعة كانت النساء يحترفنها في البيوت خلافا عن بعض المناطق الأخرى من الوطن حيث يشتغل بالنسيج النساء والرجال معا . وأنسب وقت تتم فيه بهذه المنسوجات عادة هو فصل الصيف حيث النهار الطويل، ومن المنتجات التي اشتهرت بها المنطقة في صناعة الحنبل أو الحولي وهو الفراش الوثير والغطاء الدافئ في الشتاء ، ولأهميته فإنه يدخل في صفاق المرأة، البرنوس الذي يعطي عنوان الرجولة ورمز الهمة وهو الفراش والغطاء في السفر . ثم القشاشيب " القشابية " والقندورة وستار الرأس " البخنوق " وكل هذه الأنواع تنتج في جميع القرى والمداشر بقدر الاكتفاء الذاتي وربما يصدر البعض منها .

هذه الأنسجة الصوفية تقوم على الثروة الحيوانية التي لها دور كبير في الإنتاج الصناعي، ومن ذلك صوف الغنم ووبر الجمال التي قبل أن يتم نسجها و تصنيعها أن تمر بالعملية التالية وذلك بعد تجزية الصوف تأخذ لتنقى من الحصى والأعواد وغيرها من الشوائب العالقة بها، لأن الغنم معروف أنه ينام أو ينبطح في أي مكان قد يكون غير نظيف . ثم تغسل بعد ذلك وتجفف لكن في حالة ما إذا كانت هذه الصوف ستستعمل لنسج البرانس قبل تجفيفها تجبس أي أنها تضاف إليها مادة خاصة تسمى عند الأهالي " بالبريق " ، الذي يسمى استخراجها من تحت الأرض وهذا الأخير يحرق بالنار ثم يدق ويرحى أو يسحق ثم يضاف له الماء و يترك لمدة معينة حتى يصبح مستحلب مثل اللبن بعدها يسكب على الصوف المغسول ويترك حتى تجف الصوف وبعدها يصبح لها لون أبيض يميل إلى الصفرة . وبعد هذه العملية يتم تفكيكها على بعضها البعض ثم يجلبون أداة خاصة تسمى بالمشط وتوضع عليها الصوف وتسحب وكأنها تمشط، وهي أصلا من أجل مشطها . ثم يأتي دور أداة أخرى تسمى بالقرداش وبها يمكن

¹ عبد القادر نوحه، المرجع السابق، ص60

جعل الصوف مثل القطن ثم تلف وتجمع من أجل الغزل وتسمى بالجبايد بعدها تغزل بالمغزل إلى عدة أنواع من الخيوط، فالخيوط الرفيعة والمتينة تنسج برانس و قشاشب وبخائق وغيرها. وخيوط النسيج أيضا تستخرج من نفس الصوف ولها حجمها الخاص وتسمى بالقيام، وخيوط الأفرشة والأغطية تكون أسمك من خيوط البرانس وينسج بها حتى الزرابي، ولكن قبل نسجها تصبغ بألوان مختلفة وبطريقة خاصة أيضا وبعدها تصبح جاهزة للنسيج وتسمى بالطعمة.

3-2- سعف النخيل: [انظر اللوحة 05، 04]

يعد النخيل مصدر حياة الإنسان الريغي، فلم يستفد من ثمره فقط بل استغل كذلك الفلاح هيكل النخلة في جميع شؤون حياته سواء من سعفها وجريدها و عصيها وأخشابها وليفها الكثير والعديد من الصناعات التي تضمن له حياة الاستقرار والأمن. فصنع من عصيها الأقفاص والأسرة وكذلك استخدموه حتى في تسقيف المنازل، ومن خشبها صنعوا الأبواب بعض الأثاث المنزلية وبه كانوا يحتطبون كذلك، ومن ليفها تصنع الحبال وأيدي القفاف و السلال وغيرها، ومن جريدها و سعفها المضلات والمساجد والحصائر ، والمرابح وبعض الأواني المنزلية من سلال وقناني للشرب وقفاف " القراوي " وغيرها بالإضافة إلى الأطباق والصناديق الصغيرة التي تضع فيها المرأة أدوات الزينة والحلي.

وحرفة السعف هذه لا تقتصر على الرجال لوحدهم أو النساء وإنما يقوم بها الاثنان معا. وقبل البدء في عملية الصنع كانوا أولا يقومون بنزعه وهو أخضر ثم يجفف حتى يصبح يابسا ثم يوضع في الماء لمدة قصيرة أو معينة. عندها يصبح السعف جاهزا للاستعمال وهنا تبدأ عملية الصنع و تسمى هذه الحرفة بالصفيرة.

3-3-الحدادة: [انظر اللوحة10]

لصناعة السكاكين والفؤوس والمناجل والمعاول وهي أغلبها من متطلبات ومستخدمات الفلاح بالإضافة إلى الكوانين وغيرها.

3-4-الفخار: [انظر اللوحة08]

احتراف هذه الصناعة الرجال والنساء، وأغلب مصنوعاتهما عبارة عن أواني منزلية لأن أكثر أواني البيت يكون من الطين فصنعوا منه القلال "مزهريات" والجرار والقدر والكساكس والأباريق وقنائن "قنة" الماء وقد تكون هذه الأخيرة أيضا مصنوعة من السعف وهي لشرب الماء، والبخارات، وغيرها من أواني الطبخ وأدوات الزينة المنزلية، وبهذه الصناعات صارت المنطقة قبلة لكثير من الحرفيين الذين يشترون المصنوعات الفخارية بأثمان زهيدة ويعيدون زخرفتها ودهنها من جديد ثم يبيعونها باسم المنطقة التي سوقت إليها بأثمان عالية ومن أشهر من برعوا في صناعة الفخار عائلة بلحمو وعائلة أبي ميلود لمتواجدين بتقرت¹.

3-5-الجلود: [انظر اللوحة09]

عرفت المنطقة بتربية المواشي من غنم وماعز وجمال إلى جانب الزراعة، ولهذا يربي الفلاحون هذه المواشي ليس فقط من أجل أكل لحمها وشرب لبنها وإنما كانوا كذلك إلى جانب الانتفاع من صوفها ووبرها كما شاهدنا في النسيج والغزل ينتفعون أيضا من جلودها فيصنع منها الإمتاع من حقائب وغيرها وأيضا النعال و"القرب" القربة "التي يخزن فيها الماء ومنها ما يخزن فيها الحليب وتسمى الشكوة لاستخراج اللبن والزبدة، وأيضا المزود الذي يدخر فيه الدقيق والقمح وغيرها من المصنوعات الجلدية.

هذا الانتاج الوفير في مجالي الزراعة والصناعة، ونظرا للموقع الذي يحتله اقليم وادي ريغ كنقطة عبور للحجاج والتجار ومنطقة استراحة لهم، ساعد سكان الاقليم للولوج الى عالم

¹ عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص192

التجارة والمتاجرة لتصريف الفائض من منتجاتهم المحلية وتسويق المنتجات الاجنبية في أسواقهم الداخلية .

4-التجارة والمتاجرة: [انظر الخريطة 6]

إن سكان وادي ريغ لم يمارسوا التجارة كحرفة أساسية، ولم يعرفوا النشاط التجاري كما عرفه جيرانهم إنما عرفوا أكثر استهلاك السلع والمواد الغذائية المستوردة التي تأتي إلى أسواقهم العامرة من طرف التجار القادمين من كل فج.

فالموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به المنطقة جعلها تشكل نقطة عبور هامة للتجارة، ونقطة تواصل بين البلاد الجزائرية وإفريقيا السوداء وذلك لوضعها الجغرافي ونشاطها الاقتصادي وظلت خلال الفترة العثمانية حلقة وصل وبوابة طبيعية بين بلاد المغرب الأوسط وأقاليم السودان الغربية ومعبرا حيويا تمر منه السلع وتنقل عبره وفود التجارة وجمعات العبيد بين مختلف جهات الصحراء الكبرى¹ ومن بينهم تجار إفريقيا والسودان الذين كانوا يجلبون العبيد حتى أصبح سوق تقرت مثل سوق ورقلة في تجارة الرقيق².

وعموما تعد الصحراء بصفة عامة عبارة عن سوق مكتظ بالقوافل المتجهة لكل الإتجاهات المتنقلة بكل أنواع البضائع و السلع وكان الناس يتعاملون بالمثلقال وقيمته أربع وعشرون موزونة، كما أن منتوجات الصحراء لا تنحصر في التمر وحده بل هناك منتوجات أخرى مثل الحناء والفواكه والخضر والبقول واللحوم و غيرها فينفقون من أجلها ما لديهم من الذهب وأحيانا ما يحملون من الكتب³.

¹ ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص542

² عبد الحميد نجاح، ، منطقة ورقلة وتقرت وضواحيها من مقاومة الاحتلال الى الاستقلال ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، تقرت، 2003، ص75

³ مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ن الجزائر ، 1979 ، ص29

وكما رأينا أن الإقليم كان نقطة عبور للقوافل التجارية كذلك كان محطة أساسية لعبور الحجيج القادمين سواء من الجنوب أو من الغرب وحتى الرحالة¹ أما إذا عدنا إلى تقرت والتي تعد بمثابة عاصمة للإقليم فهذه المدينة كانت عاصمة للثروة حتى العصور الحديثة وتعتبر من الأسواق ذات الأهمية في الجنوب الجزائري بعد ورجلان" ورقلة " ووادي سوف.

سكانها نبلاء يملكون نخيل مثمر لكن المنطقة لا تنتج من القمح شيء فيجلب أهلها من قسنطينة الحبوب مقابل التمر"، وقد كانت التجارة في البادية تتم بأسلوب التعامل بالمقايضة وهي على نوعان تجارة داخلية تتم بين الأهالي فيما بينهم بمنتجاتهم الفلاحية وتجارة خارجية تتم مع تونس والمغرب وليبيا والسودان²... الخ.

وقبل التطرق إلى الحديث على كل من التجارة الداخلية والخارجية يجب أن نشير إلى نقطة مهمة ألا وهي شبكة المواصلات و الطرق التي كان لها دور كبير وارتباط وثيق في تنشيط المجال الاقتصادي التجاري وغيره من المجالات الأخرى، التي كانت تضمن الانتقال للأشخاص والقوافل التي تقوم بتصريف المنتوجات وإيصال الحاجات المعيشة للسكان. وهذا الفضل يعود إلى الرحالة المسلمين أو الأجانب الذين قدموا لنا معلومات تعرفنا على خط سير هذه القوافل التجارية وغيرها، وما يهمننا منها طريق الجنوب الذي يربط بين أقاليم المغرب الأقصى الجنوبية وبين جهات الجنوب التونسي وإقليم طرابلس الغرب" ليبيا " ولهذا الطريق مسلكين أحدهما يعرف بطريق القصور يبدأ من واحات أو إقليم تافالالت" سجلماسة القديمة³ " إلى واحات الزيبان ومنها إلى الجريد. والآخر يتوغل في أعماق الصحراء وهو الذي يهمننا لأن من أهم محطاته واحة وادي ريغ ويطلق عليه عادة طريق الواحات، وهذا الطريق يعبر مناطق العرق الشرقي وتادمايت وتاديكالت وتوات ودرعة وأهم محطاته سوف، تقرت، ورقلة، غرداية، عين

¹ عبد الحميد نجاح ، مرجع سابق ، ص80

² مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، ج2 ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2007م، ص207

³ ناصر الدين سعيدوني ، وراقات جزائرية ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، في العهد العثماني ، ط1 ، دار

الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان، ص ص446-447

صالح، تامنطيط "أدرار....." تندوف. وهذا الطريق يعرف بشبكة المواصلات الأفقية الرابطة بين الشرق و الغرب كما أن هناك طريق آخر رأسي أو عمودي يربط بين الشمال والجنوب "التل و الصحراء" وهو طريق التجارة الداخلية ، وهو على ثلاث جهات شرقية ووسطى وغربية، وما يهمنا منه المحور الشرقي بين قسنطينة وبين بسكرة وأهم محطاته بئر البقرات، سقان، المشيرة، باتنة، القنطرة، الوطاية، بسكرة ومنها إلى تقرت وورقلة وسوف، وأخيرا هناك طريق صحراوي يصل بين إقليم التل والساحل والسوداني ومنه المسلك الشرقي الذي يربط التل القسنطيني وناحية الجريد وجهات طرابلس بالسودان الأوسط "إقليم كانو"، أهم محطاته ورقلة، تقرت، سوق، غدامس، غات، عين الزان، أغايس، كانو¹.

ومما سبق ذكره عن شبكة المواصلات والطرق نلاحظ أنها قد جعلت إقليم وادي ريغ و بالضبط منطقة تقرت خاصة في الفترة العثمانية محورا ومركزا رئيسيا لتجارة السودان ومحطة قارة لجموع الحجاج، وطريقا طبيعيا للتوغل في أعماق الصحراء وأيضا نحو مناطق التل الخصبة بالشمال²، ويقول العياشي³ "بأن طريق الواحات والقصور يمتاز باستتباب الأمن وكثرة الأرباح التي يحصل عليها التجار بواسطته"، بحيث يصبح التاجر موسرا بعد أن يشارك في رحلة أو رحلتين عبر هذا الطريق ، ولا يزال هناك العديد من الطرق والمواصلات اكتشفها الأجانب خاصة تلك التي قامت بها البعثات الاستكشافية الفرنسية للتوغل في جنوب الجزائر والتوسع إلى أعماق الصحراء لما تتوفر عليه المنطقة من إمكانيات اقتصادية ومن مصادر المياه، ثروة الثمور وغيرها وذلك من أجل استغلالها واستثمارها والاستفادة منها⁴.

¹ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 450-453

² ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص 522

³ المصدر السابق، ص 48 46

⁴ يحيى بوعزيز، من تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،

1999 م، ص 65-73

ولهذا لا يسعنا أن نذكرها جميعا وإنما ما يهمنا منها هو فقط الطرق التي كان يستخدمها التجار كمعبر لتسويق تجارتهم وخاصة تلك التي جعلت من إقليم وادي ريغ محطة ومستودعا وسوقا استهلاكية لمنتجات الصحراء والتل والسودان¹.

إذ أن سوق تقرت يعتبر من أكبر وأشهر الأسواق بالمنطقة ، حيث كان عنده تلتقي كثير من القوافل المتوجهة إلى الجريد والسودان الإفريقي وغيرهما، وبما أن وادي ريغ تنتج التمور بكثرة وتصنع الأقمشة الصوفية والتقليدية الأخرى فإن التجار كانوا يصدرن بعضها من هذه المنتجات و المصنوعات ويقايضونها بما يحتاجه السكان من الأقمشة القطنية والعطريات والزيوت والبخور وغيرها من السلع² ، وهذه التجارة كانت تتم على نمطين كما ذكرنا داخلية وخارجية . كما أنهما يقومان على وسيلتان مشهورتان للقيام بعملية نقل البضائع أولهما هي القافلة التي تضم مجموعة متعددة من التجار الذين لا تربط بينهم سوى مصلحة الطريق . ثانيهما هي القبيلة التي تنتقل بكاملها ولذلك فهي أبطء من الأولى ولكنها أضمن بالنسبة للتجار.

4-1- التجارة الداخلية:

تتقيد كل القبائل بقانون سنوي نشأ وفق الظروف الطبيعية، إذ تنتقل القوافل التجارية من وإلى الصحراء عبر الطريق التجاري الرابط بين ورجلان - تاهرت ، إذ تعتبر أريغ محطة رئيسية للمسالك بينهما لتوسطها المسافة بين المدينتين³ ، وطريق تجاري يربط ورجلان بتلمسان "قلعة بني الجاهل" جنوب تلمسان⁴ مرورا بوادي ريغ، فبحلول موسم جني التمور - في حوالي

¹ ناصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق، ص53

² عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص41

³ الادريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ، مطبعة

بريل ، مدينة ليدن المحروسة ، 1893، ص85

⁴ الادريسي، المصدر نفسه ، ص77

منتصف أكتوبر - تستبدل بضائعها من الحبوب وقماش وصوف بالتمور وبعد الانتهاء من عملية المقايضة يتم تخزين التمور لتبتعد القبائل بعد ذلك عن المدن تقود قطعانها نحو المراعي لتقضي فصل الشتاء والربيع بالصحراء لتوفر الماء والكلأ ومع نهاية الربيع تمر مرة أخرى بالمدن الصحراوية من جديد لتحميل جمالهم بالتمور ثم الاتجاه نحو الشمال في الوقت الذي يقل فيه الكلأ في الصحراء، في حين يكون الشمال " التل " في وقت حصد القمح¹ فتقضي هذه القوافل فصل الصيف في حركة تجارية نشطة إذ تستبدل حمولات التمر والنسيج الصحراوي بالحبوب والصوف والكباش والزبدة ومع نهاية الصيف تستعد القافلة للرحيل من جديد باتجاه الصحراء .

ومن أشهر هذه القبائل التي تقوم بعملية المقايضة بمنطقة وادي ريغ أكثرها كانت في أيدي أولاد نايل التي تتفرع إلى خمسة فروع منها أولاد مولات، الطيبات، أعراب غرداية، أولاد سايح، أولاد سعيد بن عمر إذ ينقلون على جمالهم الحملات المستوردة من الشمال ويأخذون أحمال التمور إلى التل، أما التجارة القادمة من الجنوب والذاهبة إليه فبأيدي السوافة و الشعابنة ، أما تجارة الكتان والأقمشة فبأيدي بني ميزاب ، وتجارة الذهب فبأيدي اليهود² كما كانت القبائل الصحراوية تتجه نحو الشرق القسنطيني لكون المنطقة تابعة لبابك الشرق ، في حين لا تتعدى هذه الأخيرة إقليم الجزائر التيطري "خاصة عندما كانت تحت حماية السلطة التركية، ولكي يتحصلون على حقوق التبادل التجاري يقومون بدفع ضريبة ثابتة مسبقا، فمثلا أولاد مولاة كانوا يدفعون ضريبة للأتراك تقدر بحسب حمولة الجمل تسمى الحيسة، وبما أن المبادلات التجارية الصحراوية مع الجزائر العاصمة كانت غير معتبرة فكان تاجر واحد من يهود المدينة

¹ يمينة حضري، الحياة الاقتصادية بمنطقة وادي ريغ، المرجع السابق، ص82

² عبد الحميد إبراهيم قادري، المرجع السابق، ص42

يقوم بالمبادلات كل الأعوام على حدود الصحراء بواسطة بغال تكون محملة بالحبوب ويستبدلها بريش النعام والجلود وأحيانا بالقليل من التبر¹

إن تفرقت وتماسين من أهم المراكز التجارية بالجنوب الشرقي إذ أن منطقة وادي ريغ تشكل نسيج اقتصادي و اجتماعي متطور ونشط والدليل على ذلك إذ أنهم مع مرور الزمن استطاعوا أن يتاجروا عن طريقة المقايضة أو النقود في معاملاتهم².

ومن المعروف أنه يوجد في منطقة الشرق نوعان من الأسواق هما المحلية والتي تعقدتها مختلف القبائل في أيام معينة من الأسبوع يأتيها اقرب الناس، وأخرى جهوي ، أشهر سوق سوق تفرقت كان يعقد كل يوم جمعة³ الذي كان يقام في ساحة أمام الجامع الكبير، كما أن هناك معرض سنوي للمنطقة يقام تحت رئاسة شيخ العرب، إذ تمتلئ هذه الأسواق بالمنتجات والمصنوعات المحلية المختلفة وبيع بعض المستوردات التي سيرد ذكرها في تناولنا للتجارة الخارجية وبالإضافة إلى هذا التعامل الداخلي عرفت منطقة وادي ريغ بحكم موقعها الاستراتيجي علاقات خارجية مع كل من تونس والمغرب وبلاد السودان وطرابلس والحجاز كما أشرنا سابقا وتحميها قبائل مختلفة أشهرها في جنوب قسنطينة، التوارق، الشعابنة⁴.

4-2- التجارة الخارجية:

لقد كانت تونس هي أقرب الأسواق الخارجية لبلاد وادي ريغ فكانت الطريق من ورجلان الى القيروان تمر ببلاد الزاب "بسكرة" خلال القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي بوادي ريغ ثم الاتجاه غربا على مسافة يومين الى نفطة ثم القيروان⁵ ولذلك كان تجار

¹ يمينة حضري، ، الحياه الاقتصادية بوادي ريغ، المرجع السابق، ص83

² نصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص541

³ الادريسي ، المغرب ، المصدر السابق ، ص85

⁴ يمينة حضري، المرجع السابق، ص84

⁵ أبو عبيد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، تحقيق ، جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت

، 2003 ، ص74

قسطنطينة من تليين وصحراويين يفضلون التوجه إليها ينقلون منتوجاتهم ويتزودون منها بما يحتاجه السكان من مختلف المواد الكمالية وللقيام بهذه العمليات التجارية التي تعتبر أهم من النشاط الذي كان عن طريق المواني، فهناك مراكز أساسية تنطلق منها القوافل وتعود إليها أهمها قسطنطينة، الوادي، تقرت، ورقلة¹.

وبما أن قسطنطينة خلال الحكم العثماني هي عاصمة الشرق الجزائري وأكبر مدنه فهي تعتبر أكبر أسواق المنطقة في ذلك الحين يؤمها التجار من جميع النواحي يجلبون إليها الكثير من منتوجاتهم الضرورية لتغذية سكانها وعلى هذا الأساس كانت قسطنطينة توجه شهريا قافلة من حوالي ثلاثة مائة " 300 " بغل إلى مدينة تونس تحمل إليها الصوف والجلود المدبوغة والتمور المجلوبة من الواحات والشواشي وريش النعام وتستورد منها المصنوعات الأوربية والطور وبعض المنتوجات المحلية والأجنبية مثل التوابل والقهوة والأقمشة الحريرية والقطنية و للقيام بهذه الرحلات كان تجار قسطنطينة يستعينون بجماعة من المحترفين من اليهود لتخيير بعض السلع وتحديد أسعارها في البيع والشراء، وبما أن وادي ريغ ينتج التمور بكثرة ويصنع الأقمشة الصوفية العادية فإن تجار تقرت يحملون إلى الجنوب التونسي المضلات، الحبوب والزيوت ويجلبون منها كثيرا من الأقمشة القطنية والعطريات المستوردة من أوربا فيوزعونها على الأسواق المحلية بالإضافة إلى التبر والعبيد².

والتجارة مع المغرب فكانت تتم من خلال الطريق التجاري الغربي مرورا بتلمسان ، اذ يسافر منها التجار الى سجلماسة³.

بينما الطريق التجاري من ورجلان عبر واحات وادي ريغ وأسوف الى جبل نفوسة ومنطقة طرابلس فقد حددت بمسيرة ستة ايام الى جبل نفوسة ، ومنه الى مدينة طرابلس بثلاثة

¹ محمد العربي الزبيدي، المرجع السابق، ص 152

² محمد العربي الزبيدي، المرجع نفسه، ص 156

³ الادريسي، المغرب، المصدر السابق ، ص 77

ايام ، اما الى القيروان فستة أيام¹ أما عن العلاقات التجارية بين الاقليمين وادي ريغ وجبل نفوسة لانعرف جذورها لكن يبدو ان العلاقات كانت كانت وثيقة باعتبار ان سكان جبل نفوسة كان لهم دورا كبيرا في انتشار المذهب الاباضي في هذه الربوع من المغرب الاوسط وكانت سندا قويا لها خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة الثامن والتاسع ميلاديين²

الا انه في الفترات اللاحقة من تاريخ الاقليم فإن العلاقات التجارية مع هذه الربوع كانت محدودة ذلك أن أهم سوق لليبيا تقصده القوافل الجزائرية القادمة من تفرت والوادي وورقلة يوجد في مدينة غاط التي ينعقد سوقها مرة في السنة وكان تجار الجنوب الشرقي الجزائري يحملون إلى هذه السوق منتوجاتهم المحلية وبعض المواد العطرية والجواهر والحريز والتوابل وغيرها من المنتوجات الأوربية المستوردة، لتستبدل بالحميز المصرية والعييد والتبر وسائر المنتوجات الإفريقية، والملاحظ أنه بالإمكان أن تتطور هذه العلاقة التجارية لو وجدت نوع من التنظيم من طرف الإدارة العثمانية³.

أما التجارة مع بلاد المغرب والحجاز فإنها تكتسي فترة زمنية إذ تتكون القوافل من المسلمين الذين يقومون بعملية الحج . إن هؤلاء الحجاج أو القوافل القادمة من المغرب هم أنفسهم تجار لأنهم يقومون بعملية التجارة في طريقهم إلى الحج " ذهابهم وإيابهم"⁴ فيحملون معهم المصنوعات المغربية من نحاس وأكياس الجلود ذات اللون القرمزي ماعدا التمر الهندي الذي يشتري من السودان ويعاد بيعه بالمغرب ليشتروا من تونس ، وتقرت منتوجاتهم لبيعها بالحجاز وفي نفس الوقت قد تكون كزاد لهم ، وبعد ذلك تشق القوافل إيالة طرابلس ثم ولاية مصر لتصل إلى الحجاز قبل مواعيد الحج بأيام قليلة، وفي كل مدينة أو قرية يمر بها الراكب، كان الحجاج يتاجرون مع السكان كما أن القافلة نفسها كانت تشكل سوقا متنقلة بالنسبة

¹ البكري ، المصدر السابق ، ص 09

² الادريسير، المغرب ، المصدر السابق ، ص 106

³ يمينة حضري، المرجع السابق، ص 87

⁴ يمينة حضري، المرجع نفسه، ص ص 85-86

لجميع أفرادها، ومع نهاية الحج يجلب الحجاج معهم البضائع المتواجدة بالحجاز كالمنتوجات الهندية من أقمشة حريرية وشيشان والمسك والزبد¹ ولا تقف أهمية وادي ريغ في هذه العلاقات التجارية إذ تتعداها إلى نعمة تجارة الذهب، وقد فتحت هذه الأخيرة باب آخر هو تجارة الملح بعدما كان يجلب من مناطق مختلفة.

وأما عن العلاقة التجارية مع بلاد السودان، فتجرنا مباشرة الى الحديث عن تجارة الذهب والملح وتجارة الرقيق² بالدرجة الاولى ، وما يقابلها من منتجات مغربية صناعية وفلاحية، حيث كانت هذه السلع عصب التجارة بين طرفي الصحراء التي لا غنى عنها لكلا الطرفين ، فالمغاربة عصب اقتصادهم ذهب السودان وعماد قوته العسكرية عبيده، بينما الفرد السوداني يعتبر الملح المغربي مادته الحيوية يمكن مساواتها بقناطير الذهب. فقد كانت وادي ريغ مركزا من مراكز التجارة مع بلاد السودان ، ومرحلة من مراحلها الاساسية من تاهرت الى المسيلة وصولا الى ورجلان عبر وادي ريغ³ ، حيث كان التجار يجلبون منه البخور الأسود والعاج والفلفل والبول السوداني مع كميات معتبرة من التبغ وأعداد وفيرة من عبيد السودان وقد كان لهؤلاء العبيد الذين كانت تقوم عليهم تجارة الرقيق والنحاسية أهمية كبيرة خاصة في الحياة الاقتصادية للمنطقة طيلة العهد العثماني بعد أن ارتفعت أسعار الرقيق السود بصفة خاصة نتيجة تزايد الطلب بالمناطق الشمالية للخدمة في المنازل خاصة بعد أن أصبح الجهاد البحري لا يوفر العدد الكافي من الرقيق الأبيض، كذلك ارتفع بسبب ازدياد تكاليف النقل بالصحراء⁴

¹ محمد العربي الزبيري ، المرجع السابق، ص ص184

² لقد اثارت تجارة الرقيق انتباه رجال الدين وصدرت الفتاوى بعدم جواز التجارة فيه ، ورغم ذلك استمرت هذه التجارة وكانت ورجلان وسجلماسة من أكبر مراكز المغرب الاوسط التي يأتي عبرها الرقيق ثم يوزع على بقية مدن المغرب وكذا المشرق ، انظر: منى حسن أحمد محمود ، تجارة السودان الغربي قبيل قيام دولة المرابطين في القرن 05هـ "مجلة المؤرخ المصري دراسات وبحوث تاريخية محكمة" ، العهد 7، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1991 ، ص 285

³ الادريسي ، المصدر السابق ، ص 87

⁴ ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص 532

اما في الفترة العثمانية ونظرا للنشاط التجاري الذي تتمتع به المنطقة والمتمثل في جلب العبيد واقتناء السلع والبضائع والمبادلة بها هذا ما لفت انتباه حكام الإيالة الجزائرية لكونه إحدى الوسائل التي مكنتهم من ممارسة نفوذهم وتأكيد سلطتهم لدى سكان المنطقة، والدليل على ذلك عندما لم يرض باي قسنطينة صالح باي بمقدار الغرامة المترتبة على حاكم ريغ مما جعله يفرض حصار على المنطقة بل أدى به الأمر إلى ضرب أسوارها وقطع نخيلها فلم يجد حاكمها حلا إلا بقبول الصلح وشروط صالح باي الثقيلة، ففرضت عليه غرامة مالية يضاف إليها مجموعة من الخيل والعبيد وذلك مقابل الحصول على عهد الأمان ونيل رسم التولية على إقليم وادي ريغ¹.

وبالرغم من هذا النشاط التجاري الذي كانت تتمتع به المنطقة إلا أنه شهد انكماشاً اقتصادياً وتقهقراً عمرانياً يعود إلى عدة أسباب من بينها التنافس الحاد بين الأسر الحاكمة فنجد أسرة بني جلاب التي كانت في أول عهدها تحكم مناطق شاسعة من وادي ريغ ثم أصبح حكمها نتيجة هذا التنافس لا يتعدى مدينتي تقرت وتماسين، زد على ذلك أن هذا الصراع لم يقتصر على أفراد الأسر الحاكمة بل تعدها إلى المراكز العمرانية بالمنطقة فأصبحت العداوة والنزاعات مستحكمة بين تقرت وتماسين وكان سبب حدة التنافس بين الأسر وبين الحكام في المنطقة نتيجة تشجيع حكام الإيالة له وتحريضهم عليه لأنهم وجدوا في الإبقاء على هذه العداوة بينهم خير وسيلة لفرض نفوذهم وإقرار سلطتهم على المنطقة، كذلك كثرة الضرائب وتزايد المطالب المالية التي أثقلت كاهل السكان جعلتهم يعيشون في حالة فقر وعوز بعد أن كانوا بأيسر أحوالهم وكثرة ثروتهم².

على الرغم من هذه الأسباب والعوامل التي أثرت على حياة المنطقة الاقتصادية والاجتماعية في أواخر الفترة العثمانية ومرورا بالاستعمار الفرنسي فإن الحياة الاقتصادية قد

¹ ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص ص 291-292

² ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 536، 537

ضلت يغلب عليها الطابع التجاري وذلك بسبب الموقع الذي تكتسبه المنطقة كنقطة تواصل بين تجار القوافل المارة بها. إلا أن هذا لا ينفي بعض المهن أو الحرف الصناعية والأعمال الفلاحية التي تشكل نشاطا اقتصاديا لسد احتياجات الأهالي بما يتلاءم مع المنطقة الصحراوية .

واخيرا نستنتج ان الحياة الاجتماعية بوادي ريغ تتميز بالتماسك الاجتماعي - بالرغم من الاختلاف في عناصر المكونة للمجتمع - بين افراده ، مؤثرة فيهم عوامل متعددة كالقربة كعامل للتضامن والجيرة في التعاون والمشاركة وعلاقات الصداقة التي تنشأ بين الافراد التي تشترك في الميول والمصالح ، كما تسود المجتمع سيادة العرف في تسيير شؤونهم وحل النزاعات والخصومات .

بينما الخصائص الاقتصادية للمجتمع فكانت تعتمد على النشاط الاقتصادي ، الذي قوامه الصناعات الحرفية وتربية الحيوانات والزراعة التي تعتبر مصدر رزق هام لهم ، لذا كان اهتمامهم بالزراعة من خلال عمليات وابتكار تنظيم الري وطرقه بما تنص عليه الشريعة الاسلامية .

اما التجارة فتلبي حاجياتهم اليومية حيث اعبت هذه الاخيرة دورا بارزا وكبيرا عاد بالمنافع الجمة للمنطقتين على حد سواء بلاد المغرب الاسلامي ، ووادي ريغ ، وبلاد السودان ، فكان فضل التجار الريغيين هو لعب دور الوساطة في نقل السلع بين المنطقتين وتوطيد العلاقات بين الطرفين السوداني والمغربي ، ومن الملاحظ ان سكان وادي ريغ قد اهتموا بالوساطة التجارية ، اذ ان الاقليم لم تشتهر بالزراعة المتنوعة مثل مدن الشمال ، حيث اشتهرت بانتاج التمور وتربية الاغنام والابل ، وهي المنتجات الاساسية ، الى جانب بعض المنتجات الصناعية والحرفية والتي يعتقد انها كانت في البداية المنتجات الوحيدة التي كانت تصدرها لبلدان المغرب أو السودان ، غير ان تجار المنطقة لم يكتفوا بذلك بل كانوا يتجولون في أسواق بلاد المغرب لشراء انواع السلع واعادة بيعها في أسواق السودان ، مقابل الذهب والعبيد ، فكان لها التأثير في نشأة و ازدهار القصور بوادي ريغ من الناحية التجارية والعمرائية .

كما ساهمت ارض السودان في انعاش الاقتصاد المغاربي من سلعة الذهب وتزويد المجتمع المغربي بالعبيد السود الذي مثل فئة جديدة ومهمة في الحياة الاجتماعية والعسكرية على السواء .

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية

1-العمارة الدينية

2-العمارة المدنية

3-العمارة العسكرية

أولاً: العمارة الدينية الإسلامية

خضعت قصور وادي ريغ لشروط ومقاييس المدينة الإسلامية تخطيطاً وعمارة مما يحقق غايات المجتمع الفردية والجماعية والمادية والروحية، انطلاقاً من القيم والمبادئ الإسلامية مثل المباني الدينية كالمساجد والزوايا و المدينة كالقصور والمنازل والأسواق وغيرها من المرافق العامة، إضافة إلى العمارة العسكرية من تحصينات كالقلاع والأسوار والخنادق ومن أهم العمائر المسجدية بالمنطقة.

1- المسجد الجامع بتقوت

يمثل الجامع في المدينة النواة الأساسية في تخطيطها فكان أول ما يخطط في المدينة حيث تنتهي عنده شوارعها وأزقتها وكانت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم المثال الأول على ذلك، حيث أشار ابن الربيع في تحديده شروط تخطيط موضع المدينة مبرزاً مكانة المسجد وموضعه فيها والهدف من ذلك في تكليفه للحاكم حيث يقول: "أن يبني فيها جامعاً للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها"¹.

يتوسط المسجد عمران القصر على المسجد العتيق أو المسجد الجامع² كموقع أساسي نظراً للدور الذي يلعبه كنقطة استقطاب وتوحيد لأطراف القصر فهو محاط بالمباني السكنية والسوق.

1-1- ظرفية التأسيس

في ظل نقص المصادر التي نفتقر إليها في تحديد تاريخ تأسيس المسجد الجامع بتقوت، نلجأ إلى كتب الرحالة والمؤرخين حول تاريخ القصر والمسجد الجامع.

¹ ابن أبي الربيع، المصدر السابق ص 192

² التصميم العمراني للقصر ينسجم مع طبيعة المدينة الإسلامية التي يتمحور نسيجها العمراني حول المركز الذي يمثله المسجد، ولم يخرج عن أسلوب التخطيط العمراني لبناء المدينة الإسلامية

ومن بين هؤلاء نذكر حسن الوزان الذي اشار الى تقرت في القرن 10هـ بأن "دورها مبنية بالآجر المشوي والنيئ ماعدا المسجد فقد بني بالحجر المنحوت"¹. وهذا يجعلنا نرجح ان بناءه يرجع الى قبل القرن 10هـ.

أما الطاهر بن دومة فيذكر بأن المسجد الجامع اسسه الاباضيون -عندما اضطهدوا ففروا الى الجنوب ، ثم شيد المالكيون مسجدا بجانبه².

كما يعتقد ايضا أن مؤسس المسجد هو سليمان الجلابي المريني في العهد الحفصي الذي استقر في تقرت بعد رجوعه من الحج ، وأسس مسجدا ، ثم تمسك به سكان المنطقة ونصبوه حاكما عليهم ، وقد يكون المسجد الذي شيده هو الجامع الكبير الذي تعرض للهدم اثر هجوم صالح باي على تقرت سنة 1202هـ واعيد بناؤه سنة 1220هـ³. ولم يبق من عمارته إلا المئذنة التي قاومت الكوارث الطبيعية و قذائف صالح باي.

وقد أعيد تجديد المسجد الجامع ومنبره في القرن الثالث عشر الهجري ،التاسع عشر الميلادي، طبقا للكتابة التذكارية المنقوشة على لوحة رخامية المثبتة فوق مدخل بيت الصلاة جاء فيها مايلي: [أنظر اللوحة 11]

-بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

-كامل بناء المسجد الاعظم بحول الله

-وحسن عونته على يد من أسس بناء ه بتقوى

-من الله ورضوان الامير الاسعد

-الاهني الارشد قاصدا به وجهه الله الاكرم

¹ حسن الوزان، المرجع السابق، ج 2 ، ص 135

² الشيخ الطاهر بن دومة ، المرجع السابق، ص 23

³ عبد العزيز شهبي، مساجد اثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة في الآثار الإسلامية، معهد

التاريخ والآثار، جامعة الجزائر، 1985، ص ص 175، 176

-الشيخ ابراهيم ابن المرحوم احمد بن محمد بن
 -جلاب سنة 1220¹ عشرين ومايتين والف وبالله التوفيق.
 أما تاريخ المنبر فقد جاء فيه : [انظر الصورة 20]
 -بسم الله الرحمن الرحيم .وصلى الله على سيدنا محمد
 -جدد هذا المنبر الشيخ الذي اسمه ابراهيم بالجود قد أثنأ "كذا" عليه كثير الناس في كل
 موطن وهو ابن جلاب فبالفضل اجلبنا
 -وجاد رضي عن طيبة النفس مخلصا قد اختار ما يبقى "كذا" على دنية "كذا" تفنا
 -بني مسجد ا لله ذو الكرم الاسنى ورام به يوم الجزى منتهى الحسنى
 فتم بناء بعون الله في آخر صفر سنة 1219² ميرس بالرمز قد تفهم المعنى
 جدده هذا الأخير وانتهى من أشغال التجديد في صفر سنة 1219هـ.
 وبما ان الارقام غير واضحة في كتابتها بسبب ظروف مختلفة طبيعية وبشرية وقدمها فلجانأ
 الى طريقة حساب الجمل للحروف في الكتابات التاريخية فان الكتابة التي نقشت على المنبر
 وهي "... فتم بعون الله في آخر صفر سنة 1219 ميرس بالرمز قد تفهم المعنى " فعند
 مطابقة حروفها "ميرس بالرمز قد تفهم" مع ما يقابلها من أرقام كالتالي:

الحرف	عدد السنوات						
م	40	ب	2	م	40	ت	40
ي	10	ا	1	ز	7	ف	80
ر	200	ل	30	ق	100	هـ	5
س	60	ر	200	د	4	م	40

¹ سنة 1220 هـ الموافق ل 1805 م

² سنة 1219 هـ يوافق 1804 م

من خلال الجدول وعند مطابقة الحروف مع السنوات نجد ان سنة التجديد هي 1219هـ.

وبناء على ما تقدم يتضح بان المسجد العتيق هو من تأسيس اسرة بني جلاب التي حكمت منذ القرن 09 هـ /15م وأعيد تجديده من الهدم الذي لحق به من طرف صالح باي اثر حملته على تقرت تهدم الجامع الكبير سنة 1202 هـ /1788م ليتم تجديده سنة 1220هـ 1805 م.

1-2-تخطيط المسجد: [انظر المخطط رقم7]

اتخذت الجوامع العتيقة في الصحراء أشكالا مختلفة.فمنها المستطيلة الشكل عرضها أكبر من عمقها ،أو ذات شكل غير منتظم ،وأهم ما يلاحظ عنها أنها قد تكون خالية من الملحقات الأخرى مثل الصحن الميضاء ،وبالتالي فهي التي تحدد الهيكل العام للمساجد الصحراوية ،فاذا دققنا النظر في النواة الاولى لكل مسجد نجد انها كانت ذات مخطط مستطيل الشكل، كما تتميز بأضلاعها الغير متساوية وعدم استقامة جدرانها واختلاف سمكها من مكان إلى آخر كما تنعدم فيها الزوايا القائمة ،وهي إحدى سمات العمارة الصحراوية وتكاد تكون ظاهرة عامة بمناطق الجنوب الجزائري.

يأخذ التخطيط العام للمسجد العتيق بتقرت شكل مضلع غير منتظم ، يزيد عرضه عن جوفه بعرض 61,25م و جوفه 37,27 م

1-3- العناصر الانشائية

1-3-1-الابواب [انظر الملحق 12]

يحتوي بيت المسجد العتيق على اربعة ابواب ،موزعة على: الجدار الشمالي الشرقي يحتوي على بابين يفتحان بين الصحن والبلاطين الثانية والرابعة الموازية لجدار القبلة ، بعرض 1.45م، وبارتفاع 2.79 م ، وبابا بالجدار الغربي يفتح بين الرواق والبلاطة الرابعة الموازية

لحائط القبلة ، بعرض 1.55 م ، وبارتفاع 2.79 م ، وبابا مقابلا للمحراب بالجدار الغربي يفتح الى الخلف لبيت الصلاة بعرض 1.45 م وبارتفاع 2.79 م. وبابين في الجهة الجنوبية والغربية للجامع بعرض 1.21 م وارتفاع 2.20 م يؤديان الى رواق فاصل بيت الصلاة عن الميضاء ، عرض الرواق 2.50 م وبطول 26.81 م.

1-3-2-الصحن [انظر اللوحة 14،15]

الصحن هو مساحة إضافية مكشوفة تتصل بالمسجد يستخدمها المصلون في الصلوات الجامعة ، ولا شك أن ارتفاع درجة الحرارة في المنطقة أوجب إقامة ساحة مكشوفة لحماية الأماكن المكشوفة من حرارة الشمس وتزويدها بالتهوية .

والصحنون المسجدية تكون معظمها ذات مخطط إما عرضي أي أن عرضها أكبر من عمقها أو طولي أي أن عرضها أقل من عمقها.

ويضم المسجد الجامع فناءين أحدهما رئيسي جانبي شمال شرق بيت الصلاة ، يأخذ شكلا مستطيلا غير منتظم بعرض يبلغ 19.85 م ووجوفه 23,07 م ، والولوج اليه عبر بابين الأول في الجهة الجنوبية بعرض 1.91 م وارتفاع 2.21 م ، اما الثاني في الجهة الشمالية بعرض يبلغ 1.12 م وارتفاعه 2.21 م .

وقد احيط الصحن بأروقة من جهاته الأربع يحتوي على عدد من البلاطات ،. الرواق الاول يقع في الشمال الشرقي بعمق 12.88 م وبعرض 2.68 م ، وعدد البلاطات العمودية على القبلة 01 بلاطات والموازية للقبلة وعددها 05. اما الرواق الثاني يقع في الجنوب الشرقي عمقه 6.17 م وبعرض 11.35 م ، وعدد البلاطات العمودية على القبلة 04 بلاطات والموازية للقبلة وعددها 02 ، والرواق الثالث يقع في الجنوب الغربي بعمق 17.44 م وبعرض 3.91 م ، وعدد البلاطات العمودية على القبلة 01 بلاطات والموازية للقبلة وعددها 05 ، اما الرواق الرابع فيقع في الشمال الغربي عمقه 3.82 م وبعرض 16.48 م ، وعدد البلاطات العمودية على القبلة 05 بلاطات ، اما عدد البلاطات الموازية للقبلة وعددها 01.

اما الصحن الثاني وهو ثانوي يأخذ شكل مثلث، يقع في محور بيت الصلاة من الخلف في الجهة الشمال الغربي للمسجد طول وتره 16.48م ، وعمقه 9.90م ، يولج الى الصحن عن طريق باب يتوسط الجدار الغربي عرضه 1.42م وارتفاع 2.22م ، وتحيط بالصحن ثلاثة اروقة من جهاته الثلاث . الرواق الاول يقع في الجهة الشمالية عمقه 9,05م وبعرض 2.92م ، وعدد البلاطات العمودية على القبلة 01 بلاطات والموازية للقبلة وعددها 03. والرواق الثاني يقع في جهة الجنوب الغربي بعمق 6.51م وبعرض 3.89م، وعدد البلاطات العمودية على القبلة 01 بلاطات والموازية للقبلة وعددها 02. اما الرواق الثالث والاخير يقع في الجنوب الشرقي عمقه 3م وبعرض 12.92، وعدد البلاطات العمودية على القبلة 04 بلاطات والموازية للقبلة وعددها 01.

1-3-3-الميضأة"بيت الوضوء":

وهي بيت الوضوء، والوضوء معناه الحسن والنظافة، واسم مصدر ، لأن فعله إما يكون توضأً فيكون مصدره للتوضؤ، وإما يكون مصدره الوضأة -بكسر الواو -، فالوضوء اسم للنظافة أو للوضأة ، ومعناه في الشرع استعمال الماء في أعضاء مخصوصة ، وهي اليدان والوجه¹.

تقع الميضأة للجامع في الجهة الجنوبية منه ، تأخذ شكل مضلع غير منتظم ، وقد تم تدميرها بغرض التوسعة والتجديد وحسب عبد العزيز شهبي² فان عرضها 8.7م ، وعمقها 8.10م ، تحتوي على حوض مستطيل وسبعة مراحيض ، يولج اليها من باب يفتح على الرواق الاضافي عرضه 0.80م وارتفاع 02م.

¹ عبد الرحمن الجزيري ، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، قسم العبادات ، ج1، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، المرجع السابق ، ص 46-47

² عبد العزيز شهبي ، مساجد أثرية ... المرجع السابق ص 198

كما يحتوي المسجد الجامع على قاعتين تستغلان في تعليم القرآن الكريم وتحفيظه للاطفال وثلاث غرف تستغل لاستراحة الائمة والمؤذنين والقائمين بأعمال المسجد. قاعة وغرفة بالصحن الرئيسي تأخذان شكلا مستطيلا، تقع القاعة في الجهة الجنوبية للجامع بعرض 2.25م وبعمق 5.25م، اما الغرفة تقع في الجهة الغربية عرضها 2.50م وهمق 1.75م، يولج اليهما من باين يفتحان على الصحن ، عرض باب القاعة 01م اما باب الغرفة عرضه 050م.

كما توجد قاعة و غرفة بالصحن الثانوي ، الاولى شكلها مربع غير منتظم بالجهة الجنوبية بمساحة 22.72مربع، اما الغرفة تقع في الجهة الشرقية ذات شكل مثلث بمساحة 7.10م² ، ويولج اليهما من باب ين يفتحان على الصحن ، باب القاعة عرضه 1.20م وباب الغرفة 0.80م.

1-3-4-النوافذ : [انظر الملحق13]

بما أن الهواء والضوء ضروريان للحياة ومع ارتفاع في درجات الحرارة فالسبيل إلى تأمينهما يستوجب اللجوء إلى عناصر معمارية تساهم في تكييف الهواء داخل المباني، لذا لجأ المعماري إلى استخدام الفتحات والنوافذ لخلق مجري هوائي داخل العماير الدينية.

ويظهر جليا في الفتحات أو النوافذ الكبيرة على الجدران والتي يتميز بها المسجد العتيق اذ تحتوي بيت الصلاة للمسجد الكبير على نوافذ صغيرة تقع أعلى الجدران عرضها 0.51م وارتفاعها 0.76م، وعددها خمسة عشر نافذة تتوزع كالتالي: اربع تتوسط الجدار الشمالي الشرقي تتوزع على البلاطات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة ، و سبع نوافذ بجدار القبلة موزعة بعدد البلاطات اي نافذة لكل بلاطة، وثلاث نوافذ بالجدار الجنوبي الغربي تتوزع على البلاطات الرابعة والسادسة والثامنة، و نافذة تعلو باب في آخر بيت الصلاة ، وهناك نوافذ اكبر من سابقتها الاولى على يمين الباب المقابل للمحراب عرضها 1.51م ، و نافذتين بالجدار الشمالي تتوزعان على البلاطتين الثانية والثالثة عرضهما 1.22م وارتفاع 1,69م

اما الغرفة الأخيرة فهي تقع جانب بيت الوضوء في الجهة الشرقية منها ، تأخذ شكلا كثلثا بمساحة 3.75م مربع ، وندخل اليه من باب يؤدي الى الرواق الاضائي، عرضه 0.80م.

1-3-5- بيت الصلاة

اما بيت الصلاة فجاء على شكل مستطيل عرضه أكبر من عمقه، يتوسط الجامع وباتجاه الجنوب الشرقي، وبلغت مقاساته، 25,79م عرضا ، وجوفه 24,49 م وبارتفاع 6 م ، متبعة في ذلك نمط الجامع الأموي بدمشق والمسجد الأقصى بالقدس ومسجد عمرو بالفسطاط وجامع بن طولون بالقاهرة . واعتقد أن البناء أراد من وراء ذلك إعطاء فرصة لعدد كبير من المصلين للانضمام إلى الصف الأول لأنه يتلاءم وعادات المنطقة المستقاة من الدين الحنيف ، ولاسيما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحث المسلمين على التقدم إلى الصف الأول بقوله : "الشهداء : الغرق والمطعون و المبطون والهدم ، وقال : ولو يعلمون ما في التهجر لاستبقوا ، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوها ولوحبوا، لو يعلمون ما في الصف الأول لاستهموا " ¹ ، وقوله كذلك "تقدموا واثتموا بي ، وليأتكم بكم من بعدكم ، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله" ².

يحتوي بيت الصلاة على ستة عشر بلاطة وبمقاس 2,55 م للبلاطة ، موزعة بالتساوي وبنفس العدد للأساكيب وعددها ستة عشر حيث تأخذ نفس المقاس. مكونة صفوف من الدعائم والاقواس المتقاطعة مثل بيت صلاة المسجد الكبير بقسنطينة .

أما جدران بيت الصلاة فقد بنيت جميعها بنفس المواد حيث استعملت الحجارة والطين والجص بسمك 0.80م.

1-3-6- الدعائم: [أنظر اللوحة 15، 16. الشكل 4]

¹ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري ، ج1، موفم للنشر ودار الهدى للنشر والتوزيع ، عين مليلة ، 1992، ص253

² خير الدين وائل ، المسجد في الإسلام ، أحكامه وآدابه وبدعة ، ط4، المكتبة الإسلامية ، عمان ، 1998، ص86

يتمثل دور الدعائم وانصافها لحمل الاقواس والأسقف ، و قد استعمل المسلمون في البداية جذوع النخل كوسيلة لتدعيم السقوف في المساجد الإسلامية الأولى ، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلبوا أعمدة حجرية من مباني قديمة واستعملوها بدلا من جذوع النخل . وهكذا يتبين لنا أن الأعمدة كانت هي الأسبق في الظهور من الدعامات داخل المباني الدينية الإسلامية ، وقد لجأ المعماري المسلم إلى الدعامات بعد بناء جامع الأموي بدمشق .

يحتوي بيت الصلاة للجامع على ثمان واربعون دعامة منها خمس دعائم ذات شكل مربع بضلع يبلغ 0.70م وارتفاع 2.90م ، وهي تحمل القبة التي فوق المحراب وثلاثة واربعون دعامة موزعة على بقية الصحن تتوزع على سبعة صفوف عمودية على جدار القبلة ، ثلاثة صفوف في الوسط مقابلة للمحراب والقبة مباشرة بخمسة دعائم لكل صف ، واربعة صفوف موزعة بالتساوي على يمين وشمال المحراب والقبة وكل صف بسبعة دعائم ، تأخذ شكل معين عرضها 0.80م ارتفاع 2.90م ، وفروع جانبية لكل عمود على مستوى اضلاعه الاربعة وبطول العمود عرض الفرع 0.48م وبتواء 0.16م.

بينما الصحنين الرئيسي والثانوي يحتويان على ستة وعشرون دعامة مربعة الشكل بضلع قدره 0.85م عند القاعدة و 0.71م عند البدن وارتفاع 2.90م ، فالصحن الرئيسي يشتمل على عشرة دعائم موزعة على خمسة صفوف في الاروقة الجانبية ، أما الصحن الثانوي يظم ثماني دعائم موزعة على ثلاثة صفوف لثلاثة اروقة .

وقد تم تدعيم جدران المسجد بأنصاف دعائم بعرض 0.90م والبارز منها 0.40م وبارتفاع 03م وهي مقابلة للدعائم الحاملة للأقواس بمجموع 76 دعامة موزعة على الجدران الخارجية للمسجد وجدران بيت الصلاة.

1-3-7-العقود: [أنظر اللوحة 17]¹

عنصر معماري له وزنه في العمارة الدينية الإسلامية، وتتمثل وظيفته في توزيع ثقل السقف على الركائز والجدران. وقد كانت سقوف المساجد الأولى مثل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومساجد البصرة والكوفة و واسط تتركز مباشرة على الأعمدة والدعامات .

اما بالنسبة لمسجدنا فقد استعملت فيه الاقواس ذات الشكل النصف دائري بقطر 2.30م وارتفاع 1.15م ،اما السمك 0.48م اقواس بيت الصلاة ، و0.60م في الصحنين ، و0.70 م لأقواس القبة التي فوق المحراب .

وتتوزع هذه العقود في بيت الصلاة على سبعة صفوف عمودية على جدار القبلة وسبعة أخرى مقابلة لجدار القبلة.

اما الصحن الرئيسي فيحتوي على صفوف من الاقواس موزعة على اربعة الصحن عددها خمس عشرة قوس منها ماهو عمودي على جدار القبلة وعددها تسعة وأخرى موازية لجدار القبلة وعددها ستة صفوف.

¹ لجأ المهندس المسلم إلى استعمال العقود فكان أول في مسجد قبة الصخرة ،،وبرزت أنواع عديدة من العقود .فاستعمل في البداية العقد النصف دائري ،ثم العقد المدبب الذي استعمل بصفة خاصة في المباني الدينية الإيرانية ، أما العقد الحدوي ، فقد أصبح من اختصاص الأندلس وبلاد المغرب .

1-3-8-المحراب: [انظر اللوحة 17. الشكل 7]¹

يأخذ شكل المحراب بالجامع الكبير بتقرت شكل قوس منخفض ، يتوسط جدار القبلة بيت الصلاة ، باتجاه الجنوب الشرقي . عرضه 2.12م وبارتفاع 2.59م ، اما جوفه 01م . يشتمل على ساريتين الاولى جهة اليمين والثانية جهة اليسار، صنعت من الرخام تأخذ شكل اسطواني قطر كل منهما 0.13م ، وبارتفاع 1.35م ، ترتكزان على قاعدتين ذات شكل متوازي المستطيلات طول ضلعها 0.30م وارتفاعها 05سم ، تنتهي كل سارية بتاج يأخذ شكل جذع هرم مقلوب بارتفاع 0.20م. مزين بطوق عند قاعدة التاج ، وغصنان متناظران حلزوني الطرفين في وسطه ثم صفتان متوازيان في الاخاديد المكسورة .

اما داخل المحراب فقد زخرف الزليج بعناصر نباتية وهندسية ، وتشمل ثلاث ألواح أفقية : العليا منها تزينه افريز من اغصان بخمسة اوراق ، وزهور بثلاثة فصوص بالتناوب .

¹ يعتبر أحد أهم العناصر المعمارية في العمارة الدينية الإسلامية فمن حيث ظهوره في العمارة الدينية الإسلامية فقد أرجعه أغلب الباحثين إلى عهد عمر بن عبد العزيز بالمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة فيما بين "88-90هـ/706-710م". لكن أحمد فكري يعترض هذا الافتراض إذ يرى أن أول محراب بني كعنصر معماري كان بجامع القيروان في حدود 50هـ/970م

والمحراب مكان يتقدم بيت الصلاة من القبلة (قبلة المسجد) أي الجدار الذي يقوم فيه المحراب والذي يتجه إلى مكة . أما المحراب فهو التجويف في جدار القبلة، والمحراب نوعان (مسطحة أو مجوفة) ، والمحراب المجوفة فمنها ما هو ذو تجويف نصف دائري ، ومنها ما هو تجويف قائم الزوايا ، ومنها محراب مجوفة كثيرة الأضلاع¹ .

وقد تعالى: محراب في آيات قرآنية عديدة منها. قال تعالى الآية ، 39 من سورة آل عمران: "...فخرج على قومه من المحراب"

يحتل المحراب وسط جدار القبلة، وان كان محراب الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة يتعد عن الوسط الخالي ب12 م باتجاه الشرق فهو يحدد القبلة ويشير إلى اتجاه الكعبة. انظر- أحمد فكري ،المسجد الجامع بالقيروان ، مطبعة المعارف ومكبتها ، القاهرة ، 1996، ص56-57- يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، الكتاب 2، مصر، 1999، ص11-جمعة أحمد قاجة ،موسوعة فن العمارة الإسلامية ، ط1 ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت ، 2000 ، ص325،

اللوحة السفلية مزينة بدوائر كبيرة تتناثر حولها أغصان وأوراق ، هذه الدوائر مزخرفة بنجم ذو ثمانية رؤوس بالمركز محاط بافريزان ، تنتشر بينهما كتابة وأغصان ملتوية.

أما اللوحة الوسطى ، تنقسم الى سبعة ألواح عمودية ، فاللوحة التي على يمين المحراب تزينها معينات تحتوي على زهور بخمسة فصوص باغصان ملتوية ، ثم ستة ألواح تتناوب فيما بينها من حيث الزخرفة ، ثلاثة منها مزينة بنفس زخرفة اللوحة السفلية السابقة الذكر. وثلاثة ألواح أخرى تزينها مربعات تحتوي على زهرة مثمثة الفصوص داخل زهرة مربعة الفصوص ، مع أوراق منتشرة بين فصوص الزهرة .

يحتوي المحراب على قوس نصف اهليلجي قطره 1.51م وارتفاع 0.72م

1-3-9- القباب [أنظر اللوحة 19]¹

يحتوي المسجد الجامع على سبعة وثمانون قبة ، تتوزع بين بيت الصلاة اذ تغطي جميع البلاطات وعددها ستون قبة ، وقباب اربعة الصحنين فعددها ستة وعشرون قبة. كما تحتوي بيت الصلاة على قبة أعلى المحراب والتي تأخذ شكل نصف اهليلجي وهي أكبر القباب ، قطرها 5م وبارتفاع 3.30م ، تعتمد على قاعدة مثمثة ، وتحتوي على اربع شبابيك موزعة

¹ نوع من البناء المستدير مقوس ومجوف ، وخيمة صغيرة أعلاها مستدير ، في المصطلح الأثري المعماري هي بناء محدودب أشبه بكرة مشطورة من وسطها أو بناء دائري مقعر من الداخل مقبب من الخارج.

والقبة من الملامح التي تتميز بها أغلب المؤسسات الدينية عند المسلمين ، فكان أول ظهور للقبة في العمارة الإسلامية في مسجد قبة الصخرة ، أما ظهورها في بلاد المغرب فكان في جامع القيروان ثم انتشر هذا النوع من القباب في معظم الجنوب الجزائري ، فقباب أريطة الجنوب القسنطيني متأثرة بالطابع التونسي هذا الأخير الذي تأثر بدوره بالقباب ذات الرقبة المثمثة بالمباني التذكارية الرومانية. وترمز القبة إلى الاتجاه الرأسي للمكان المقدس نحو السماء ، إذ أن للمسجد اتجاهان ، اتجاه أفقي نحو الكعبة واتجاه رأسي نحو السماء ، وقد رمز المعماري المسلم إلى الاتجاه الأخير بالقبة للاطلاع راجع: عاصم محمد رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون ، مكتبة مدبولي للنشر ، مصر، 2000 ، ص 121 -122- أحمد فكري، المرجع السابق، ص87- ، Rev.Afr. 1923, "Les Marabouts", Commandant caudet ,

1981، N64، p294 p307- ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار المعارف ، القاهرة ،

على محيط القبة بالتساوي. اما من الحاج فهي تنتقل من قاعدة مربعة الى القاعدة المثلثة بواسطة اربعة مشكوات نصف مقببة معتمدة على سبعة دعامات.

1-3-10- المنبر [أنظر اللوحة 20. الشكل 6]

كان المنبر أول عنصر معماري يضاف إلى المسجد أو الجامع ، ففي البداية كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستند إلى جذع نخلة عندما يلقي خطبته على المصلين ، فأوعز إليه تميم بن الداري يصنع منبراً كما في كنائس الشام، وتبنى الرسول صلى الله عليه وسلم الفكرة فأمر أن يصنع له منبر من الخشب ذي ثلاث درجات ، وتبعه المسلمون من بعده ، وأضافوا إليه درجات أخرى ، وخصصوا له فتحة على يمينه يدخلها كل الأيام ماعدا يوم الجمعة والأعياد. اشتقت الكلمة من نبر، وانتبر الشيء بمعنى ارتفع ، والمنابر أنواع من حيث مادة الإنشاء ، منها المنابر الخشبية والرخامية والحجرية، ويعتبر منصة تسع لوقوف وجلس خطيب الجمعة وتقع قرب المحراب تعلوها قبة صغيرة أو جوسق. وقد عرف في العمارة الإسلامية خلال العهد الأموي إذ أدخل كعنصر معماري بجوار المحراب على يمينه. لما صنع المنبر الشريف أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يدفن هذا الجذع تحت منبره أو جعل في سقف المسجد. وبلغ سيدنا عمر بن الخطاب أن سيدنا عمر ابن العاص -رضي الله عنهما - ، اتخذ في مسجده بفسطاط مصر ، الذي كان يسمى "تاج الجوامع " منبراً من خشب . أما بن بطوطة فقد أشار إلى لفظ المنبر عندما كان في مكة سنة 726 هـ عندما حضر صلاة الجمعة في المسجد الحرام ، وقد نقل لنا هذا الرحالة صورة قلميه عن المنبر المنتقل في المسجد المذكور أثناء كلامه عن خطبة الجمعة¹.

¹ عفيف بهنسي، الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه، دار الفكر ، القاهرة ، بدون تاريخ، ص14- يحيى وزيري ، المرجع السابق، ص27- فريد الشافعي ، المرجع السابق ، ص491- محمد حسين جودي، العمارة العربية الإسلامية، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 1998، ص78- بن سعد الطبقات الكبرى ، ج1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، 1960، ص251- المقرئزي ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج2، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر ، بدون تاريخ ، ص247- ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار ، تحقيق عبد المنعم العريان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص ص99-100

اما المنبر الذي نحن بصدد وصفه فقد صنع المنبر من مادة الخشب يتكون من مدخل وجانبين وصدر ودرجات ، طوله 2.75م وعرضه 0.75م ، وبارتفاع كلي بلغ 2.40م، اما ارتفاع المدخل 1.90م ، محاط باطار يعتمد على قاعدة ، وينتهي بعارضة أفقية، يتكون المنبر من سبع درجات عرضها 0.65م وارتفاع 0.20م وبجوف 0.30م .

1-3-11- المئذنة : [انظر اللوحة 21 الشكل 5]

تقع المئذنة في الزاوية الشمالية الغربية لبيت الصلاة ، تتكون من بدن وجوسق ، بارتفاع يفوق 20 مترا ، البدن حوالي 14مترا ، يتميز بالاتساع عند القاعدة ليضيق قليلا كلما ارتفعنا الى الاعلى حيث يبلغ عرضه عند القاعدة 5.40م ، اما قمته يبلغ 4.50م ، ينتهي البدن بسطح مكشوف محاط بسور يرتفع ب 1.50م .

أما الجوسق فهو مربع الشكل يبلغ ارتفاعه 6م ، تعلوه قبة ترتكز على اربعة اعمدة مربعة الشكل بضع 0.60م. تنتهي بعقود نصف دائرية.

يولج الى المئذنة عبر باب بارتفاع 2م ، وعرضه 0.90م ، يقابلنا سلم يدور على نواة مركزية مربعة الشكل ضلعها 2م، يستند الى الجدار والنواة بأخشاب ، وقد بلغ عدد دروج السلم 66 ، بارتفاع 0.20م ، وعمق 0.40م لتتناقص حتى تصل 0.30 في الاعلى ، اما طول الدرج 0.90 م في القاعدة و0.75 في الاعلى.

2- زاوية سيدي الشيخ محمد بن يحيى الادريسي : [انظر المخطط 08

اللوحة 2]

شيدت الزاوية بمعزل عن النسيج العمراني في الغابة الواقعة الى الشرق من قصر النزلة ، ونسبت الى شيخ اقليم تقرت وهو محمد بن يحيى الريغي الادريسي الذي تنازل عن السلطة والمشيخة الى سليمان ابن رجب الجلابي خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، ومن هنا نرجح ان نشأتها تعود الى هذه الفترة .

والزاوية ذات طابع تقليدي محلي من حيث مواد البناء المحلية كالجص ومن حيث الجانب المعماري والعناصر المعمارية، بنيت الزاوية من طابق واحد على ارتفاع 3,5 م، مع قباب ذات شكل مخروطي تشبه ثمرة التين، وعددها اربعة منها تعلو بيت الصلاة وثانية فوق الخلوة ، اما الثالثة فوق المخزن ، والقبة الرابعة تعلو ضريح سيدي الشيخ.

قبة سيدي الشيخ يبلغ قطرها 4,5م في المركز مع طبل ارتفاعه 1م مزودة باربعة فتحات لاربعة واجهات للتهوية وتزين انصاف القبة مع مستوى اركانها.

اما قبة ساحة التخزين قطرها 3,5م تأخذ شكل قوس منخفض،بينما قبة بيت الصلاة يبلغ قطرها 2,5م شكلها بيضوي تقف على طبل يحتوي على فتحتين صغيرتين لكل جهة من الجهات الاربعة.و قبة الخلوة ذات قطر 3,5م وهي على شبيهة بشكل تينة ثم تنتهي بشكل مخروطي ، وأسلوب بنائها جنائزي بنفس اسلوب قباب أرضحة الملوك

ويتم الولوج الى الزاوية عبر مدخل يفضي الى قاعة كبيرة هي السقيفة بها باب يؤدي الى بيت الصلاة وخلوة سيدي الشيخ، وباب آخر يفتح على الحوش المحاط بفضاءات اخرى.

2-1- بيت الصلاة

بيت الصلاة تأخذ الشكل المستطيل بطول 6,50م وبعرض 5,7م تعتمد على اربعة اعمدة مربعة الشكل طول ضلع الواحدة منها 0,65م،وهي تتوسط بيت الصلاة تحمل القبة المركزية انطلاقا من الاقواس التي دعمت بثلاث اعمدة ثانوية.عدد الاقواس الاجمالي 24قوس منها 12قوس وسط بيت الصلاة والبقية داخل جدار بيت الصلاة، وقد زودت بفتحات للتهوية على مستوى القبة واخرى بجدار القبلة.أما المحراب فهو تجويف داخل الجدار بارتفاع قدره 1.24م ينتهي بعقد نصف دائري ، وهي خالية من الزخارف.

ومن بيت الصلاة نلج على خلوة سيدي الشيخ بالجهة اليسرى لبيت الصلاة ، وهو مكان مقدس ، يتميز بصغر المساحة وخلوه من مظاهر التزيين ، مع انارة قليلة "شبه مظلمة ، وهو فضاء مخصص لممارسة بعض الطقوس الدينية لشيخ الزاوية.

2-2-الفناء

نلج الى الفناء او الحوش من السقيفة ،وهو عبارة عن فضاء مكشوف شكله مستطيل ، يعتبر النواة الاساسية للزاوية اذ يتوسط العناصر المكونة للزاوية ، كما انه يسمح بالتهوية والانارة للفضاءات المجاورة.

2-3-الضريح

تأخذ الغرفة شكلا مستطيلا بها ضريح سيدي الشيخ بن يحيى وضريح خادمه، وهما عبارة عن مصطبتان صغيرتان منفصلتان عن بعضهما البعض ،مستطيلتا الشكل لايزيد ارتفاعهما عن 1.10ممتغطي كل واحدة منهما مساحة القبر المخصص للدفين ، ويطلق عليها اسم المقام.

2-4-المقبرة

انشأت في الجهة الجنوبية من الزاوية مقبرة مساحتها 520م² تأخذ شكل مثلث ، خصصت لدفن عائلات الادرسي.

لكن من خلال معاينتنا للمكان يتضح انه عبارة عن مزار أي مكان لزيارة الشيخ محمد بن يحيى في الوقت الراهن، لان مظهره ودوره يوضح انه لم يرقى في وظيفته الى مستوى الزاوية لان صاحب الضريح لم يتبنى طريقة ما من الطرق الصوفية ولم يذكر انها كانت تدرس القرآن ولا تعليم الدين الاسلامي سابقا او في الوقت الحالي ،ولم يعد تؤدي فيه الصلوات حيث ان بيت الصلاة فهي مملووة بخردوات مختلفة للبناء ، وبالتالي فقد فقدت وظيفتها الاساسية ، و لكل مظاهر الزوايا المعروفة.

تبين لنا بعد دراسة العمارة الدينية بقصر تقرت استنتجنا ان نشأتها كانت بسيطة ،وبقيت محافظة على تلك البساطة في البناء وعلى طابعها الاسلامي ،وفي اداء دورها الديني كما أنها لم تختلف في تصميمها عن العمائر الدينية الاسلامية

ثانيا: العمارة المدنية

اما العمارة المدنية فقد اخذت طابعا مميزا في العمارة الاسلامية من حيث التخطيط والعناصر المعمارية والزخرفة ، وفقا لمعايير دينية وديوية ، ومن هذا المنطلق السؤال يطرح نفسه ما مدى مطابقة العمارة المدنية بوادي ريغ لهذه المعايير؟ للاجابة على هذا التساؤل سنتناول دراسة العمارة المدنية لمختلف انواعها ، مع التركيز نماذج منها وفي مقدمتها المسكن. للمسكن في الإسلام حرمة وقداسة وخصوصية إذ يمثل الحصن الذي تعيش فيه الأسرة و الحصن الذي يتربى فيه الأولاد وهو محل المال والمتاع .

وقد تأثرت هندسة المنازل عند المسلمين بهندسة المسجد حيث كانت في أغلب الأحيان مفتحة للداخل حول مجال مكشوف مثل صحن المسجد ، تتوزع الغرف حوله ويمثل متنفسا للمستعملين ، ويضمن الشمس والهواء كما كان يحوي على الخضرة ويضمن النشاط الاجتماعي والأسري في ظروف تغيب عنا أعين الغرباء ، ولا يزال كذلك في الكثير من المدن العربية ، ويمثل المسكن بهذه الهندسة مزاجية بين كل من التقاليد والقيم الروحية الإسلامية من ناحية وظروف البيئة المناخية من ناحية ثانية.

ويعكس ذلك الترابط الاجتماعي الخاص بالأسرة والحياة الداخلية للفرد ، الاهتمام باستغلال المجال الداخلي واستعماله بدقة من قبل السكان وفقا لتوجيهات الدين الإسلامي ، حيث تفتح مداخل البيوت على أزقة ضيقة ، توحى في غالب الأحيان بخصوصية المجال وتحوله

نحو الداخل بانغلاق الواجهة على الخارج ، ضف إلى ذلك الارتفاعات المتوازنة والأسقف المسطحة ، التي تجسد علاقة المجاورة التي يوليها التنظيم الإسلامي أهمية كبرى في المجتمع¹ . فالصحن ذلك العنصر المحالي المشترك في معظم عمائر البلاد العربية لم يكن مجرد فجوة عارضة ، بل هو متنفس عضوي تستقر حوله بهدوء مرافق المبنى ، ولا يزال البعض من هذه الفناءات العربية ماثلاً أمامنا في بعض مبانينا التاريخية إذ تعكس لنا بضالها وشرفاتها ونباتاتها ومياهها الدافئة وما تضيفه من هدوء وخصوصية مجالاً حيويًا وفردوساً أراضيها لشاغليها² . إن المأوى الذي يرتاح فيه الفرد الريعي يختلف باختلاف الظروف و الأوضاع التي يعيشها من حياة البداوة أو الريف ، أو في الأوساط المدنية ، وتأخذ هذه المساكن عموماً الصفة المؤقتة وهذا ما جعلها بسيطة

1- مساكن الخيم

كان البدو يسكنون في بيت خفيف الحمل أثناء تنقلهم يدعى " الخيمة " أو " بيت الشعر " ، وبسبب حرارتها في فصل الصيف أو ضيقها يشيدون بالقرب منها كوخاً يأوون إليه عند اشتداد الحرارة، كما يستقبلون فيه الضيوف، وينجز من الأغصان الكبيرة ، وكان للخيمة أشكال مختلفة، وحجمها في المتوسط 7 على 3 متر، وهي مصنوعة من وبر الجمال المختلط بشعر الماعز على شكل أشرطة متوازية، وهي تقام وتحمل أطرافها بواسطة أعمدة من الرتم وتشد الحبال المثبتة بالأوتاد ، وهي من داخلها تقسم بستار يدعى "الحايل" ، وهناك طية تسدل ليلاً على بابها وتدعى "الساتر" وتفرش أرضها بزريرة تدعى "الحنبل" وتحوي داخلها أدوات مختلفة

¹ طالب حميد طالب ، الماضي والمستقبل ونصرتنا للعمارة المعاصرة ، في مجلة المدينة العربية ، العدد 43 ، الكويت ، ماي

1990 ، ص 42

² المرجع نفسه ، ص 43

منها قصعة العود والطاجين، والقدر، والكسكاس والقنينة¹، والرحى²، والحلاب³، والمهراس⁴، والغريال والقربة والشكوة والشواري والمزود والغرارة

2- التجمعات السكنية

تتكون من مساكن ذات أبواب صغيرة، تبرز من فوق أسقفها بعض أغصان النخيل، وتتجمع هذه المساكن حول المسجد وعلى أطرافه تنتشر وتتوسع المنازل ومنذ القدم راعى مشيدو المساكن عدة أمور منها الظروف المناخية، والدين والعادات والأعراف والحشمة والحياء لصيانة المرأة من الأنظار، إضافة إلى الجوانب الصحية المناسبة

3- العناصر الانشائية للمسكن : [انظر المخطط 4، 5، 6 ، اللوحة 28]

عرف قصر تقرت تخطيطاً لمنازله لم يكن مخالفاً للتخطيطات السكنية المعروفة في العمارة المدنية الإسلامية المربعة أو المستطيلة التي كانت في الغالب متشابهة حتى وإن اختلفت من حيث الحجم إلا أنها تشابهت من حيث التخطيط كان القصر يحتوي على عدد هائل من المنازل مشكلاً بذلك تجمعا سكنيا "مستواة" الزاوية العابدية وتيسبست والنزلة ، وهي مساكن تقليدية انهار معظمها أو تم تهديمها . تخضع في تخطيطها إلى الظروف المناخية للمنطقة ومكانة صاحبها الاجتماعية، إذ يتكون المسكن من فضاءات تهيكل حول فضاء مركزي يدعى الحوش و الذي تجرى فيه الأشغال اليومية جميعها. المدخل لا ينفذ مباشرة للمسكن ، إذ يمر بفضاء يسمى السقيفة و تعتبر أهم ميزات المسكن في القصر .

¹ إناء للشرب

² آلة لطحن الحبوب مصنوعة من الحجارة

³ إناء خاص لحلب النوق والماعز

⁴ وعاء لدق الأشياء قبل الطهي ويكون غالبا من العود الأجوف

3-1- المدخل:

وهو الفضاء الذي يصل المسكن بالخارج مباشرة ويعتبر من أهم الفضاءات في المسكن. وقد اقتصرت منازل تقرت على مدخل رئيسي. واحد يفتح في الغالب على زقاق مغلق يعرف محليا بالدرب يكون لعائلة واحدة أو تشترك فيه مجموعة من العائلات تربطها صلة الدم ، وقد روعي في بعض البيوت اختيار اتجاهه المدخل نحو الشرق لاستقبال أقل قدر ممكن من الرطوبة.

3-2- السقيفة:

فضاء بمساحة تتراوح بين 4م² إلى 8م² وتكون عند مدخل البيت وهي فضاء انتقالي يصل بين الشارع وداخل المسكن وهي تفضي إلى الفناء إذا كان البناء ارضيا أو إلى البهو إذا كان المبنى ذا طابقين ويحيط بالفناء أو البهو الغرف وباب السلم الذي يصعد الى الدور الاول أو السطح

وقد يحتوي البيت على سقيفة أو اثنتين أو ثلاث وهذا حسب عدد المداخل والمكانة الاجتماعية لصاحب البيت ، حيث يكون في غالب الأحيان ذو إضاءة محدودة وله اتصال مباشر بغرفة الضيوف، ويمتاز بتهوية منعشة وذلك لأنه يسمح بدخول وخروج الهواء من داخل المسكن إلى خارجه. ، وأينما كانت فإنها تحتوي على بابين ، باب من الداخل وآخر من الخارج ، لأنها تحجب رؤية من بالخارج "المارة" ما يجري بالداخل، لها تخطيط هندسي يميل إلى الانكسار ولانعراج أو مستطيلا أو مربعا مساحته حوالي ثمانية أمتار ومربعة ، وظيفتها تكمن في الدخول والخروج واستقبال الضيوف.

3-3- الحوش:

هو فضاء مركزي داخل البيت يتوسطه عادة نخلة، وهو غير مغطى، يميز الحوش العمارة الصحراوية عن غيرها، كما أنه جد ضروري في البيت التقليدي الصحراوي ويحتل أكبر مساحة له شكل هندسي متغير ، حيث تفتح عليه كل المرافق ، وقد يحتوي البيت الواحد على فناء أو

أكثر حسب اتساع هذا الأخير والحاجة إليه لتهوية أقسام أخرى من البيت وله عدة استعمالات منها ، حيث يساهم في عملية تكييف الغرف فيلعب دور منظم للحرارة، وهذا ما يلائم جو الصحراء، كما يعمل على تصريف الرطوبة نتيجة الممر الهوائي السائد بينه وبين مدخل المسكن و توفير الإضاءة اللازمة لها.و يستعمل للنوم في ليالي الصيف الحارة.

3-4- السباط :

وهو المصطلح الذي يطلق على الرواق الذي يتقدم الغرف بمباني منطقة تقرت وهو رواق تفتح عليه مجموعة من الغرف و يتصل مباشرة بالحوش بواسطة مجموعة من العقود المحمولة على دعائم مربعة، يسقف بواسطة القباب أو جذوع النخيل بحيث يحيط بالفناء سواء من جهة أو من عدة جهات ، محمي من أشعة الشمس أين تتجمع الأسرة أيام الصيف الحار ويستغل في إنجاز بعض الأعمال المنزلية التقليدية كالنسيج كما يقوم بوظيفة معمارية مهمة تتمثل في حمله للطابق العلوي وتوسيع السطح.

3-5- غرفة الضيوف:

فضاء شكله الهندسي منتظم ذو أبعاد متقاربة حوالي 8م² إلى 12م² مغطى ومجهز بأثاث، يمكن الوصول إليه مباشرة من السقيفة وهو فضاء مخصص للضيوف، تهويته وإضاءته تتم بواسطة فتحة صغيرة على الشارع.وهو فضاء معزول مخصص للضيوف (الحرمة) ووجودها عند المدخل ما هي إلا للحد من تغلغل الغرباء داخل البيت وحفاظا على خصوصيته. وقد توجد داخل البيت غرفة خاصة باستقبال النساء وأخرى خاصة بالرجال عند المدخل تفتح إما على السقيفة أو الزقاق، وقد يتغير مكان هذه الغرفة من الطابق الأرضي إلى الطابق العلوي، فتسمى حينها " بالعلي " يتم الصعود إليها عن طريق سلام خاصة تفتح على الزقاق وفي بعض الحالات يعلو " العلي " الزقاق استغلالا لامتداد الشارع من جهة وتسقيفا له من جهة أخرى.

3-6-العرف

وعدها يحدده مستوى العائلة المادي وعدد أفرادها المتزوجين وهي تتوزع على الطابق السفلي والعلوي ، هي فضاء تأخذ شكلا مربعا أو مستطيلا ذو أبعاد محدودة تتراوح مساحته ما بين 2م8 إلى 2م12 عرضها يتناسب مع طول جذع النخلة، ويكون عموما متجه نحو الجهة الشمالية والجنوبية، ويمكن الدخول إليه مباشرة عن طريق الصباط المتصل بالحوش، وتظم وظائف منظمة وهو مجال متنوع الاستعمال (للأكل، التحادث، النوم، للاستخدامات اليومية الأخرى حسب حاجة الأسرة) كما تتوفر في الداخل على مدفئة تستغل شتاءا وفي أعلى الجدار وعلى جانبي المدفئة توجد رفوف من الخشب لوضع قارورات العطر ومواد الزينة ، ويتم تهوية الغرف وإضاءتها بواسطة نوافذ مطلة على الحوش لا تتعدى $\frac{1}{2}$ إلى 1م.

3-7-المطبخ:

يفتح المطبخ على الفناء وتختلف أبعاده من بيت لآخر وهو في الغالب يأخذ الشكل المستطيل، ومقسم في أغلب الأحيان إلى قسمين قسم للطبخ وقد زود في أحد جدرانها بمدفأة للطهي حفرت في الجدار قناة لخروج الدخان، وعلى المدفأة رفوف لوضع علب التوابل المختلفة وللإنارة زودت الجدران بمشكاة لوضع وسائل الإنارة مزود بمدخنة، أما القسم الثاني فهو فضاء مخصص لتخزين المؤونة بالنسبة للعائلات الميسورة الحال، ويتم تهوية المطبخ وإضاءته بواسطة نافذة مطلة على الحوش.

3-8-المخزن:

وهي الغرفة المخصصة لتخزين المؤونة السنوية من تمر، وحبوب..... وغيرها، ويتحدد عدد المخازن بالبيت ومدى اتساعها بمكانة صاحبه الاجتماعية ومدى سعة رزقه ، كما يراعى في اختيار مكان التخزين قلة الرطوبة والبرودة وقربه من وسط الدار

3-9- بيت الخلاء:

بمجال مرتفع من سطح الأرض بحوالي 1م غير مغطى أو نصف مغطى في الطابق الأرضي، يستعمل للراحة، يحتوي في غالب الأحيان على فتحة صغيرة نحو الخارج (الشارع).

3-10- الإسطبل:

فضاء يوجد عموماً في الطابق الأرضي في مكان منعزل يمكن الدخول إليه من الحوش ويستعمل كمكان توضع فيه الحيوانات الأليفة التي تربي داخل المسكن تربط الحيوانات في حلقات حديدية مثبتة على الجدار أو الأرض.

3-11- السلم: [انظر اللوحة 23، 24]

وهو فضاء يستعمل للوصول إلى السطح انطلاقاً من الحوش وهو غير مغطى غالباً يبلغ عرضه من 0.80 إلى 1.40م مزود بحامي الشخص ، يتكون من جدار لا يتجاوز ارتفاعه عن 1.40م.

3-12- السطح:

هو فضاء غير مغطى ومحاط من جميع الجوانب عادة ما تكون فيه غرفة أو غرفتين يستعمل للنوم في ليالي الصيف وكذلك لتجفيف الملابس والمنتجات الفلاحية وغيرها ، يأخذ السطح شكل أرضية المسكن . يتم الصعود إليه بواسطة سلالم في أحد أركان وسط الدار و يحتوي السطح على مجموعة من الغرف و سطح تستغل بعض من الغرفة لوضع الأفرشة صيفا كما يستغل السطح في فصل الصيف للنوم والمسامرة ليلاً وفي النهار لتجفيف بعض المنتوجات لتخزن لفصل الشتاء

وفي بعض بيوت يحتوي الطابق العلوي على رواق يتقدم مجموعة من الغرف الشبيهة

بغرف الطابق الأرضي

ولتصريف مياه الأمطار زود السطح بميازيب يصب البعض منها بوسط الدار والبعض الآخر يتم إدخاله بممر خاص بالجدار ليصب في أركان الزقاق دون المساس بسلامة المارة. وتوزيع الميازيب داخل نسيج القصر هناك قوانين خاصة متعارف عليها بين السكان فيقول الفرستائي¹ في هذا الجانب " إن أراد رجل أن يحدث ميزابا لبيته على الطريق، فلا يجد ذلك سواء أجاز ذلك الطريق في الزقاق أو الفحص، وسواء أكان ذلك الزقاق شارعا أو غير شارع سواء للعامّة كان أو الخواص، فلا يحدث عليه شيئا إلا ما كان قبل، وكذلك لا يحدثه على بيت غيره أو كل ما يضر فيه غيره لا يحدثه.

4-دراسة نموذجية للمنزل القصورى بتقرت

4-1-المنزل الاول: [انظر المخطط رقم 4]

يقع هذا البيت بقصر الزاوية العابدية احدى قصور تقرت وهو يأخذ الشكل المستطيل الغير منتظم،ابعاده من 13.5م الى 18.5م يتم الدخول إليه من مدخل يفتح على الزقاق عرضه 1م وبارتفاع 1.80 م، يتكون من مصراعين ،ومزود بأقفال خشبية بسيطة مثبتة من الخلف صنع من الخشب المستخرج من خشب النخيل ، وقد زود هذا النوع من الأبواب بمطارق مصنوعة من الحديد 1,73 م إلى 3 م

ولتثبيت هذه الأبواب لا بد من وجود محور يدور حوله هذا الأخير الذي ثبت على الجدار الخارجي، من الأعلى بواسطة قطعة خشبية بارزة نحو الخارج كوتد أفقي يدخل بالجدار، وفي الأسفل حفرت فتحة يدخل فيها محور الباب، ويقابل الفتحة العلوية فتحة في الأسفل غائرة، بحيث تسمح بتثبيت المصراع بطريقة تسهل دورانه، ولغلق هذه الأبواب تزود بمزلاج خشبي بالإضافة إلى قطعة حديدية تربط بين الجدار والباب.

¹ الفرستائي، المصدر السابق، ص 187

من المدخل يتم الانتقال إلى سقيفة مستطيلة الشكل عرضها 2.20م وطولها 3 م ، وعلى يسار السقيفة غرفة الضيوف ذات الشكل المستطيل أبعادها 3م x 2.20م ومن السقيفة يتم الانتقال مباشرة إلى الحوش الذي يتوسط المنزل يأخذ شكل حرف L على يمينه سلام تؤدي إلى السطح ومخزن للمؤونة بطول 3.6م وعرض 3م ثم يليها مرحاض مقاساته 2.20م وعرض 1.5م ليجاوره المطبخ مربع الشكل طول ضلعه 3م يقابله مخزن ثان طولها 3.75م وعرضه 2.25م ، وعلى يسار السقيفة الساباط وهو عبارة عن رواق ، يفتح على الحوش بعقود نصف دائرية محمولة على دعائم مربعة طول ضلعها 0,60م ، مقاسات السباط 2.25م وعمق 7.75م ويفتح في آخر الساباط على لغرفتين عبارة عن مخزين على الجهة اليمنى واليسرى للرواق بنفس مقاسات المخزن السابق.

ومن الملاحظ ان هذه الغرفة تستغل كمكان للتخزين أغلبها يوجد في الطابق الارضي لتسهيل عملية ادخال واخراج المواد المخزنة ومن جهة اخرى تسهيل وتقريب المواد للاستهلاك الداخلي خاصة المنتوجات الفلاحية الخاصة بالمطبخ .

في حين احتوى الطابق العلوي على مجموعة من الغرف وعددها 06 غرف اسحذت اثنتين منها فوق زقاق مغطى اعلى المدخل للطابق الارضى الاولى والثانية تقابل السلم مباشرة والغرض منها توسعة المنزل وزيادة عدد الغرف، وعلى يمينها غرفة صغيرة مربعة الشكل طول ضلعها 1.60م، تقابلها في الجهة الاخرى ثلاثة غرف بمقاسات مختلفة الاولى مستطيلة الشكل عرضها 1.40م وطولها 3.5م ربما استعملت لوضع اغراض الصيف كالافرشة والاطية أو لاستغلال هذا الجزء لتسهيل عملية التسقيف ثم غرفة كبيرة أبعادها 2.75م x 2.25م وتقع الى جانبها غرفة اخرى اقل مساحة يتوسط هذه الغرف سطح واسع يستغل في عدة وظائف.

4-2-المنزل الثاني: [انظر المخطط رقم 5]

يقع هذا المنزل بقصر مستاوة بتقرت يأخذ شكل معين غير متساوي الاضلاع مقاساته ما بين 12م و 13.5م ، يتم الدخول إليه من مدخل رئيسي يفتح على الزقاق عرضه 0.85م

ومنه إلى سقيفة مستطيلة أبعادها 2.75×2.10 م، فتح عليها في الجهة اليمنى غرفة الضيوف ذات الشكل المستطيل أبعادها 5×2.25 م طولها مقسم الى قسمين بالتساوي وهذا من أجل تسهيل عملية التسقيف والتقيب ، لغرفة الضيوف باب ثان يفتح على الحوش مباشرة، وتؤدي السقيفة مباشرة إلى وسط الدار "الحوش" عبر مدخل معاكس للمدخل الرئيسي بعرض 1.40 م و الذي يفتح عليه الجهة اليسرى الإسطبل ودورة المياه أبعادهما 3.05×2.30 م يفصل بينهما جدار ، الى اليسار مباشرة سلام ذات اتجاهين-في الجانب الايسر للحوش - تؤدي إلى السطح، وبالجهة المقابل للفناء رواق اوساباط طوله 6 م وعرضه 2.25 م يفتح على وسط الدار بعقود نصف دائرية مرفوعة على دعائم مربعة طول ضلعها $0,80$ م على يمين السباط غرفة ذات شكل معين ابعادهما ما بين 3 م الى 3.60 م ، و بجوار هذه الغرفة مطبخ بمساحة كبيرة يأخذ شكل حرف L اقصى طول له 4.50 م و اقصرها 1.65 م اما الطابق العلوي نصعد اليه عبر سلم وسط الحوش فيؤدي مباشرة الى فناء سطح البيت الذي بتمركز في وسط خمسة غرف وسباط . ثلاثة غرف في الجهة اليمنى يتوسطهم سابات واثنان على الجهة اليسرى للسلم وتبدوان اكبر مساحة من الغرف الثلاث الاولى.

4-3-المنزل الثالث: [انظر المخطط رقم 6]

يقع هذا البيت بقصر النزلة، يأخذ الشكل المستطيل الغير منتظم أبعاده 13.5 م وهو طول المنزل وبعرض 8.5 م يتم الدخول إليه من مدخل عرضه 0.80 م يؤدي إلى سقيفة منكسرة الشكل تشبه حرف L المقلوب وهذا حتى تحجب رؤية من بالداخل اي انها تتكون من رواقين ابعاد الرواق الاول 3 م طول وبعرض 1.5 م ثم نلتف يمينا لرواق السقيفة الثاني بطول 2.2 م وعرض 1.5 م ، على يمين السقيفة باب يوؤدي الى دار الضياف التي تأخذ شكل حرف L لها باب ثان باتجاه الزقاق ابعادها 3.75 م كأقصى طول و 3 م كأقصى عرض ،ومن

نلج إلى وسط الدار "الحوش" الذي يفتح على السقيفة بعقود نصف دائرية مرفوعة على دعامات مربعة طول ضلعها 0.70م.

ويأخذ وسط الدار الشكل المربع طول ضلعه 3.20 م ويقابل المدخل ساباط ي بعقود نصف دائرية معتمدة على دعامات مربعة الشكل ضلعها يقدر ب0.70م ، ابعادها 3.20م طولاً و2.10م عرضاً ، لينتهي في الخلف بالمطبخ مربع الشكل طول ضلعه 3.20م ، ويقابل المطبخ سلم ذو اتجاه واحد يؤدي إلى السطح، اما على يسار مدخل الحوش يوجد الاسطبل والمرحاض بطول 2.8م وعرض 1.5م ، مقسمة الى قسمين مناصفة بجدار.

أما الطابق العلوي فإنه يتكون من اربعة غرف ثلاثة منها واسعة ومستطيلة الشكل أبعاد منها 3م x 3.7م أما الغرفة الرابعة فإنها أقل مساحة .أبعادها 2,20م x 1.5م ،وسباط يقابل السلم ابعاده 3.20م طولاً و2.40م عرضاً

5-العناصر الانشائية[انظر اللوحة 28]

تشمل دراسة مختلف أهم العناصر المعمارية المكونة للقصر

5-1-الدعامات :

تميزت الدعامات بالقصر بضخامة أيدانها واستنادها مباشرة على الأرض دون وجود قاعدة، حيث يتم الانتقال مباشرة من البدن إلى العقد لأن وظيفتها الأولى دعم الجدران و السقف إلى جانب رفع العقود وقد استعملت بمنازل قصور تقرت في رفع عقود اروقة البيوت خاصة بالطابق العلوي المطل على وسط الدار الدعامات المربعة التي تمتاز بضخامتها و تزيين قاعدتها.

5-2-العقود:

تعتبر العقود عنصراً معمارياً يوفر للمباني القوة في الارتكاز ، بالإضافة إلى كونه عنصراً زخرفياً ، وقد استعمل سكان تقرت العقد النصف دائري، هو عقد بسيط على شكل نصف دائرة لا إنكسار فيه ، وهو الأكثر انتشاراً في مباني قصور تقرت لسهولة تشكيله - ومظهرها

الخارجي نحو الغرف يعطي عنصرا معماريا مهما في البيوت الصحراوي والمتمثل في المشكوات التي تنتشر خاصة في الغرف ودار الضياف- استعمل بكثرة في انجاز مداخل الساباطات و في الشوارع المغطاة.

5-3- القبة [انظر الشكل 10]

ان اغلب القباب المنتشرة بوادي ريغ هي من القباب النصف دائرية الشكل ،حيث استعملت في تسقيف المساجد مع إعطاء أولوية و عناية خاصة لقبه المحراب و المدخل الرئيسي من حيث التشكيل و الحجم و الزخرفة فالجامع العتيق رفعت قبة المحراب على حنايا ركنية مزخرفة بزخارف جصية غاية في الجمال ، كما زين تجويف القبة بنفس الزخارف .

كما وجدت الاقبية المهدية في تسقيف البيوت اذ يتميز القبو على القبة بشكله البرميلي و ارتفاعه المنخفض بحيث لا يزيد نصف قطره عن 0.50 م،وقد استعملت الأقبية في تسقيف ملحقات المساجد و في تسقيف غرف البيوت .

و تقام القباب إما على مساقط دائرية أو مربعة و في المسقط المربع يلزم لتحويله إلى دائرة إقامة و تشكل حنيات في الأركان في منطقة الانتقال و قد تقام القباب على مساقط مستطيلة وبذلك يبدو مظهرها الخارجي بيضوي الشكل ويتم بنائها بتنظيم صفوف من الطوب و الحجارة المنحوتة بحيث تتجه نحو مركز القبة كما هو الحال في بناء العقود .وكانت القباب النصف دائرية الأكثر انتشارا بتفرت .

لعبت القبة دورا هاما كعنصر من عناصر العمارة الإسلامية في زخرفة و تصميم المنشآت المعمارية المختلفة ،وتم استخدام القباب في مختلف الوحدات المعمارية بالقصر ، دورا فعالا في تخفيض درجة الحرارة خاصة صيفا ، و ذلك بتأثيرها على الهواء إذ أن الهواء الساخن يصعد إلى الأعلى في حين يبقى الهواء البارد في الأسفل ، كما أن هذه القبة تمنع تراكم رمال الرياح فوق السقف ، و لتستغل أحسن استغلال زودت بفتحات مغطاة بقطع زجاجية تسمح بجذب أشعة الشمس و إضاءة داخل المبنى .

5-4-الأبواب: [انظر اللوحة 25]

معظم أبواب بيوت قصور تقرت- الرئيسية "الخارجية" او الثانوية"الداخلية" - صنعت من مادة الخشب المشكل من جذوع النخيل.أغلبها ذات طابع واحد تخلو من الزخارف، ذات أقفال خشبية بسيطة

تدور الأبواب على محاور جزئه العلوي غائر في الجدار أو في الخشب التي مسندة فوق الباب. أما الجزء السفلي منه غائر في الأرض، و هناك طريقة ثانية تتمثل في إضافة قطعة خشبية مدببة مشكلة محور الدوران .

6-المرافق العامة**6-1-السوق والرحبة: [انظر المخطط 1]**

لعبت المنطقة دورا بارزا في تنشيط الحركة وهذا بحكم موقعها الاستراتيجي الهام فكانت عاصمة المنطقة مركزا تجاريا ومحطة للقوافل التجارية. وقد ساعد هذا على تنمية التبادل التجاري بينهم كما كان له أيضا دورا في تسويق إنتاج منطقة وادي ريغ بصفة عامة وخاصة وفي موسم جني التمور.وقد احتوت تقرت على سوقين:

السوق الأول كان تقام خارجها شرق "باب البلاء" يتم فيه تسويق الخضر ، الضروريات الغذائية وكذا الفحم.

السوق الثاني وهو الرئيسي يقام في ساحة أمام المسجد العتيق، سوق فيه الصوف والكتان، التمور في جهة ثانية قد ساهمت في إقامة حركة صناعية وحرفية تعددت جوانبها، تركزت هذه المصانع الحرفية على طول الشارع الرئيسي بين مدخل "باب البلاء" والجامع الكبير بعضها مازال يؤدي وظيفته لحد الساعة.

6-2- الشوارع: [انظر اللوحة 01]

تمتاز شوارع تقرت القديمة بالضيق والالتواء بحيث تقلل من حدة الرياح الرملية و التيارات الهوائية ، مع الانتظام التام بمرور منتظم للهواء داخل الشارع، كما تمتاز أركان هذه الشوارع بانسيابها حيث تسمح بمرور الرياح دون نحتها كما تسهل عملية السير بهذه الشوارع اتخذت التوجيه : شمال جنوب حتى تكون عمودية مع حركة الشمس لتكتسب ظلا وافرا لمدة أطول في اليوم في حين تتمكن من استقطاب الرياح الشمالية التي تساعد على استمرار برودتها أطول فترة ممكنة ، إلى جانب شوارع موجهة توجيهها شرق غرب لتفادي الرياح الحارة كرياح الشهيلي. وتقسم الشوارع الى ثلاثة أنواع :

-الشوارع الرئيسية

التي يسلكها العامة و تعرف بالطرق السابلة و هي تؤدي مباشرة على المراكز الحساسة بالقصبة المتمثلة في مسجد الجامع و الرحبة و نظرا للظروف الطبيعية للمنطقة فقد تمت تغطية اقسام منها حيث تعرف محليا بالسقايف لتوفير كمية أكبر من الظلال بينما تركت الاجزاء الاخرى دون تغطية حتى تسمح بمرور الضوء و الهواء و تتواجد معظم مساجد القصبة على طول هذه الشوارع و لتمييزها زودت صقائفها بمقاعد حجرية للجلوس (دكانات) و هي مجالس للتلاقي و إصدار القرارات و تلقي الأخبار.

و عرض الشوارع الرئيسية لا تقل عن ثلاثة أمتار وبأطوال هي في الغالب تمتد من الشرق إلى الغرب و من الشمالي إلى الجنوبي ن حيث تؤدي مباشرة إلى غاباتهم أو إلى الماء أو إلى السوق أو المقبرة، و إذا كان المسجد خارج القصبة جعلوا طريقا يوصل إليه.

-شوارع منحية

هذا النوع الأكثر انتشارا يتميز بالضيق عرضه من 2.00م إلى 3.00م ، وبأطوال مختلفة ما بين 20م إلى أكثر من 80م يسمح بحركة تنقل عادية لسكانها. النفق شكل بجذوع

النخيل و لهذا النمط دور في تلطيف الجو المتميز بالحرارة الشديدة في فصل الصيف و البرودة القاسية في فصل الشتاء و كذا التخفيف من شدة التيارات الهوائية و العواصف الرملية. وقد انشأت لها نوافذ صماء صغيرة على طول الزقاق وبداخلها توضع المصايح الزيتية في الليل أما في النهار فتكون بواسطة المنحats أو الفراغات التي تترك بين كل مسافة معينة من السقف.

كما احتوت الشوارع مقاعد خاصة يطلق عليه محليا اسم "دكانه" اغلبها تتواجد أمام المساجد.

-شوارع محدودة

فهي أقل انتشارا مقارنة بالشوارع الدائرية و الأزقة المحورية تتميز بأنها قليلة الحركة وأضيق من سابقتها وأقصر طولاً عرضها لا يتجاوز 1.50م ، وبطول لا يتجاوز 10م وهي غير نافذة تؤدي إلى منزل أو أكثر ، ككل ممر محدود يجمع عدد من العائلات تحمل نفس اللقب ، لا يتجاوز عدد البيوت في كل ممر خمسة منازل، عموماً نجد ذات سقف لا يختلف عن سابقه كما نجد فراغات لغرض التهوية و الإنارة.

مما سبق نستنتج ان مظاهر العمارة المدنية ومن خلال النماذج المختارة نلاحظ انها تتوافق مع تخطيط العمارة الاسلامية وشروطها وفقا لرواد الفكر العمراني امثال ابن الربيع وابن خلدون ، وكذا الفرستائي ، لذا سنعرج لدراسة المظهر الاخر من العمارة والمتمثل في العمارة العسكرية خاصة وان الاقليم لم يكن بمنأى عن الاحداث التي عرفها المغرب الاوسط خلال فترات تاريخية ، فماهي خصائص ومظاهر العمارة الدفاعية باقليم وادي ريغ؟ومن اجل الاجابة على هذا التساؤل سندرس هذا الجانب متخذين قصر تقرت نموذجا لذلك.

ثالثا: العمارة العسكرية: [انظر المخطط 1 ، اللوحة 01، 30]¹

تميزت منطقة وادي ريغ بصفة عامة وتقرت بصفة خاصة عبر تاريخها بانعدام الامن والاستقرار في تاريخها لذا لجأت الى تحصين قصورها بالاستحكامات العسكرية التي توفر لها الحماية والامن فكانت:

1- الخندق

عززت سور قصر تقرت بخندق عميق يتم تزويده بمياه النز ومياه الآبار الموجودة داخل القصر عن طريق قنوات مصنوعة من جذوع النخيل داخلية بالسور²، وقد تعرض الخندق إلى الردم في الفترة الاستعمارية، لذا تعذر علينا اخذ المقاسات ميدانيا ، وسنعمد على المعطيات التي كتبها الرحالة الاجانب فب هذا الشأن ، حيث اختلفت الاراء بشأن مقاساته هناك من يرى ان عرضه خمسة عشرة متر و عمقه من اثنين إلى ثلاثة متر³، وآخر يحدد أبعاده عرضا سبعة متر وعمقه مترين⁴ غير ان الراي الثالث أشار إلى أن عرضه من عشرة إلى اثنا عشرة متر

¹ قد ظهرت بوادر العمارة الدفاعية في العمارة الإسلامية بسبب الخطر الذي هدد المدينة الإسلامية، حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة لأنها كانت معرضة للأخطار الخارجية ، كما أمر بتحصين المنازل القريبة من الخندق. وبهذا بدأت البوادر الأولى للعمارة الدفاعية لتوفير الأمن وحماية المدينة.

تعد الحصون من المباني الدفاعية مجموعة من المنشآت والموانع تقام لتقوية وحماية موقع ما من الخطر الخارجي وهناك نوعان من التحصينات : أولا: التحصينات الدائمة أو الثابتة وغالبا ما تبنى في وقت السلم وتمثل في الأسوار والمدخل والأبراج والمزاغل والممرات الخارجية والخنادق. ثانيا التحصينات الميدانية: فتقام حين يكون هناك اشتباك مع القوات المعادية أو حين يكون توقع وجود اشتباك. أنظر- عاصم محمد رزق، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الأولى، مكتبة المدبوبي، القاهرة، 2000 ، ص 277 6 ابراهيم بن يوسف، اشكالية العمران والمشروع الاسلامي ، طبعة ابو داوود ، الجزائر ، 1992 ، ص 85

Daumas (C) , le Sahara Algérien ,op cit, PP 125-127

² أنظر

REUSS (L.M) , travers l'Algérie . paris, 1984, p323

³ أنظر

Duvollet (R.P) , D'Alger à Tamanrasset,Alger, 1830-1960 , P 18

⁴ أنظر

وعمقه بطول رجلين¹، ولعبور الخندق يتم إنزال الأبواب المصنوعة من جذوع النخيل، والتي ترفع ليلا في حالة أي هجوم².

واعتقد ان هذا الاختلاف مرده ان كل واحد من هؤلاء قد تم قياس الخندق من زاوية مختلفة عن الآخر، أي ان الخندق لم يكن متساوي في كل جهاته من حيث العرض، بينما العمق ما بين مترين الى ثلاثة امتاراي ان المتوسط العام هو احدى عشر متر عرضا ومترين ونصف المتر عمقا.

2- الأسوار:

وكان الاهتمام بالاسوار لحماية المدينة من هجمات المعتدين، وكان بناء السور يتم عادة بالحجارة الضخمة ويتخلل السور عدة ابراج للمراقبة والحماية وعدة ابواب لتنظيم الدخول والخروج³.

لقد عُرف السور منذ القدم بشكله الميداني والثابت أو الدائم⁴، وكان السور الميداني يقام على عجل في زمن الحرب، أما الأسوار الثابتة فكانت تقام في زمن السلم وهي أقوى من الأسوار الميدانية وأكثر منها إتقاناً، وقدرتها على تلبية مستلزمات المعركة⁵، لذلك اهتم المسلمون بإحاطة مدنها بالأسوار المنيعة لتكون درعا واقيا لهذه المدن.

وكان أول ما يفكر به سكان القصر هو كيفية حماية أنفسهم وممتلكاتهم داخل هذه التجمعات السكنية فكان بناء السور ضرورة حتمية وفي هذا المجال يقول الفرستطاني " بينون

¹ أنظر Daumas (C), op cit ,P 125-127

² أنظر Duvollet (R.P), op cit , P18

³ حنان قرقوتي، المرجع السابق، ص56

⁴ يحيى وزيري، "العمارة الإسلامية الحربية وتأثيرها على العمارة المعاصرة"، مجلة عالم البناء، العدد 62، تصدر عن جمعية احياء التراث التخطيطي والمعماري، 1985، ص17

⁵ محمد عياش، الإستحكامات العسكرية المرينية، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية، جامعة الجزائر، 2005-

2006، ص27

حائط قصرهم على قدر ما لكل واحد منهم من الأرض فيكون حائط الصور بينهم على قدر سهامهم من الأرض"¹، فأحيط بقصر تقرت بسور شبه دائري متقن البناء للحماية من الهجومات الخارجية، ارتفاعه يتراوح ما بين ثمانية أمتار إلى عشرة أمتار بني من مادة طينية وحجرية².

ونظرا لأهمية هذه الأسوار دفاعيا أولاها الحكام عناية خاصة من حيث ترميمها وبناء ما تهدم منها، لا يحق لسكان القصر إلحاق أي ضرر به مهما كان نوعه فالحفاظ عليه مهمة الجميع، وفي بعض الحالات فإنه إذا ما تهدم جزء من السور فإنه يتكفل بإعادة بنائها صاحب البناء المقابل له. وفي هذا الصدد يقول الفرستائي³ " فأنهم ان اتصلت البيوت بالسور فليؤخذ كل واحد منهم ببيان ما أنهدم مما قابله ، وان لم تتصل البيوت بالسور فان السور يكون بينهم كلهم ويكون لكل واحد بنيان بيته ، سواء أنهدمت بيوتهم او لم تنهدم في الوجهين جميعا" واستطاع هذا السور أن يصمد أمام هذه الهجومات المتعددة والحصارات على طول تاريخ تقرت ربما أصعبها في فترة حكم العثمانيين للبلاد، إذ تعرضت تقرت إلى أربعة حملات كانت أشدها عندما تعرضت أسوار القصر إلى التهديم بالمدفعية من طرف صالح ريس واحمد المملوك ، ليتم تهديمه نهائيا في العهد الفرنسي⁴. وهذا حتما سيؤدي الى ردم الخندق.

وبالتالي ليست لدينا أي معلومات دقيقة فيما يخص مقاساتها والمرافق المحادية لها باستثناء وجود بعض الآبار بقربها لتزويد الخندق بالماء عند الحاجة كبئر عين المالح ، وبئر عين السلطان، وبئر عين عباسي، وبئر عين مستاوة بقصر تقرت، ويحق لأهل القصر زيادة باب أو إنقاظه حسب ما تستدعيه الضرورة. لذا لجأنا الى دراستها معتمدين على بعض ماجاء به

¹¹ الفرستائي أبو العباس أحمد، المصدر السابق، ص 192

² أنظر REUSS (L.M) , a travers l'Algérie, p 90

³ الفرستائي أبو العباس أحمد، المصدر السابق، ص 194

⁴ أنظر FERAUD (CH.L), le Sahara, pp 78-81

بعض الرحالة الفرنسيون والقادة العسكريون في الجيش الفرنسي من وصف لهذا النوع من العمائر.

3- الأبراج

إن الأبراج من أقدم الوسائل الدفاعية التي عرفتھا المدن القديمة فهي نقطة مراقبة ودفاع فوق أسوارها ، ويرتبط عدد هذه الأبراج بمدى اتساع المدينة وقوتها، وقد تختلف أبعادها وأشكالها ولكنها تشترك في وظيفة واحدة.

فسور قصر تقرت زود بأبراج مربعة الشكل تبعد عن بعضها البعض بستون متر ، بنيت من طابق واحد، ففي حالة أي هجوم يتعسكر الجنود في هذه الأبراج للدفاع عن المدينة¹ ، وقد أزيلت هذه الأبراج بتهديم السور في العهد الفرنسي.

4- الأبواب والمداخل:

في قصر تقرت وجدت ثلاثة مداخل هي مدخل البلاء الذي يعرف أيضا بمدخل خرخرة بالجنوب الشرقي والذي يؤدي إلى سوق المساء المقابل للمسجد العتيق والذي يسمى سوق رحبة الصوف، ومدخل عبد السلام أو مدخل الغرب ومدخل الحضيصة الخاص بالشيخ الحاكم والذي يربط بين القصور وغابات النخيل التابعة له².

وقد دعمت مداخل القصر بأبواب مصنوعة من جذوع النخيل تستعمل لغرضين .

إحدهما كباب يغلق ليلا أو في حالة الطوار أو كجسر لاجتياز الخندق نهارا³

والملاحظ هو ارتباط وخضوع هذه المداخل للنظام الداخلي للقصر بحيث ارتبط النشاط

الفلاحي للقصر بوجود مداخل تؤدي مباشرة إلى غابات النخيل مما يسهل وصوله إلى

Robert (G) , op cit, P14

¹ أنظر

Robert (G) op cit , PP 375-379

² أنظر

Duvollet (R.P) , op cit, P 18

³ أنظر

ممتلكاتهم في أي وقت، كما أن المدخل المؤدي مباشرة من السوق إلى المسجد الجامع بالقصر ما هو إلا إبعاد للغرباء عن معرفة خبايا القصر.

وقد ارتبطت تسميات هذه المداخل المرتبطة باتجاهاتها باب الغرب باب بسكرة أو بأسماء بعض الأولياء الصالحين باب عبد السلام أو بأحد عادات القصر باب الحضرة فالتسميات لم تكن عفوية.

يتبين لنا من خلال الدراسة الميدانية لقصر تقرت بساطة عمارته تخطيطا وبناءا ، اذ لم تعرف اساليب الانشاء اي تطور عبر الزمن وبقيت محافظة على ذلك.

و كانت انعكاسا صادقا لثقافة الانسان الصحراوي وبيئته ، حيث استطاع الوصول الى حلول معمارية كفيلة بتحقيق الحماية من العوامل المناخية القاسية، فظهرت المباني المتراسة تلتف حول الفراغات الداخلية لافنيتها مما يوفر اكبر مساحة مظلمة وضمن التهوية سواء في العمارة الدينية او المدنية ، ويعمل هذا التخطيط على الحد من من تعرض الانسان والمكونات المختلفة كالمباني والشوارع الى قدر كبير من المؤثرات البيئية الخارجية كالشمس والاتربة .

كما تميزت المباني الدينية بنفس التصميم عموما من حيث العناصر المعمارية مع اختلاف بسيط في عدد الغرف والمساحة وهذا راجع الى المستوى الاقتصادي والاجتماعي للفرد صاحب المسكن، وجل المباني تتكون من طابقين اثنين.

ومن اجل الحماية فقد لجأ الى اقامة الاسوار والخنادق كوسيلة للحماية والدفاع وتخضع للمقاييس المناسبة للدفاع عن القصر نظرا للظروف التي مر بها القصر على مر الازمنة .

لذا يمكن القول ان العمران بقصر تقرت يخضع لكل مقاييس التخطيط العمراني الاسلامي.

الفصل الرابع

مواد الإنشاء و أساليب البناء

أولا: مواد الإنشاء

ثانيا: أساليب البناء

ثالثا: المواد والعناصر الزخرفية

تأقلم سكان وادي ريغ مع الظروف الطبيعية القاسية للمنطقة مستغلين مواد البناء المحلية و التقنيات المرتبطة بها، لأن الإنسان بطبعه يتكيف مع البيئة التي يعيش فيها.

فجاءت عمارة القصر و مكوناته المعمارية صورة تعكس حياة انسان وادي ريغ مع محيطه ، فبذل ما في وسعه للاستغلال الأمثل للمواد المحلية المتوفرة القريبة منه. و من بينها مادة الطين التي شكلت أهم المواد الأساسية المستعملة في البناء في الحضارات القديمة في منطقة الشرق القديم، سواء كان ذلك عند المصريين القدماء أو في بلاد ما بين النهرين.

ولمنطقة وادي ريغ نمط معماري مميز ، أملتته الظروف الطبيعية أحيانا وثقافة أهل المنطقة أحيانا أخرى، فالمواد المستعملة في البناء ، متنوعة فهي محلية كالطين المستعمل في صناعة قوالب الطوب لإنجاز المباني المدنية والدينية كما هو الحال في بقية القصور الصحراوية ، وكان من أهم أسباب انتشار هذه المواد ندرة الحجاره و توفر مادة الطين، التي كثر استعمالها في معظم الأبنية التي شيدت في قصور وادي ريغ وخاصة منها المنشآت الدينية، وهذا ما مكن السكان من بناء منازلهم بسهولة ويسر ، حيث يتم اقتناء هذه المواد من مناطق مجاورة غير بعيدة وتتم تهيئتها حتى تكون قابلة للاستعمال، ثم توظف حسب خاصيتها وما يتلاءم وطبيعة مناخ المنطقة ، فلكل مادة من المواد المستعملة خصائص و مميزات تستوجب استعمالات معينة.

و من المواد التي استعملت في بناء القصر مادة الحجاره، خاصة في بناء الأساسات، التي كان يتم جلبها من مناطق قريبة. و استخدم السكان أيضا الخشب المستخرج من النخلة لتسقيف المباني ، فأخذت منها كل المكونات التي يحتاجونها.

و بعد أن تمكن البناء من استخراج تلك المواد استعمالها بطريقة منتظمة و تقنيات بناء جعلتها تستمر إلى فترة طويلة من الزمن، رغم التكنولوجيا البسيطة التي بنيت من خلالها ، إلا أنها راعت شرط أساسي في ذلك هو تكيف الإنسان مع بيئته الجافة ، وتخطيطها نابع

من خصوصيات المنطقة وعاداتها وتقاليدها في إطار المبادئ الإسلامية ، وبمواد محلية غير مكلفة ومن إنتاج المنطقة .

ومن خلال المعاينة الميدانية لمختلف المنشآت لاحظت أن المواد المستعملة صمدت لمختلف الظروف التي مرت بها المنطقة خاصة المناخية منها:

أولا: مواد الإنشاء

1-الطين:

تعد مادة الطين من أقدم مواد البناء التي عرفها الإنسان واستخدمها في البناء، فقد استخدمت منذ ما يزيد عن عشرة آلاف سنة .وانتشر استعمال الطين في العديد من الحضارات: كبلاد الرافدين ووادي النيل والحضارة الرومانية والهندية والحضارة الإسلامية . ولازال البناء بالطين مستخدما في الكثير من المناطق في العالم ، خاصة إفريقيا وأسيا وأمريكا الجنوبية¹ . إن قلة الحجارة وتوفر المادة الطينية بالمنطقة أحد العوامل التي ساعدت على كثرة استعمال هذه المادة في بناء قصور وادي ريغ ، والتي تعرف بالطوب وهي على شكل قوالب طينية تصنع بطريقة تقليدية سهلة إذ تخلط التربة الطينية بالماء ، وزيادة في تماسكها يضاف للخليط سعف النخيل أو التبن ثم تسكب في قوالب خشبية بدون قاعدة ، صنعت خصيصا لهذا الغرض بحيث لا تتعدى أبعادها 40 سم-15سم-10سم ، وبعد الانتهاء من عملية التشكيل تجفف تحت أشعة الشمس لمدة معينة²، ويفضل صناعة الطوب في أوقات الربيع والصيف لتفادي سقوط الأمطار لتجفيفها جيدا مما ساعد على انتشار استعمال هذه المادة في كل من منطقة وادي ريغ، وعين صالح وتيميمون و ورقلة وبجنوب المغرب الأقصى ، وبالجنوب التونسي وفي عمائر ما بين النهرين مند العصور القديمة في شمال بغداد وحتى جنوب البصرة

¹ أنظر Dqat(p) et al , Construire en terre craterre, grenoble ,1979,p09

² أنظر Godard (G) ,l'oasis , op , cit , p44

حيث وجدت قوالب الطوب في معظم دور الكوفة و واسط ، كما دخلت كمادة أساسية في بناء أسوار بغداد¹.

وذلك لما يمتاز به الطوب من خصائص من حيث تأقلمه مع المناخ بما يوفره من حرارة شتاء وبرودة بالإضافة إلى سهولة استعماله وتشكيله. وهو يحتوي على عدة أنواع من المعادن وهي التي تعطي له لونا مميزا مثل اللون الأصفر، أو الأبيض أو الأحمر، أو الأسود².

وذلك لما يمتاز به الطوب من خصائص من حيث تأقلمه مع المناخ بما يقره من الحرارة شتاء والبرودة صيفا بالإضافة إلى سهولة تشكيله ، وبالإضافة إلى ذلك تستخدم التربة الطينية كمادة لاصقة بين الطوب أو الحجارة ، وكبلاط لتبليس الجدران وفي عملية التسقيف وما تجدر الإشارة إليه أنه كلما ازداد سمك هذه المادة كلما ازداد العازل الحراري.

ومن عيوب هذه المادة سهولة تأثرها بالعوامل الجوية خاصة الأمطار. كما أن الأسقف تمتص المياه فيزداد وزنها مما يؤدي إلى زيادة الأحمال على العناصر الإنشائية . إلا أن استعمالها في المناطق الصحراوية التي تقل فيها الأمطار والرطوبة ساعدت على استمرار مبانيها.

وبالنظر لما يتميز به الطين من الخصائص الهامة كالوفرة، والملائمة ، والمتانة ، فقد تعددت مجالات وطرق استخداماته في مختلف المنشآت العمرانية تماشيا ونوعية التربة والغرض من الإنشاء والخبرة المتوفرة ، وتتراوح هذه الطرق ما بين الاستخدام الكامل للطين في جميع عناصر المبنى ، مثلما هو الحال في الحفر لكامل المشروع داخل التربة قديما ، وبين طريقة استخدام الآجر في البناء³. ولا تخرج طرق الاستخدام في الصحراء عن هذا الإطار فهي متعددة وتتعلق

¹ أنظر Marçais(A) ,Manuel d'art musulman de XI au XII siecle , TL, paris , 1926,p58. انظر الموسري مصطفى العباس ، المرجع السابق ، ص276

² أنظر Lirrer (E) , matériaux de construction , T2 ,ed6 , paris ,1978 ,pp 17-18

³ قبالة مبارك ، تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية ، رسالة ماجستير في الآثار الصحراوية ، جامعة بسكرة، 2009-2010 ، ص76

بكل عناصر المبنى : الحائط ، السقف ، الفتحات ، ومختلف العناصر الأخرى وأهم هذه الاستخدامات في وادي ريغ تتمثل أساسا في :

أ- استعمال الطوب النيئ¹ إذ شيدت به العديد من المباني في الإقليم خاصة تماسين ، ومبدأ العمل بها يتمثل في تشكيل قوالب من الطين ثم تترك لتجف تحت أشعة الشمس ، ثم يتم التشييد بها بعد جاهزيتها.

ب- الطابية: اي الاستعمال المباشر لعجينة الطين في البناء باستخدام عدة طرق مثل ، البناء المباشر بالطين سواء بوضعه مباشرة في الجدران على شكل كتل أو صبه في عبوات خشبية ، كما يستعمل الطين كمونه لرص وحدات البناء الأخرى من طوب أو حجارة ، كما إن الطين يعتبر كمادة تكسيه لحماية الحوائط.

ج- استعمال عجينة الطين في التسقيف سواء الأسقف المسطحة حيث يشكل الطين إحدى الطبقات المكونة للسقف ، أو بناء القباب والعقود كمونه أو كقوالب.

وتتم عملية صناعة الطوب بعدد من المراحل تتمثل فيما يلي:

أ- إحضار التربة الملائمة والتي تكون تحت التربة السطحية ، ثم تنقى من من مختلف الشوائب والحصى ، وتفتت جيدا وغربلتها .

ب- خلط التربة بالماء الخال من الملح ، ثم تبدأ عملية العجن بالأرجل مع الاستعانة مع الاستعانة ببعض الأدوات كالرفش ، وتستمر العملية حتى يتخلل الماء كل جزئيات التربة. لتترك العجينة مدة تزيد عن 24 ساعة لتشرب الماء جيدا ، ليضاف إليها المثبت² المكون من ألياف

¹ مصطلح الطوب النيئ هو للتمييز عن المحروق ، والطوب الطيني لتمييزه عن الطوب الإسمنتي ، انظر بركات محمد علي ، مواد البناء واختباراتها القياسية ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، 1990، ص21

² المثبت هو المصطلح الفني المستعمل في مجال مواد البناء والذي يعني المواد المضافة من اجل زيادة تماسك ومتانة المادة

نباتية "كالتبن" بحيث تكون الكمية مناسبة لكمية العجينة¹ ليعاد عجنه مرة أخرى، ليترك بضعة أيام مع تعهده بالماء حتى لا يجف، ثم تبد أعملية التشكيل والقولبة.

ج- بعد تحضير العجينة تبدأ مرحلة القولبة والتشكيل في قوالب مناسبة للبناء²، وتم بواسطة قالب خشبي بدون قاع، قد يحوي تجويفا أو أكثر في صناعة الطوب، حيث يملأ بالعجينة ثم تدك جيدا ليرفع القالب مخلفا كتلة الطين المشكلة.

د- بعد عملية تشكيل الطوب تأتي مرحلة التجفيف في نفس مكان صناعته، تحت أشعة الشمس وفي درجة حرارة معتدلة مع تقليبه حتى يجف من كل جهاته، ليصير جاهزا للاستعمال

2-الحجارة :

هي تلك القطع المختلفة الأحجام والأشكال وهي أنواع كثيرة منها الصخور النارية ناتجة عن البراكين، أو رسوبية ناتجة عن ترسبات أحجار ومواد كالحجارة الكلسية، والرملية³. وتعد طريقة ربط الكتل الحجرية مع بعضها البعض على اختلاف أحجامها في الجدران غاية في القدم، قدم العمارة نفسها، حيث تركت العمارة الرومانية والبيزنطية عددا كبيرا من

¹ صناعة متر مكعب من الطوب الجيد يتطلب ما بين 15 إلى 25 كلغ من الألياف، للمزيد أنظر، فتحي حسن، عمارة الفقراء، ت مصطفى فهمي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2000، ص 262

² ان استعمال القوالب الخشبية لصناعة الطوب معروفة منذ القدم، وكان فقهاء العمران يؤكدون على ضرورتان يتوافق القالب مع المعايير السليمة، يقول ابن عبدون " يجب ان يكون عند المحتسب، او معلق في الجامع، قالب في غلظ الأجر، وسعة القرمدة، وعرض الجائزة وغلظها، وغلظ الخشبة، وغلظ لوح الفرش، هذه القوالب مصنوعة من خشب صلب، معلقة في مسامير أعلى حائط الجامع، يحافظ عليها كي يرجع إليها متى ما نقص منها أو زيد فيها ويكون عند الصناع آخر لعملهم" انظر، خالد محمد عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، المرجع السابق، ص 30

³ سطاس محمد راتب و اندرواس مسعود، مواد البناء واختبارها، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 57

المنشآت المعمارية بنيت بالحجارة¹ ، وهنا تتضح أهميتها كمادة للبناء لقدرتها على مقاومة الظروف الجوية بمرور الزمن.

ورغم اشتهار العمارة الصحراوية التقليدية بأنها عمارة الطين ، الا ان استعمال الحجارة يحتل منزلة مهمة فيها خاصة في الزيبان ووادي ريغ لكن على نطاق ضيق، ففي منطقة وادي ريغ تعتبر مادة إذا ما قورنت بالمادة الطينية ، إذا يتم جلبها من مقالع قرب تمرنة الجديدة والحجيرة وتختلف أنواع هذه الحجارة حسب المنطقة المستخرجة منها فوجد ما يعرف محليا "بالمكلوب"². والذي أستخدم في بناء الأساسات لمقاومته ظاهرة تصاعد المياه. وكذا استعمل في تشييد الجدران، اذ تعطيه طريقة قطعه عدة تسميات منها الغشيم أو الدبش اذا كان غير معالج، والمنقوش أو المنحوت اذا كان معالجا³. و لتشكيل القباب والأقبية والعقود لخفتها بالإضافة إلى ان أكثر الحجارة شيوعا بالمنطقة وهي الحجارة الكلسية الهشة لوجود طبقات كلسية تعود إلى الفترات الكريتاسية⁴، بحيث تستعمل دون أن يطرأ عليها تغير ملحوظ باستثناء بشدييات بسيطة يلجأ إليها البناء أثناء وضعها في مكانها من المبنى ، أو يتم تحويلها إلى مادة جيوية تعرف محليا بالتبشمت¹.

أما عن عملية تحضير الحجارة المعدة للبناء فهي تتم على عدة مراحل بداية باستخراج الحجارة من مقالع أو محاجر معروفة أو من تلال قريبة ، وهي عبارة عن طبقات صخرية ، منها الظاهر على سطح الأرض ومنها على عمق يصل الى 2م والتي تستخرج عن طريق الحفر. بعد

¹ مالدونادو باسيليو بافون ، العمارة في الاندلس ، ت منوفي علي ابراهيم ، مجلد2، ، ط2، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ص289

² نوع من الحجارة الصلبة الشبيهة بحجر اللوس "وردة الرمال " يستعملها سكان وادي ريغ في بناء اسس المنازل وآبار صرف المياه: لقاء مع السيد بوضياف مسعود ، المهندس المعماري ، مهتم بالعمارة القديمة بوادي ريغ ، وادي سوف ، جانفي 2008

³ غالب عبد الرحيم ، المرجع السابق ، ص125

Ricard (P) , pour comprendre Alger,p 200

⁴ أنظر

جمعه الكمية المطلوبة يتم نقلها الى موقع البناء على شكل أكوام . أثناء عملية البناء يقوم البناء ببعض التعديلات الخفيفة، أي انها تبنى دون صقل أو تذيب وهذا معروف في العمارة الصحراوية²

3-التبشمت:

وهو مادة بناء معروفة في البناء التقليدي ، ومن المواد الواسعة الاستخدام في الصحراء ، وتعرف بتسميات متقاربة ، مثل التيشم ، التبشمت ، التيمشنت .و يستخرج -بالتحويل الحراري لنوع من الحجارة الرسوبية الهشة المتكونة من كاربونات الكالسيوم- من أماكن محددة على عمق متر أو أكثر تعرف محليا بالمقطع ، وتكون في الغالب على شكل طبقات حجرية افقية قليلة العمق³، ليبدأ عملية حرقه بعد ذلك في أفران مخصصة تكون غالبا اسطوانية الشكل ، من الطكين أو الحجارة الصلبة ، وتتكون من قسمين قسم سفلي وهو الموقد الذي يحوي المواد المشتعلة التي تتكون عموما من نباتات برية و جريد وعصي وخشب ، ويكون بشكل قبو به فتحات علوية تسمح بمرور النار الى الأعلى ، وجانبية للتهوية وامكانية تزويد النار بالحطب.والجزء العلوي توضع فيه الحجارة المراد حرقها على شكل قبو⁴ ويكون أكبر من الاول وبه فتحة واسعة في الأعلى تغلق اثناء الحرق ، لتحرق لمدة طويلة من أربع وعشرون ساعة إلى عدة أيام تحت درجة حرارة تتراوح ما بين 150 و 200 درجة مئوية⁵.

¹ أنظر Gautier (E ,F) les territceires du sud l'algerie ,1922 ,p59

² أنظر Didillon (H ,et ,M) et Donnadiou (C,et,P) ,Habiter le désert : les maisons mozabites , 03ème éd , mardaga , bruxelles ,1984,p87

³ حملاوي علي، نماذج من قصور الاغواط ، المرجع السابق ، ص 291 .

⁴ أنظر Didillon (H ,et ,M) et Donnadiou (C,et,P) ,op,cit,p87

⁵ علي حملاوي ، نماذج من قصور الاغواط ، المرجع السابق ، ص 292

بعدها نخرج هذه الحجارة حيث تكون هشة سهلة التفتت ،لتطحن بواسطة مدق خشبي غليظ أو مطرقة حديدية ،فيتم الحصول على مسحوق يكون لونه ما بين الأبيض المصفر الى الرمادي الخفيف، ويميل للإحمرار ببعض المناطق¹ بعد ذلك يتم تنقية المسحوق بواسطة الغرلة ، حيث ينتج منه عدة أنواع حسب حجم الحبيبات ، المسحوق الخشن يستعمل كملاط أو كمادة بين الحجارة أو حتى الطوب وفي التسقيف وانشاء القباب ، اما الناعم ونظرا لونه الأبيض الناصع أستعمل لتليس الجدران والقباب، مما يضيفي على المباني نوع من الانشراح ، كما أستعمل في تبليط أرضية هذه الأخيرة والملاحظ هو كثرة إستعمال هذه المادة في كل من وادي ربع ، ووادي سوف ووادي مية .

وللتبشمت تركيبة كيميائية تتمثل فيما يلي

-كربونات الحجر الكلسي 88 %

-طين أو سيليكات الألمنيوم 11 %

-الشوائب (فلوريد الكالسيوم) 1 %² .

قبل استعماله لابد من عجنه بالماء العذب ، لان المياه المالحة و الوحلة تمنع تماسكه لاحتوائها على مواد عضوية.ويستعمل كمادة رابطة في بناء الجدران والسقوف لما يتمتع به من متانة وتصلب بعد الحفاف ، لانه يحتوي على سيليكات الالمنيوم وكربونات الجير بنسب تقارب تلك المتوفرة في الاسمنت المستخدم حديثا وهو ما يفسر قوة التماسك التي يتمتع بها³ .

¹ قبالة مبارك ، المرجع السابق ، ص92

² تختلف درجة الحماية ضد الحرائق حسب سمك الطبقة ، فكلما ازداد سمك الطبقة كلما ازدادت درجة الحماية ، فمثلا اذا كان سمك الطبقة 10 مم فهو يوفر الحماية لمدة 30 دقيقة ، وتحت درجة حرارة تقدر بـ 800 درجة مئوية ، بينما توفر طبقة ذات سمك يبلغ 30 مم الحماية لمدة 40 دقيقة وتحت درجة حرارة جد مرتفعة تقدر بـ 1100 درجة مئوية ، ومن مزاياها ايضا أنها تحتفظ بالبرودة صيفا والحرارة شتاء . أنظر علي حملاوي ، المرجع السابق ، ص292

³ انظر Didillon (H ,et ,M) et Donnadiou (C,et,P) ,op,cit,p87

وقد يستعمل نقيا لتكسية المنازل وتبييضها من الداخل ، أو يستخدم كخليط مع الطين أو الرمل في التكسية الخارجية وفي التسقيف ، حيث يوضع كطبقة خارجية لمنع تسرب مياه الامطار ، أو في انشاء القباب لربط مواد بنائها ، كما يستعمل في بناء السلام والعقود.

4- جذوع النخيل: [انظر اللوحة 27]

يعتبر الخشب من المواد ذات الأهمية في العمارة منذ القدم ويشير ابن خلدون¹ الى أهمية الخشب فيقول: "فهو يتخذ وقودا للنيران في معاشهم ، ودعائم لما يخشى ميله من أثقالهم... فأما أهل البدو فيتخذون منه العمود والأوتاد لخيامهم ... أما أهل الحضرة فالتسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم".

وإذا ما تمعنا في المنشآت الإسلامية واستخداماتها للخشب فإننا نجد قد استعمل كمادة بناء مساعدة لتقوية المنشآت وللتسقيف² وبناء الآبار حيث يذكر البكري³ في طريقه من وهران الى القيروان عند ذكره لاحساء عقبة بن نافع القرشي حيث يقول : "وهي آبار كثير مبنية بالعرعار ". وقد أشار الفرستائي⁴: " أن الجسور والسدود عملها وبنائها يستعمل فيها مادة الخشب".

ومن الطبيعي ان يكون النخيل المصدر الأساسي له ، فقد استغل الإنسان كل ما توفره النخيل في البناء من جذوعه⁵ وجريد وسعف. فإلى جانب أنه مصدر اقتصادي هام بالنسبة للمجتمع الصحراوي ، كونه موردا غذائيا بإنتاج التمر الذي يمثل المئونة الأساسية للسكان على مدار السنة ومصدر جلب العملة "التجارة" ، ومصدر طاقوي للتدفئة والطهي ، فإنه كذلك

¹ ابن خلدون، المقدمة ، المصدر السابق، ص512

² مالدوناندو ، المرجع السابق ، ص336-342

³ البكري ، المصدر السابق ، ص254

⁴ الفرستائي ، المصدر السابق ، ص309

⁵ تقدم شجرة النخيل حوالي 70% الى 90% من الخشب ، أنظر سطاتس(محمد راتب) واندرواس (مسعود) ، المرجع

السابق، ص208

يعتبر مادة هامة من مواد البناء، تستعمل بعد إشرافها على الهلاك فتقطع طوليا إلى قسمين في الغالب ثم تصفى من مختلف الشوائب، تترك مدة زمنية كافية حتى تجف وتصبح صالحة للاستعمال . إذ تستعمل في صناعة الأبواب ، فكانت نوعية استعمالها تختلف من عائلة إلى أخرى تبعا للمستوى الاجتماعي للعائلة، فالأسر الغنية تستعمل الأبواب المنقوشة والتي تجلب من تونس ، في حين أن الأسر الفقيرة فقد كانت تستعمل الأبواب المصنوعة من جذوع النخل، والمغطاة أحيانا بصفائح من القصدير، كما ستعمل في عملية التسقيف كأعمدة أو عقود أو تستعمل كسلام داخل المنازل

أما جريد النخيل وهي أغصان مفصصة له استعمالات متعددة فبعد أن يصبح جاهزا للاستعمال - باتباع طرق معينة المتمثلة فيما يلي بعد تصفية النخلة في موسم ما من مواسم السنة والتي هي في الغالب فصل الخريف ينزع منها الجريد اليابس . وفي بعض الأحيان الأخضر ، أو في حالة سقوط النخلة لسبب ما ، بعدها تنزع منه أشواكه وسعفه ، بعدها يثقب لتسهيل عملية ربطه بعضه البعض بواسطة أسلاك أو خيوط ثم يعرض لأشعة الشمس ويثقل بمواد مستوية لأجل استقامته- يستغل كمادة مساعدة لتسقيف المنازل حيث يفرش ليضع فوقه الحجارة والجبس وكذا تشكيل السقائف لتحجب أشعة الشمس مثل الشوارع المغطاة كما يستعمل في صناعة الأبواب ، وتقنية مساعدة لعملية البناء .

إن ندرة الأخشاب المعروفة وتوفر أشجار النخيل بالمنطقة دفعت بالبناء الصحراوي إلى استغلال هذه الأخيرة في بناء عمائره مواد في عملية التسقيف أو التدعيم أو تشكيل الأقواس أو بناء السلام ، ولتحضير أخشاب النخيل أشجار النخيل منتجة ثم يقسم الجذع من الأعلى إلى الأسفل إلى أربعة أجزاء عرضها من 10 سم 5 سم وطولها لا يتعدى ثلاث¹ أمتار ثم توضع في المياه المالحة لتتسبع خلاياها بالملح وبذلك يمنع تواجد الحشرات بها بعد الاستعمال وهناك أنواع معينة من أشجار النخيل يفضل استعمال خشبها مثل نخلة الدقلة البيضاء في حين

Rouvillois-Brigol (M) , op,cit, p88

¹ أنظر

لا يفضل خشب نخلة الغرس¹ بإمكان هذه الأخشاب أن تعمل ألف سنة في الجو الحار وقبل استعمالها لعرضات لتسقيف تجري عليها بعض التشديبات للحصول على وجه مسطح سهل وضعه على الجدران¹.

أما جريد النخيل فإنه ينزع منه السعف وهو أخضر للحصول على عصي يتم استغلالها خضراء في تشكيل الأقواس وتشكل منها السدة لتغمر في المياه المالحة لمدة معينة حتى تتشبع بالأملاح ثم تجفف وتستعمل في التسقيف حيث يوضع فوق عوارض الجذوع ، كما يستعمل أحيانا في الاعتاب والعقود، وتستعمل الألياف الناتجة عنه كمثبت يضاف الى الطين في صناعة الطوب.

وبعد ان تعرفنا على اهم المواد الانشائية التي شيدت بها اغلب المباني والمنشآت الاخرى ، سنتناول فيما يأتي طرق واساليب البناء.

ثانيا: أساليب البناء

صناعة البناء هي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى ، وقد جاء بناء المنازل المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر الجهات ، بعد أن فكر الإنسان فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد. وتعد الناحية التقنية في البناء وسيلة من وسائل ضمان سلامة المبنى واستقرار أجزائه ، وتعتبر أيضا "الوسيلة المتاحة لتناول المواد بالتشكيل في عمليات التعبير الفني الذي يجب على المعماري أن يمتلك ناصيتها"².

إن الأساليب المتبعة في البناء والإنشاء في العمارة الصحراوية هي نتاج ثقافة شاملة في هذا المجال ، تكونت من خلال خبرة أجيال من البنائين بطريقة التجربة والتطوير ، وهي خاضعة بشكل أساسي لظروف البيئة والإمكانيات المتاحة لاستخدام مواد البناء المحلية المتوفرة

Godaed,(G) , l'oasis, op,cit, p46

¹ أنظر

² عبد الرحمن بن خلدون ،المصدر السابق، ج 1 ، ص 509

، لذا تأثر أسلوب تنفيذ المباني واختيار مواد البناء المستعملة في تشييدها ، وفي مختلف مراحل إنشائها ، ببيئته المحيطة به .

1- أسلوب بناء الأسس

الأساس هو ذلك القسم من المنشأ الذي يشيد تحت مستوى الأرض الطبيعي ، وعلى عمق معين ومواد مختلفة ، كالخرسانة ، والطابوق ، والحجر ، وينقل ثقل المنشأ إلى طبقات التربة الصالحة لتحمل تلك الأثقال¹ ، وتكون عادة مدفونة في الأرض على عمق مناسب للتأسيس .

يتوقف نوع الأساس المستخدم وعمقه على نوعية التربة المقام عليها المبنى ، فإذا كانت التربة صخرية فان أساس المبنى المنشأ عليها يكون قليل العمق وبأقل مساحة ممكنة حيث تكون قوة التحمل للتربة عالية ، لذا تنشأ الجدران على أرضية صخرية مباشرة أو تراح عنها طبقة التربة العلوية القليلة السمك، كما هو الحال بالنسبة لاق ليم وادي ريغ حيث ان التربة الصالحة لوضع الأساسات في أغلب الحالات تكون قريبة من السطح بفضل اختيار مواقعها على هضاب صخرية² .

وإذا كانت المنشآت مبنية على أسس من الحجارة ، وارضيتها غير صخرية فقوة تحمل تربتها تكون ضعيفة ، لذا يجب ان تكون أساساتها أعمق والتي يتم حفر الأساس فيها إلى عمق لا يقل عن 0.60 م وبعرض أكبر - فغالبا نجد سمك الأساسات أكثر اتساعا من الجدران- من 0.50 م حتى يصل الى 1 م³ ، ويتم الحفر وفقا لمخطط النشأة المراد بناؤها ، ثم يتم إحضار الحجارة التي توضع جنبا إلى جنب لتضاف إليه ملاط الجس لتقويم الحجارة ، وبنفس الطريقة حتى يتم بناء الأساس الذي يكون عادة أعلى من سطح الأرض وتختلف ارتفاعاته

¹ آرتين ليفون ، زهير ساكو ، انشاء المباني ، ط1 ، جامعة بغداد ، 1982 ، ص37

² البقري عبد اللطيف ، الموسوعة الهندسية لإنشاء المباني ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1984 ، ص39

³ Didillon (H,et JM) , &Donnadieu (C et P),op , cit, p91

حسب عدة عوامل منها مدى وفرة الحجارة الكبيرة المخصصة لبناء الأساس أو حسب استواء الأرضية¹ ...

من الطبيعي ان يتجنب الانسان استعمال الطوب في الاساسات لما في ذلك من خطر على البناية ككل بسبب تأثير المياه على الطوب التي تؤدي في النهاية الى تخريره سواء الظاهرة الشعرية² او بتجميع مياه الأمطار عند الأساسات، لذلك يتم اللجوء الى بناء الأساسات بما يتوفر من الحجارة، وقد استعمل نوع واحد من الحجارة وهي الحجارة الكبيرة الحجم وهي حجارة اللوس المنتشرة الاستعمال بشكل واسع وهي غير منحوتة، والتي أثبتت صلاحيتها وفاعليتها في مقاومة مختلف الظواهر الطبيعية من أمطار وحرارة وبرودة وقدرتها على حمل ثقل المبنى وتكون، الطبقة الأولى الموالية للأرض دون ملاط، ثم يستخدم التمشنت كملاط في الطبقات الموالية بكثرة -وهي المونة المستعملة في تقويم الحجارة الذي أثبت قدرته على تقويم الحجارة وكذا مقاومته للعوامل الطبيعية-، ويعمل بعد ذلك على تكسية مثل هذه الأساسات بطبقة من التمشنت لمزيد من المتانة وقد تترك دون تكسية.

2- أسلوب بناء الجدران [انظر الشكل 8]

الجدران او الحوائط هي عناصر شاقولية من البناية تفصل بين الحيزات الداخلية المختلفة أو بينها وبين الفراغ الخارجي، ويتمثل دورها بشكل أساسي في ناحيتين: تحديد الحيز الداخلي للمجالات، واستعمالها كعناصر حاملة³. وتؤدي الحوائط في العمارة الصحراوية

¹ يتحدد عمق الأساس حسب عوامل عدة أهمها: طبيعة التربة، وطبقاتها الصالحة لتحمل أحمال المنشأ، وكذا حالات الطقس، ومدى تعرض الأساسات الى تأثيرات التمدد والتقلص، ولكون مناخ المنطقة صحراوي، واختلافات درجة الحرارة اليومية والفصلية، ووجب وضع الأساسات على عمق لا يقل عن 0.60 م، وذلك لحمايتها من تأثيرات الإختلاف في درجة الحرارة. أنظر: آرئين ليفون، زهير ساكو، المرجع السابق، ص 37

² هذه الظاهرة تتمثل في أنابيب دقيقة يتبعها الماء حتى في عكس اتجاه الجاذبية الأرضية، وهذا بسبب المسامية العالية للطوب، وهكذا تتمكن مياه الأمطار والمياه الجوفية من بلوغ الجزء السفلي من الحائط وتخريره.

³ نوبي محمد حسن، نظريات العمارة، مطبعة الأوفست الحديثة، أسيوط، 2001، ص 10

التقليدية غالبا كلا الوظيفتين في آن واحد ، ونجد أحيانا حوائط تؤدي وظيفة فصل الفراغات فقط.

وتنسم أساليب البناء الغالبة في المدينة إلى عدة طرق تمثلت فيما يلي :

2-1- أسلوب البناء بطريقة المداميك:

وهي طريقة قديمة ظهرت خلال القرن الرابع قبل الميلاد بالجدار الروماني المعروف باسم "سرفيان" ، وقد ظهرت في عمائر الشرق الإسلامي ، أما بالمغرب الإسلامي فيلاحظ استعمالها منذ القرن (2 هـ / 8 م).

وطريقة المداميك يعتمد فيها أساسا على مواد مهذبة أو نوعا ما مهذبة ، أي ذات زوايا قائمة ، وفي هذه الحالة تكون مادة البناء فيها موضوعة بطريقة متتالية وأفقية ، مما يعطي شكل مسافات منتظمة ومتساوية ، ذلك أن المواد المستعملة والمختارة تكون أشكالها ومقاساتها موحدة تقريبا.

و تتم عملية البناء بهذه الطريقة بوضع الحجارة في كامل المسافة على إحدى بطيها بحيث يكون إحدى جانبيها يقابل محور الناصر ، وعند الانتقال إلى الصف التالي يترك فراغ بقدر المادة المستعملة ، ثم توضع الحجارة التي تتوسط الحجرتين السفليتين ، وهكذا وبنفس الطريقة حتى تتم عملية البناء للعنصر المراد بناؤه .

2-2- أسلوب البناء بطريقة آدية و شناوي¹ [انظر اللوحة 26]

وهي الطريقة السابقة في اختيار مادة البناء ، حيث يراعى فيها كذلك المواد ذات الزوايا القائمة والمقاسات المتساوية ، مثل الطوب والحجارة المصقولة والمهذبة ، ويقصد بهذه التقنية وضع الكتل أفقيا تارة على إحدى جانبيها وتارة على إحدى واجهتيها وفي هذه الحالة تنجز المسافة بالطريقة التالية

¹ تعرف هذه الطريقة بالفرنسية باسم « carreaux et boutisses »

توضع الحجرة أو الطوبة الأولى طولا وتكون على إحدى بطنيها ، وبذلك لا يظهر للعيان منها سوى جانب من جانبيها ، أما الثانية فتوضع طولا على بطنها باتجاه داخل الجدار بحيث يظهر منها سوى أحد الوجهتين¹ .

2-3- أسلوب البناء بطريقة السنبلة²

تشبه هذه الطريقة في وضع حجارها وضعية حبات القمح في السنبلة ولذلك فإن الكتل ، توضع فيها متلاصقة بأحد أركانها بحيث تشكل في الأخير زاوية ذات 45 درجة .
عرفت هذه التقنية منذ العهد القديم حيث كان يتم استخدامها مع الدبش الغير منتظم الشكل ، حيث تبرز بصفة خاصة في الأماكن المراد غلقها كالثقب ، ومن مزايا هذه التقنية أنها تشكل قناة تتسرب منها مياه الأمطار المتسللة عبر أجزاء الجدار .
وهذه الطريقة نادرة الاستعمال بالمنطقة المدروسة تقتصر على الجدران الصغيرة وأحيانا في أنجاز أسوار البساتين .

2-4- أسلوب البناء بطريقة المزج [انظر اللوحة 26]

وهي الطريقة التي يستعمل فيها مواد مختلفة وغير منتظمة الشكل والمقاسات ، لذلك يتحتم على المعماري اختيار المادة التي تناسب والمكان المخصص لها ، ثم يملئ الفراغ الناتج بينهم بالمادة اللاصقة المعدة لهذا الغرض كالتربة الطينية أو الجبسية ، ثم تكسى الجدران في الأخير بواسطة ملاط وذلك لعدم تناسق أجزائها وعدم جمال منظرها³ .

إن تقنيات البناء التقليدي تخضع إلى المواد الأولية المتوفرة بالمنطقة بالدرجة الأولى وإلى الظروف المناخية والعوامل المؤثرة بالدرجة الثانية.

¹ علي حملاوي ، نماذج من قصور الاغواط ، المرجع السابق ، ص ص 298،299،300

² تسمى هذه الطريقة في العمارة الرومانية باسم « opus spicatum »

³ المرجع نفسه ، ص ص 301،302

ومهما اختلفت هذه المباني في قصور المنطقة من جامع أو مسجد أو منزل... إلخ فإن عناصر البناء متشابهة حسب التقنيات التالية:

تبنى الجدران بعد حفر الأساسات على عمق 60سم ثم تملأ بنوع من الحجارة تعرف بالملكلوب ثم يكمل بناء الجدار باستعمال الطوب أو الحجارة حسب طبيعة المبنى، مسكن، مسجد... إلخ، ويستعمل التبشمت أو الطين كمادة لائحة بين الحجارة والطوب¹.

والملاحظ هو أن سمك الجدران متغير من 1م للجدران الخارجية إلى 15سم في جدران الغرف العلوية، كما يصل سمك الجدران الداخلية من 15 إلى 20سم لتلبس الجدران بملاط من التبشمت باستعمال قطع خشبية مستوية وفي بعض الأحيان كف اليد التي تترك آثارا واضحة على الجدران وقد لوحظ بقصر تقرت بعض الجدران الخارجية لبعض البيوت بوضع طبقة من الطوب ثم طبقة سميكة من التبشمت أو الطين وهكذا دواليك حتى نهاية الجدران².

وأهم الطرق المستعملة في بناء الجدران اما بمادة الطين اوالحجارة وأهم طرق المادة الاولى تتمثل فيما يلي :

-طريقة التشكيل المباشر وهي قليلة الاستعمال لاحظناها في تماسين ، اذ تعتمد على تحضير عجينة الطين ليتم البناء بها مباشرة ، حيث يتناول البناء كتل من الطين ليشكلها على شكل مكعبات بيديه ثم يضعها في مكانها على الجدار بجانب كتلة أخرى حتى نهاية الصف ثم الجدار .

-طريقة التربة المضغوطة بالقالب : يقتصر استعمالها في بناء الاكواخ أو اسوار الحدائق ، وتتم بشد لوحتين على جانبي الجدار ثم يصب الطين بينهما مع الدمك حتى نهاية الجدار.وقد وصف ابن خلدون³ هذه الطريقة التي سماها بالطايبية اذ يقول " ومنها البناء بالتراب خاصة تقام

¹ معلومات مستقاة من بعض البنائين من تقرت و تماسين

² ان هذه التقنية شبيهة بتقنية المرح

³ المصدر السابق، ج1 ، ص511

منه حيطان يتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولاً وعرضاً باختلاف العادات في التقدير... ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال ، ويسد الجهتان الباقيتين من ذلك الخلاء بلوحيين آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مخلطاً بالكلس ويركز بالمراكز المعدة حتى ينعم ركزه ويختلط أجزاءه... ثم يعاد نصب اللوحيين على صورة ويركز كذلك الى أن يتم وينظم اللواح كلها سطراً من فوق سطر إلى أن ينتظم الحائط "

اما طرق البناء بالحجر فهي:

-البناء بالحجر غير المهذب والغير المنتظم "طريقة بناء بالدبش المقلب¹. وهي الاوسع انتشاراً في منطقة تماسين ، تستعمل فيها الحجارة بشكلها الطبيعي دون تهييب أو صقل ماعدا بعض التعديلات الخفيفة جدا ، وهي حجارة صغيرة الى متوسطة الحجم يغلب عليها الشكل المدبب ، تتم طريقة البناء بها عن طريق وضع الواحدة فوق الاخرى او صفين متوازيين دون تنسيق ، ويستعان بالحجارة الصغيرة والحصى لملاء الفراغات ، ويعتمد تماسك الجدار على الملاط بشكل رئيسي.

ونظراً لما كانت تمثله الجوامع والمساجد من قدسية واحترام في حياة سكان القصر أولي لبناء جدرانها اهتماماً خاصاً من حيث بنائها من مادة الحجر بدل الطوب، لهذا بقيت صامدة إلى اليوم برغم العوامل الطبيعية ومرور السنين.

3- أسلوب بناء الأسقف [انظر اللوحة 27].

المراد من التسقيف هو وضع أو تركيب سقف له او تغطية البناء لحمايته من المؤثرات المناخية الخارجية ، والسقف هو السطح العلوي المغلف للحيز الداخلي ، وبه يمكن أن يكتمل

¹ تطلق تسمية الدبش على الحجارة الغشيمة غير المنتظمة ، المتوسطة والصغيرة الحجم ، انظر البقري عبد اللطيف ، المرجع السابق، ص164

تحديد الحيز ، وقد يكون الحد المستوي الفاصل بين حيزين في الاتجاه الرأسي أو قد يكون السطح العلوي المغلف للمبنى¹.

وللأسقف أشكال مختلفة ، منها المستوي، والمائل ،ومضاعف الميل، والمائل المرتكز ،والمائل المتقاطع ن والمتعدد الميل ، والمستوي المركب مع مائل وغير ذلك².

تم عملية تسقيف المباني بواسطة الأسطح المستوية أو القباب أو الأقبية لتشبه في ذلك مباني قصور وادي سوف، ووادي مية وباقي قصور وادي ريغ.

3-1-السقف المسطح: [انظر الشكل9]

يعد السقف المستوي من سمات المناطق ذات المناخ الحار والجاف ، حيث يكون بشكل أفقي مسطح لهذا يعرف بالسطح ، والسطح لغة ظهر البيت وأعلى كل شيء فيه ، وهو الوجه العلوي للسقف وهو أعلى البيت مقابلاً لأرضه.

إن تقنية التسقيف بواسطة جذوع النخيل من أوسع الطرق انتشارا بالجنوب الجزائري، إذ توضع مجموعة من قطع خشب النخيل المهيأة مسبقا بشكل طولي على الجدران تبعد عن بعدها بنفس المسافة 0.60 م في المتوسط،- وهذه الطريقة تعرض لها ابن خلدون بقوله³ "ومن صنائع البناء عمل السقف بأن تمد الخشب المحكمة النجارة أو السداجة على حائطي البيت ومن فوقها الألواح كذلك موصلة بالدساتر ويصب عليها التراب والكلس وييسط بالمراكز حتى تتداخل أجزاءها وتلتحم ويعالى عليها الكلس كما يعالى على الحائط"- ثم توضع فوقها السدة (عصي النخيل) في الاتجاه المعاكس للجذوع والتي تكون عذو استقامة واحدة وتامة حتى لا تترك الفراغات. لتغطي بعد ذلك بالتبشمت ثم الطين ليصقل في الأخير بطبقة ملساء من التبشمت، ويراعى في بناء هذا النوع من السطوح انحدارها، ويتعدى طول الغرفة ثلاثة أمتار

¹ قبالة مبارك ، المرجع السابق، ص116

² الحسن أحمد و مهنا رثيف ، البناء والتغطية، الموسوعة العربية ، مج 5 ، دار الفكر ، دمشق ، 2005، ص147

³ ابن خلدون ، ج1، المصدر السابق ، ص512

على طول خشب النخيل ويزداد العازل الحراري بزيادة سمك المادة الطينية والتبشمت المستعمل فوق الشدة على شرط أن لا يتعدى 40سم لارتباطه بمدى تحمل قطع الخشب لهذا السمك¹. وتنتشر هذه التقنية في الشمال الجزائري وفي مختلف أنحاء العالم الإسلامي لسهولتها ولكن باستبدال قطع خشب النخيل بخشب آخر أكثر انتشارا بهذه المناطق كخشب العرعار والزيتون، ويظهر استعمال السقف المسطح في العمارة المدنية وملحقات الجامع والمساجد.

3-2-السقف المقبب: [انظر الشكل 10]

القباب عناصر انشائية معمارية مقوسة الشكل من الداخل وليس لها نهاية زاوية ، تستخدم للتسقيف ، وهي في المصطلح الأثري المعماري عبارة عن بناء محدودب أشبه بكرة مشطورة من وسطها او بناء دائري مقعر من الداخل مقبب من الخارج، تقف على أعمدة أو جدران ومصنوعة من مواد مختلفة² .

والقبة من الملامح التي تتميز بها أغلب المؤسسات الدينية عند المسلمين ، فكان أول ظهور للقبة في العمارة الإسلامية في مسجد القبة الصخرة ، أما ظهورها في بلاد المغرب فكان في جامع القيروان³ ثم انتشر هذا النوع من القباب في معظم الجنوب الجزائري ، فقباب أربطة الجنوب القسنطيني متأثرة بالطابع التونسي المتأثر بدوره بالقباب ذات الرقبة المثمنة بالمباني الرومانية⁴ .

وترمز القبة الى الاتجاه الرأسي للمكان المقدس نحو السماء ، اذ ان للمسجد اتجاهان ، اتجاه افقي نحو الكعبة واتجاه رأسي نحو السماء ، وقد رمز المعماري المسلم الى الاتجاه الاخير بالقبة⁵ .

¹ Godared,(G) , l'oasis ,op, cit ,p 47

² عاصم محمد رزق ، المرجع السابق، 2000، ص ص 121،122

³ أحمد فكري ، المرجع السابق ،ص87

⁴ Commandant cauvet ,Les Marabouts ,Rev.Afr,N64,1923,p294

⁵ ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981، ص101

إن تقنية بناء هذه القباب تتم بتحديد المحور العمودي لقمة النصف دائرة بواسطة قطعة خشب مربوطة بجبل، طرفه الآخر مربوط بالإبهام الأيسر بحيث يمكن وضع حجارتها ويستمر في تدوير الخيط حول المركز دائما بمساعدة اليد اليسرى لتشكيل القبة بالتقاء إبهام البناء بقطعة الخشب فتنتهي العملية بكل إتقان ويصل قطر هذه القباب من مترين إلى ثلاثة أمتار. وأحيانا تستعمل عبوة من خشب النخيل والسعف على هيئة قالب يأخذ شكل القبة المراد انشائها ، ثم توضع عليها كميات من الملاط تتخلله الحجارة. والطريقة الأولى تعطي قبة احسن اتقاناً من الثانية.

اما الأقبية النصف برميلية ، فهي عبارة عن عقد مكرر ومسترسل طولياً يحده من النهايتين بناء بشكل نصف دائري ، وهو الأكثر استعمالاً بالمنطقة لسهولة انجازه ، وتغطية مناطق اوسع ، استخدم في تسقيف البيوت والاروقة والشوارع . وتعتمد على الجدران بالنسبة للأطراف، أما الاقبية الوسطى فتستند الى جذوع النخيل .

أما طريقة الإنشاء فتتم بوضع جذوع النخيل المهيئة على الجدران بشكل عرضي وتصنف بشكل متوازي على مسافة 60سم ، ثم توضع اخرى مؤقتة كعبوة للمساعدة بين كل جذعين سابقين -توضع بطريقة يمكن نزعها فيما بعد- ثم يبدأ برص الحجارة مع الملاط المشكل من التمشنت بشكل مائل تدريجياً حتى يكتمل الإنشاء . وبعد جفاف القبو تنزع العبوات المساعدة ثم يكتسى بطبقة رقيقة من التمشنت وتوضع احيانا طبقة من الطين فوق القبو تليها طبقة رقيقة من التمشنت¹ .

¹ لقاء مع السيد : بوضياف مسعود : مهندس معماري، 2008

4- أسلوب بناء السلالم: [انظر اللوحة 24، 23]

وتسمى محليا بالدروج وقد عرفت في الحضارات السابقة ببلاد الرافدين ومصر والاعريق وغيرهم¹. وهي عبارة عن مدرجات متتالية، بواسطتها يمكن التنقل من مستوى الى آخر أعلى او ادنى منه.

ولإنجاز السلالم توضع مجموعة من جذوع النخيل لا تتعدى ثلاثة جذوع وذلك بشكل مائل يتمشى والشكل المطلوب بحيث ترتكز في أسفل السلم على مجموعة من الحجارة في حين يستند طرفها الثاني مع الجدار، وبعد وضع الحجارة تغطى بالطين أو التباشمت كمادة لاحمة لتوضع بعدها قطع حجرية مهذبة ذات شكل مستطيل لتشكيل القائمة والنائمة لدرج السلم وفي الأخير تبلط بملاط من التباشمت لقدرته على مقاومة التغيرات المناخية، وبهذه التقنية تبنى الأنواع المختلفة من السلالم المنكسرة والمنحنية والمستقيمة، وتكون فيها درجة الميل ما بين 25 الى 40 درجة.

وتتسم السلالم في المنطقة كبقية العناصر المعمارية الاخرى بالبساطة ، ومكشوفة "غير مغطاة" ، تحتل في ركن من اركان الفناء بجانب البيوت ، يمكن تصنيفها من حيث الموقع في المنزل الى داخلية وخارجية . اما من حيث الشكل ذات بسطة وذات بسطتين² .

-سلالم داخلية وتكون داخل المبنى ، وتنطلق في الغالب من زاوية الفناء أو الرواق ، ونادرا ما تنطلق من غرفة خاصة مثل المطبخ .

¹ الريحاوي عبد القادر ، "البيت في المشرق العربي" ، اجاث المؤتمر العاشر للآثار العربية بتلمسان ، 15-1982/11/18

² يتكون السلم من مجموعة من الدروج ، ولكل درجة قائمة أو نائمة ، القائمة هي المسافة الرأسية بين السطحين العلويين لدرجتين متتاليتين ، أما النائمة فهي المسافة الأفقية بين قائمتين متتاليتين ، وتسمى مجموعة مستمرة من الدرجات توصل من مستوى إلى آخر بالقلبة ، والبسطة هي سطح بين قلبتين للراحة في الصعود أو عند الاستدارة بين قلبتين متعامدتين أو متوازيتين ، ويسمى الحاجز المحيط بالسلم لمنع سقوط مستعمليه بالدرابزين ، ويكون من الخشب أو الحديد أو غيره.

-سلام خارجية التي تنطلق مباشرة من الشارع حتى الطابق العلوي عبر باب اضافي يزود أحيانا بسقيفة ، وتستعمل غالبا من طرف الضيوف.

اما السلام من حيث الشكل ، فهي :

-سلام ذات قبة واحدة اي ان للسلم اتجاه واحد من البداية حتى بلوغ السطح

-سلام ذات قبتين أو أكثر باتجاهات مختلفة ، وتكون فيها الحركة في اتجاه معين ثم

تتحول لاتجاه آخر ، وتفصل بينهما البسطة المخصصة للانعطاف بين الاتجاهين ، وتستعمل خاصة في حالة الارتفاع الزائد.

وهناك انواع اخرى من السلام لاختلف كثيرا عن الاولى مثل السلام المستندة على الجذوع او على عقد يكون موازي أو عمودي على اتجاه الدرجات ، وفي الغالب تضاف الجذوع فوق العقد لانشاء السلم اما العقد لوحده يكون للسلام القصيرة.وسلام دون فراغ سفلي حيث يبنى السلم ابتداءا من الأرضية بشكل متدرج دون استعمال الجذوع ، وذلك ببناء جدار متدرج بينما الجهة الاخرى يمثل في جدار المنزل ويملاً ما بينهما بالحجارة والطين للتشكل بعدها الدروج .

5-أسلوب بناء العقود [انظر اللوحة28]

العقد او القوس عنصر معماري ينجز بترتيب خاص من الحجر او الطوب توضع متراسة بجانب بعضها البعض لتكون قوسا يستطيع ان يقاوم الأحمال التي تقع عليه وذلك بموازنة قوى الثقل الناتجة منه والقوة العاكسة لها¹.

وقد استخدمت العقود كثيرا في العمارة بوادي ريغ خاصة العقد الدائري الذي يعتبر من اقدم العقود وأوسعها انتشارا في العمارة الاسلامية ، واقدم نموذج يوجد في القبة الصخرة

¹ نخلة منى يوسف ، علم الآثار في الوطن العربي ، ط1 ، طرابلس ، لبنان ، 1990 ، ص167.

وبالمسجد الاموي بدمشق¹. وهو العقد الأكثر انتشارا في عمارة وادي ريغ. اما العقد المدب الذي انتشر استعماله بالجزائر خلال العهد العثماني²، لكن وجوده في عمارة وادي ريغ قليلة تقتصر على النوافذ والابواب الداخلية فقط. وعقد حدوة الفرس هو نادر الاستعمال، والعقد المخموس استعمل بشكل نادر في العمائر الدينية وبعض المنازل الفخمة.

وتستخدم العقود اساسا لتغطية الفتحات كالأبواب الداخلية دون الخارجية والنوافذ، ومن أجل حمل الأثقال النازلة عليها، كما نجدتها في فتحات الأزقة والشوارع، كما تستعمل في حمل السقوف المسطحة خاصة سقوف الأروقة دون اللجوء الى العوارض، ايضا استعملت في حمل القباب، وكداعم للجدار.

ولتشكيل العقود يجهز قوس من مجموعة عصي النخيل الخضراء (الغير يابسة) يعرف بمنطقة "وادي بوغرو"، يربط على طرفي الجدار والدعامة بحيث يستند على قطعتي خشب ثم يبنى العقد فوق هذا القوس بوضع مجموعة من الحجارة الهشة الصغيرة الحجم والتبشمت كمادة لاحمة وبعد أن يجف ينزع هذا القوس ليستعمل في مكان آخر³.

اما الساكف أو العتب هو ذلك العنصر الانشائي الذي يعبر فتحة الباب أو النافذة ليحمل الأحمال على الحوائط فوقه، والساكف يكون أفقيا يقوم مقام العقد في نقل الأثقال، ويشكل الساكف عادة من مادة تتحمل الشد مثل الخشب، وأحيانا من الحجر. والساكف المستخدم بالعمارة الريغية أغلبها مع مستوى الحائط الرأسي، ونادرا ما تكون بارزة عنه.

¹ الشافعي فريد، العمارة العربية في مصر الاسلامية، ج1، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ص201، 202

² أنظر Bourouiba (R) , Apport de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique. OPU ,Alger,1986,p128

³ هذه التقنية مستقاة من بنائين محليين بالمنطقة

ويعتبر الساكف الخشبي هو الأكثر انتشارا تستعمل فيه عارضة أو أكثر من خشب النخيل ، حيث يوضع جدذع النخيل أفقيا بين طرفي الفتحة ليستكمل البناء فوقه ، ويكون من قطعة واحدة أو أكثر و بسمك الحائط¹.

6-أسلوب بناء الأعمدة و الدعامات

العمود في العمارة الاسلامية عنصر انشائي شاقولي ، داعم لسقف أو جدار أو عقد ، ويراد منه نقل أحمال العناصر الأفقية في التسقيف بحسب الحلول المعمارية الى القواعد والأساسات التي تنقلها الى الأرض². والقصد منه الاستفادة من المساحات الحرة التي توظف كفضاءات معمارية. واستعمالها قليل في العمارة للمنطقة المدروسة ، وهي اعمدة بسيطة شكلا وانشاء ، وحسب المواد المستعملة .

بعد حفر الأساس تربط مجموعة من القطع الخشبية بشكل عمودي ثم يسكب بداخلها خليط من الحجارة و التباشمت ويترك ليحجف و بعدها تنزع هذه الأخشاب وتلبس بالملاط من الجبس باستعمال لوحة خشبية أو راحة اليد .

والملاحظ هو كثرة استعمال الحجارة الكلسية في الأماكن الحساسة للمبنى كالباب و العقود و الدعامات، وذلك لقوتها ومقاومتها الشديدة للعوامل الطبيعية، كما انها تتميز بالبساطة وقلة الارتفاع وبدون تيجان وتكون قاعدتها من الحجارة الكبيرة او من التمشنت، تعلوها عارضة أفقية (كمره) لجمع قوى الثقل المنتشرة فوق العمود مباشرة.

وتستعمل الأعمدة الخشبية لحمل العقود. ولوحظت هذه الطريقة في قصور وادي ريغ فقد تكون ملتصقة بالجدار ، و احيانا تكون منغمسة فيه ومكسوة بالتمشنت بحيث تبدو كجزء منه.

¹ قبالة مبارك ، المرجع السابق ، ص130

² نوبي محمد حسن ، نظريات العمارة، مطبعة الاوفست الحديثة ، اسويط ، المرجع السابق ، ص169

7-الفتحات: [انظر اللوحة28]

الفتحات هي فراغات تخصص في الجدران للأبواب والنوافذ ،أو تترك حرة . كما يمكن ان تكون في الأسقف للتهوية والإضاءة. وتعتبر الأبواب والنوافذ عناصر مكاملة للجدران حيث تسمح للقيام بأدوارها كالإنارة والتهوية والتنقل...¹ مثل:

الأبواب المخصصة للدخول والخروج منها وإليها، تتميز بقلعة الارتفاع في المناطق المدروسة بمتوسط 1.60م، وهي مصنوعة من ألواح الخشب المستخرج من جذوع النخيل مستعملين صفائح حديدية مثبتة بالمسامير لشدة ألواح الباب.

وأغلب الابواب المنتشرة في وادي ريغ ذات مصراع واحد ، تكون مثبتة على محاور رأسية ، على الأطراف تدور عليها ، اذ يكون الجزء العلوي من المحور غائرا في الجدار أو الساكف أما الجزء السفلي يكون غائرا في الارض التي يكون بها حاجزا من خشبة أفقية او من الجير ، ويصنع المحور من خشبة اسطوانية الشكل عند الحافتين حتى تسهل من عملية دوران حر لمصراع الباب .

أما النوافذ المتميزة بالقلعة في العمارة الصحراوية بوادي ريغ كغيرها من الفتحات والتضييق فيها وتقع في المستوى العلوي من الجدران، مع انعدام وجود نوافذ نحو الخارج في الطابق الأرضي ،أما أشكالها فمنها المربع والمستطيل والقليل منها تعلوها عقود نصف دائرية.

والنوع الآخر من الفتحات يعرف بالمدخنة ، وهي عنصر معماري ضروري بالمطبخ ، الغرض منه هو تسريب الدخان خارج المنزل، حيث تترك فتحة في السقف أو بالجدار بإحدى زوايا البيت ، إما يتم بناء المدخنة على هيئة جدار مائل متسع من الأسفل ليضيق تدريجيا نحو الأعلى ، أو تبقى الفتحة دون بناء.

Voisin (A,R) , op , cit, p167

¹ أنظر

ثالثا : المواد والعناصر الزخرفية

كان الإنسان يهتم بمأواه ويزخرفه بعناصر مختلفة وبقي مرافقا له عبر العصور حتى إن اختلفت وسائله حتى يتفادى غضب الطبيعة ، ويضفي عليه نوعا من الجمال للإحساس بالراحة¹.

احتل المسلمون الريادية في زخرفة منشآتهم العمرانية بزخارف راقية ، فجاءت معبرة عن بيئته وحياته الاجتماعية، كما أطلق العنان لمخيلته فأبدع وابتكر تاركا بصماته على أغلب منجزاته². واتجه الفنان المسلم نحو التجريد من طبيعتها الأصلية فتفوق فيها، مما جعل فن الزخرفة من أهم الفنون الإسلامية و أرقاها حتى أصبح ينسب إليها³.

وبالرغم من كثرة استعمال العناصر الزخرفية في العمارة الإسلامية لدرجة أنها أصبحت تشكل تحفة في حد ذاتها ، كالجامع الأموي بدمشق ، قبة الصخرة ، جامع قرطبة..... إلا أن ما يميز العمارة في قصور الصحراء بغض النظر عن هندستها ، هو افتقارها إلى العناصر الزخرفية ، كما تكاد تخلو من ميزات معظم المنشآت الإسلامية كالانسجام والتناسق بين أجزائها والرشاقة في تصميم عناصرها ، إذا اقتصر وجودها على المنشآت الدينية وبشكل محتشم ، وربما مرد ذلك إلى بساطة الإنسان بالصحراء والتكشف في الحياة لقسوة الطبيعة الصحراوية وشدة تمسكه بالدين الإسلامي من جهة أخرى ، وللتقرب أكثر من هذا الجانب لا بد من معرفة أهم مواد البناء والعناصر الزخرفية المستعملة في هذه الزخارف .

¹ مرزوق محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، ص71

² علي حملاوي ، المرجع السابق ، ص304

³ الرفاعي انور ، الإسلام في حضارته ونظمه ، ط2 ، دمشق ، 1986 ، ص340

1- مواد الزخرفة

استعملت في زخرفة عمائر قصور وادي ريغ خاصة الدينية منها مواد مختلفة حسب
الإمكانيات المتوفرة وأهمية المبنى تمثلت هذه المواد في كل من الجص، الأجر، الألوان، الخشب،
الحديد

1-1- الجص

إن الجص من أكثر المواد الزخرفية استعمالا في الفترة الإسلامية في مختلف مراحلها،
فإستخدام الجص لتعبير الفنان عن أشجانه، فكان استعماله منتشرا بالمشرق الإسلامي ، كما
عرف بالمغرب الإسلامي حيث نقله الوافدون اليه من المشرق كبقية المؤشرات الأخرى مع
ابتكار عناصر جديدة. وربما يكمن السر في كثرة استعماله إلى سهولة تحضيره هذه المادة
والنقش عليها، وقد أشار ابن خلدون إلى استعمالها وتقنية زخرفتها بقوله¹: " ... ومن صناعة
البناء ما يرجع إلى التتميق والتزيين ، كما يصنع من فوق الحيطان الإشكال الجسمية من الجص
بجمر بالماء تم يرجع حسدا وفيه بقية البلبل فيشكل على التناسب تجزيئا بمثاقب الحديد إلى أن
يبقى له رونق وراء...."

فبعدها يتم خلط الجص بالماء ، يوضع الخليط على الجدران على شكل طبقة سمكها
بعض السنتمترات على المساحة المراد الزخرفة عليها ، هذا السمك المرتبط بنوعية العمل
المطلوب، وهو في الغالب من ثلاثة إلى أربعة سنتمترات ، أما الأسقف حتى ثمانية عشر
سنتمترات سمك ، بعدها تبدأ عملية النقش بواسطة أزاميل مختلفة تبعا لطريقة الحفر المائل أو
الغائر وحجم العنصر الزخرفي.استعمل في تلبيس الجدران والمآذن وزخرفة القبة الموجودة امام
محراب المسجد العتيق بتقرت

¹ ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج1 ، المصدر السابق ، ص512

1-2- الزليج والرخام [انظر الشكل 1]

اسعمل الزليج بالجامع العتيق بتقرت ، زين به المحراب و جدار القبلة، اما الرخام صنعت منه سواري وتيجان محراب جامع تقرت ، ونقشت الكتابة التذكارية بنفس الجامع لوحة تذكارية من الرخام

1-3- مواد الألوان

هناك استعمالات مختلفة الألوان في العمل الفني ، منها استعمال اللون لذاته أي لقيمة الجمالية الخاصة وهناك استخدام اللون استخداما رمزيا ، كما استعمل في بعض الديانات كما يستعمل اللون لمحاكاة النموذج وإبراز طبيعته وحجمه في الحيز المكاني¹ واستعمال الألوان في الزخرفة قديم حيث اكتشفت رسومات بالألوان في الكهوف التي سكنها الإنسان منذ العصر الحجري الحديثة فمذ العصور العابرة ، عرف الإنسان طريقة تخمير الألوان لتزيين الأقمشة والفخار .

فاستعمل الألوان في الفن الإسلامي يؤدي وظيفة جمالية أساسا وتستعمل الألوان الزرقاء والخضراء و الذهبية بكثرة إلى جانب مساحات محدودة من الألوان الحمراء والصفراء والبنية ، واللون الأخضر والأزرق ألوان السماء و الماء والسهل ، وهي ألوان باردة ، كما أنها ألوان الفضاء تسلب الأشياء أجسامها و تعطي إحساسا بلانهاية ، أما لون الذهب فقد استعمل بسخاء في الفن الإسلامي وهو لون سلب الأشياء أجسامها ، لون له بريق سحري ، ويلاحظ أن اللون الذهبي ليس لونا بالمعنى الصحيح لأنه لا يشاهد في الطبيعة.

وقد استعملت هذه الألوان في كل من بيت الصلاة بالمسجد الجامع بتقرت وفي أسقف بعض البيوت على شكل أشرطة.

ويتم تحضير هذه الألوان بطريقة تقليدية بحيث تخلط الألوان التي يتم جلبها من تونس على شكل مسحوق بالماء بدرجات متفاوتة لتحصل على الألوان المطلوبة.

1-4- الخشب:

مادة الخشب من المواد النادرة بالمنطقة ، انحصر استعماله لصناعة الأبواب ومنابر الجوامع العتيقة التي تحتوي على زخارف هندسية بسيطة ، شكلت عن طريق الحفر الغائر والحز ، كما زخرفت الابواب بواسطة المسامير لتشكيل عناصر زخرفيه هندسية .
وهناك تقنية التجميع والتعشيق للقطع الخشبية ، وهذه التقنية التي استعملت في الفن الإسلامي لصناعة المنابر والأبواب والنوافذ ، وقد وجدت هذه التقنية بمنبر المسجد العتيق بتقرت .

1-5- الحديد :

استعملت مادة الحديد على شكل عناصر زخرفية مثل ما نجده بأبواب المسجد الجامع بتقرت و نوافذ بعض بيوت الخواص ، مثل نوافذ بيوت قصور مدينة الجزائر .

2-العناصر الزخرفية :

ان الدين الاسلامي يدعونا الى التأمل في مخلوقات الله ، بهدف التفكير والتدبير والاحساس بعظمة الخالق،ومن هذه الفكرة انطلق الفنان المسلم متأملا الطبيعة من حوله بكل ما فيها من جبال وأنهار وبحار واشجار وحيوانات ، فأحس بالجمال والعظمة وأحس بقدره الله ، فظهر فنه معبرا عن كل تلك الاحاسيس والافكار المختلفة ، واصبح الفن الاسلامي غنيا ومتنوعا وجميلا، لأنه استخدم الطبيعة والعقل معا ، كما استغل الكتابة العربية أيضا بالنسق نفسه بل وركب هذه العناصر وزواج بينها في كثير من الموضوعات، فاستطاع أن يصيغ فنه في عدة عناصر² .

¹ مرزوق محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني ، المرجع السابق ، ص105

² الشراقوي داليا احمد فؤاد ، الزخارف الإسلامية والاستفادة منها تطبيقات زخرفيه معاصرة ، رسالة ماجستير في الفنون التطبيقية ، جامعة حلوان ، 2000، ص02

2-1 العناصر الهندسية [انظر اللوحة 18، 19، 20. الشكل 3]

عرفت في الفنون السابقة على الإسلام غير أن وجودها في الفن الإسلامي اكسبها أهمية وشخصية فريدة لا نظير لها في باقي الحضارات¹ ، فكانت أكثر انتشارا في مصر وسوريا ، وأصبحت في بعض الأحيان العنصر الرئيسي الذي يغطي مساحات كبيرة². والتي يمكن تكوينها من العلاقات الخطية و الأشكال الدائرية و المربعة ، و المستطيلة و المعينة ، فاستعمال الإنسان للعناصر الهندسية ظهر في جميع الحضارات دون استثناء ، ولاشك أن اهتمام الإنسان بالزخارف الهندسية مرده لسببين هما نزوع فطري نحو التجريد و التوجيه الذي تفرضه المادة الخامة و الأداة أثناء عملية الإنتاج³. لتأخذ هذه الزخارف الهندسية في ظل الحضارة الإسلامية أهمية خاصة و شخصية فريدة لا تميز لها في أي حضارة من الحضارات السابقة .

ونظرا لتنوع الزخارف الهندسية في الفن الإسلامي فقد قسمها الأستاذ صالح يوسف بن قرية⁴ إلى قسمين هما :

1- الزخارف الهندسية البسيطة كالمثلثات والمربعات والمعينات والأشكال الخماسية

والسداسية والدوائر وأنصافها والخطوط الحلزونية والجدائل.

2- الزخارف الهندسية المركبة ، كالأطباق النجمية .

وقد تمثلت العناصر الهندسية في الجامع و المساجد بالأشكال المعهودة ، ولكن الفنان

استخدمها بحيث يتمكن من إيجاد أشكال أخرى متنوعة المتمثلة فيما يلي: .

- الخط : [انظر اللوحة 20]

¹ صالح يوسف بن قرية، من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الاسلامية، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، 2012، ص257

² الشرقاوي داليا أحمد فؤاد، المرجع السابق ، ص12

³ الألفي ابوصالح، الفن الاسلامي أصوله وفلسفته ومدارسه ، دار المعارف ، مصر 1969 ، ص112

⁴ من قضايا التاريخ والآثار المرجع السابق ، ص257

- استعمل الخط المستقيم و المنحني و المنكسر و المتقاطع والمتوازي ، هذه الخطوط التي تشكل أطرا بداخلها زخارف هندسية أو نباتية مختلفة .

- المثلث والمربع : [انظر اللوحة 22]

- هما من بين الأشكال الهندسية التي اتخذها المزهرف كأطر للزخارف الرئيسية سواء كانت هندسية أو نباتية خاصة كالأزهار ، ويظهر هذان العنصران بشكل واضح في زخرفة قبة محراب المسجد الجامع بتقرت ، و التي يحيط بها شريط من المربعات المتقاطعة فيما بينها كأساس لتكوين ما يعرف بالأطباق النجمية ، كما احتوت بعض المربعات على زهرات من ستة رؤوس تزين الزخرفة الجصية بمسجد تقرت، اما الزهرات ذات الثمانية رؤوس تزين القبة الموجودة امام محراب جامع تقرت.

- المستطيل : [انظر الصورة رقم 35]

- وجد المستطيل في معظم المواضع الزخرفية ، يحتوي بداخله على عناصر هندسية على شكل خطوط متقاطعة أو متوازية وعناصر نباتية عبارة عن أزهار مفصصة زخرفت بها قبة المحراب المسجد العتيق بتقرت و العقود المحيطة به .

- المعين : [انظر اللوحة 15]

- لقد بلغت الزخرفة الهندسية أوج ازدهارها في عهد بني زيان و بني مرين لاعتبارها عنصر أساسيا في تزيين مآذهم¹ ، فاستعملت المعينات بكثرة على مختلف أحجامها ، سواء على الجص بقبة محراب الجامع العتيق فوجد بها شريط من المعينات المترابطة تتناوب فيما بين البارزة و الغائرة ، مما يسع للضوء و الظل أن يلعبا دورهما في إضفاء نوع من الزخرفة .

- الدائرة : [أنظر اللوحة 15]

¹ عزوق عبد الكريم ، تطور المآذن في المغرب الأوسط مع بداية دولة بني حماد حتى نهاية العصر العثماني ، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية ، جامعة الإسكندرية ، مصر ، 1991 ، ص 183

- تعتبر من العناصر الكثيرة الاستعمال في الفن الإسلامي فاستخدمت الدائرة في وضعيات مختلفة :

- ✓ دوائر أحادية أو مزدوجة خالية من أي زخرفة في المحراب بالجامع.
- ✓ دوائر متداخلة فيما بينها وبأحجام متفاوتة لتشكل سلسلة من الدوائر، استعملت في زخرفة قبة المحراب وقاعدتها بالإضافة إلى العقود المحاطة بها.
- ✓ دوائر تتضمن عناصر نباتية أو عناصر هندسية بزخرفة الجهة اليمنى من جدار القبلة وقبة المحراب

2-2 العناصر النباتية [أنظر اللوحة 18، 19، 20، 22. الشكل 1 و 2]

تعتبر من ابرز خصائص الزخارف الاسلامية التي وجدت عناية خاصة من الفنان في العصر الاسلامي ، وهي من أوضح المظاهر التي تبين ابتعاد الفنان المسلم عن محاكاة الطبيعة، ونقلها نقلا حرفيا ، واتسمت بالجودة والتنوع ، وهذا النوع من الزخارف وجد على جميع انواع الفنون التطبيقية ، والعمائر الدينية والمدنية¹.

مصدرها فروع النباتات وأوراقها وأزهارها ، وقد استفاد الفنان من ظاهرة التنوع والنمو والتفرع للنباتات بأشكالها المختلفة ، ومن انواع النباتات التي رسمت في الفن الاسلامي زهرة القرنفل ، البازلاء ، سعف النخيل ، وورق العنب ، وقد اعتمد الفنان على التكرار والتقابل والتناظر في وضع وحداته الزخرفية للحصول على تكوينات لها¹ ، وأهم أنواع النباتات المستعملة في الفن بوادي ريغ نذكر مايلي:

أ- الأزهار:

استعملت الأزهار بمختلف الأشكال والأحجام، سواء طليقة أو بداخل أشكال هندسية وهي على عدة أنواع نذكر:

¹ صالح يوسف بن قرية، من قضايا التاريخ والآثار... المرجع السابق، ص 255

زهرة ذات أربع فصوص ضمن الزخرفة الجصية بجامع تقرت

-زهرة ذات خمسة فصوص تزين زليج جامع تقرت

-زهرة ذات ثمانية فصوص ضمن زخرفة قبة المحراب و القبة الموجودة امام محراب جامع

تقرت"

- زهرة مركبة تزين منبر الجامع بتقرت و القبة الموجودة امام محراب جامع تقرت.

ب -الأغصان:

تخرج الأغصان للتشابك فيما بينها فمنها من هي على شكل تفرعات بسيطة كالأغصان التي تخرج من كيزان الصنوبر بالمسجد العتيق ومنها المعقدة التي تنطلق منها أوراق مختلفة أو أزهار. مثل الغصن الحلزوني الطرفين يزين تاجي محراب مسجد تقرت، والغصن الملتوي يزين الزليج والقبة الموجودة امام المحراب والزخرفة الجصية بالمسجد العتيق بتقرت ومنبره.

ج -الأوراق: [انظر اللوحة 18]

إختلفت الأوراق بين البسيطة والمفصصة الحواف، ذات وضعيات مختلفة حرة أو مرتبطة بأغصان، ومن أهم الأوراق المميزة للزخرفة النباتية ورقة العنب التي تزين تاج العمودين الموجودين على جانبي محراب المسجد

في حين زخرف منبر المسجد الجامع بمجموعة من الأوراق المختلفة البسيطة والمفصصة بحيث تتخللها مجموعة من الأزهار و الورود المتشابكة تزين قبة محراب مسجد تقرت.

2-3العناصر الكتابية: [أنظر اللوحة 11،18،20. الشكل 6]

من الموضوعات الهامة في الحضارة العربية الاسلامية ، الكتابات الاثرية ، بمختلف انواعها التي تشكل جزءا بارزا وعنصرا اساسيا في تراثنا المادي الاثري، الذي تزخر به بلاد العالم الاسلامي لينتشر الخط العربي كوسيلة للتدوين والتسجيل مصاحبا انتشار الاسلام والثقافة

¹ الشرقاوي داليا احمد فؤاد، المرجع السابق، ص40

العربية ، فاعتنى المسلمون بالكتابة كمظهر من مظاهر التمدن والتحضر ، فخلدوا بالكتابة
 مجادهم وتراثهم الحضاري ، في المساجد والاضرحة والقصور¹...

ومما زاد في ذلك جماليات الخط العربي والذوق الفني للعمارة الاسلامية، بحيث أفرغ الفنان
 المسلم طاقته الإبداعية فيه واتخذ منه مادة للزخرفة مستغلا إمكانات الحرف العربي من رشاقة
 انسياب لعمل لوحات غاية في الجمال ، والتي تتألف من الخط الكوفي والنسخي ، المستمدة
 اغلبها من سور القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة أو أسماء الله الحسنى ، هذه اللوحات
 التي تحمل إلى جانب جمال المظهر ومتعة العين سمو المعنى وروعة الحكمة، وقد ركز الفنان المسلم
 على هذا النوع من الزخرفة في العمائر الدينية خاصة ، حتى تزيد من المكان قدسية وأكثر
 خشوعا للمصلين. إذ تبدو العناصر الكتابية منجزة على الجص أو بالألوان أو محفورة على
 خشب المنبر¹.

فالمسجد العتيق تقرت المكان الوحيد الذي يحتوي عبارات كتابية كعنصر زخرفي، و تقع
 على واجهة المنبر وجانبه بالمسجد الكبير يتقرت ، وكتبت حروفه بالألوان المائية والنقش الغائر
 والبارز على الخشب ، وسطحها يبدو متموجا باتجاه العرض والجزء الاوسط أكثر ارتفاعا، حاملة
 العبارات التالية :

- ✓ بسم الله الرحمن الرحيم .وصلى الله على سيدنا محمد
- ✓ جدد هذا المنبر الشيخ الذي اسمه ابراهيم بالجود قد أثنا "كذا" عليه كثير الناس
 في كل موطن وهو ابن جلاب فبالفضل اجلبنا
- ✓ وجاد رضي عن طيبة النفس مخلصا قد اختار ما يبقى "كذا" على دنية
 "كذا" تفنا
- ✓ بني مسجد ا لله ذو الكرم الاسنى ورام به يوم الجزى منتهى الحسنى

¹ صالح يوسف بن قرية، من قضايا التاريخ والآثار... المرجع السابق، ص 296، 297

- ✓ فتم بناء بعون الله في آخر صفر سنة 1219² ميرس بالرمز قد تفهم المعنى
- اما الكتابة الثانية لجامع تقرت مثبتة في احد جدران الجامع ، بسبعة اسطر داخل مجموعة
- أطر ، وهي منقوشة على لوحة من الرخام ، تحمل العبارات التالية:
- ✓ بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
- ✓ كمل بناء المسجد الاعظم بحول الله
- ✓ وحسن عونه على يد من أسس بناء ه بتقوى
- ✓ من الله ورضوان الامير الاسعد
- ✓ الاهنى الارشد قاصدا به وجه الله الاكرم
- ✓ الشيخ ابراهيم ابن المرحوم احمد بن محمد بن
- ✓ جلاب سنة 1220³ عشرين ومايتين والف وبالله التوفيق.

4-العناصر المعمارية

ان الفنان المحلي ، ورغم بعده عن أهم المراكز الحضارية التي تعتبر مصدرا يستمد ويستلهم منه مقوماته ، فانه ، لم يغفل عن زخرفة مبانيه ، باستعمال عناصر معمارية ن تقلل من جمود منشآته وتضفي عليها نوع من الحركية ، والجمال .

تنوعت العناصر المعمارية التي دخلت في زخرفة العمارة الإسلامية وتعددت أماكن تواجدها ، فمن بين العناصر المعمارية التي وجدت بمنشآت قصور وادي ريغ وهي :

4-1-الشرفات المسننة : [انظراللوحة 21]

¹ أنظر Bourouiba (R) ,les inscriptions commémoratives des mosquées d'Algérie,Alger,1984,pp325

² سنة 1219 هـ يوافق 1804 م

³ سنة 1220 هـ الموافق ل 1805 م

ان الشرفات اضافة الى كونها وسيلة من وسائل الحماية ، الا انها تعد ايضا عنصرا زخرفيا يضيفي على المبنى رونقا وجمالا . وقد انتقلت الشرفات من بنوعيتها المائل والمستقيم من العمارة الساسانية الى العمارة الاسلامية منذ وقت مبكر¹ .
وقد زودت الواجهة الامامية الرئيسية للمسجد الجامع بتقرت بالشرفات المسننة التي ، وفي أعلى جوسق مئذنته .

4-2- العقود الصماء : [أنظر اللوحة 21]

تعتبر العقود الصماء من العناصر المعمارية الزخرفية التي استعملها الفنان المسلم في زخرفة الواجهات خاصة المآذن المغربية² . فمئذنة المسجد العتيق ، مزينة واجهتها العليا ثلاثة عقود صماء ، كما زخرف منبر المسجد العتيق في أحد أجزائه بعقود تعرف بالعقود ذات التليات .

4-3- الحنايا : [انظر اللوحة 28]

اهتم الفنان المسلم بعنصر التجويفات اهتماما بالغا ، فازدانت جدران مبانيه بكوات مختلفة الاشكال ومحلاة من الداخل بزخارف أنيقة ورائعة ، وكان استعمال الحنايات في العمائر الاسلامية يهدف الى تحقيق غرضين اساسيين ، الى جانب وظيفتها كمكان يوضع به وسائل الانارة ، فهي من جهة تخفف من ثقل البناء ، وبواسطتها يتم توزيعه عبر كافة اجزاء الجدار ، ومن جانب آخر تعتبر عنصرا زخرفيا تقطع الملل الذي يحس به الناظر من جراء رؤيته الى جدران ممتدة وعلى مسافة طويلة³ .

استعملت الحنايا في كل جدران غرف البيوت وبجدران بيوت الصلاة ، لكل المساجد ، حيث كانت تستغل في وضع وسائل الإنارة و المصاحف⁴ .

¹ حملاوي علي ، نماذج من قصور الاغواط المرجع السابق ، ص ص 319-322

² بن قرية صالح ، المئذنة الأندلسية في العصور الوسطى ، الجزائر ، 1986 ، ص 124.

³ حملاوي علي ، نماذج من قصور الاغواط المرجع السابق ، ص 319

⁴ مرزوق محمد عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 73

أما القباب الكبرى للمسجد الجامع ، خاصة قبة المحراب ، فإنها استعملت كنقطة تحول من القاعدة إلى الشكل الدائري ، ومزخرفة جصية غاية في الإتقان.

5-العناصرالرمزية :

5-1-الهلال:

يعتبر الهلال عنصرا رمزيا أبدع الفنان في رسمه ونقشه بأشكال مختلفة ، ليرتبط الهلال بالمسلمين ارتباطا كبيرا لكونه كان ومازال من الرموز المقدسة لدى المسلمين ، حيث ارتبط بالحساب القمري وفي تحديد موسم الحج ، وبداية ونهاية شهر رمضان فيقول سبحانه وتعالى :
" يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج " صدق الله العظيم¹ .

والهلال من العناصر الزخرفية التي كثر استعمالها في الفترة العثمانية فكان بمثابة رمزا للقوة والسلطة لذلك اتخذ كشعار رسمي لهم رسم على راياتهم الحربية ، ومنها انتشر الى الدول التي كانت تابعة كالجزائر ليظهر على فنونهم وعمائرهم ، فنقش على الأبواب واطر المحارب.....وغيره².

وقد استعمل الهلال بالجامع بشكل محتشم فوجد يزين تاج العمودين الموجودين على جانبي المحراب وبأعلى الحيزان الصنوبر المنقوشة في الجهة اليمنى لجدار القبلة .

5-2-النجم :

مرتبطة بعناصر زخرفية أخرى ، فوجد النجم ذو الأربعة رؤوس والنجم ذو الخمس رؤوس ، هذا الأخير الذي كثر استعماله في العمائر العثمانية ، فالنجم ذو الخمسة رؤوس عنصرا رمزيا قبل أن يكون عنصرا هندسيا ، فهو شعار المسلمين يرمز لنصرة الدين الإسلامي ، كما انه

¹ الآية 189 من سورة البقرة

² عقاب محمد الطيب ، قصور ... ، المرجع السابق ، ص182

علامة من علامات الاهتداء ليلا لسكان الصحراء ، وكذا يرمز إلى الاتجاهات الاربعة للكرة الأرضية المتمثلة في الجنوب والشمال والشرق والغرب زيادة عن المركز¹.

وقد استعملت النجم ذو اربعة رؤوس وخمسة وستة رؤوس وثمانية لتزيين القبّة الموجودة امام محراب جامع تقرت اما زليج جامع تقرت مزين بنجم ذو ثمانية رؤوس .

رابعا-وضعية قصور وادي ريغ في الوقت الراهن[انظر اللوحة 30]

من خلال معاينتنا الميدانية لقصور اقليم وادي ريغ لاحظنا وضعيتها المتردية التي تعانيها من جراء عوامل بشرية وطبيعية التي تهدد استمراريتها ، فهي تواجه مشاكل وأخطار قد تمحي نهائيا طابعها وطرزها المعماري القديم، والتي سنحاول فيما يلي:

-الاطار البشرية

من بين أهم الأخطار والأضرار البشرية التي تتعرض لها المنشآت المعمارية لقصور اقليم وادي ريغ ما يلي:

مشكلة التحديث والتجديد للمباني العتيقة بازالتها، وتبنى على انقاضها منازل حديثة عصرية بمواد مغايرة من خرسانة واسمنت، وهذا ما يؤدي إلى البعد عن النمط التقليدي، مع إستخدام وسائل معيشية حديثة في المباني التقليدية بشكل مشوه لها مثل المبردات والهواتف السلوكية وأعمدة الكهرباء، كما أن مياه الشرب ومياه الصرف تمثل عاملا مدمرا لهذه المباني إذا لم يتم السيطرة عليها، فإستخدامات الوسائل الحديثة يؤدي في الغالب إلى تغيير في التخطيط الداخلي للمباني والإستغناء عن بعض العناصر مثل فتحات التهوية في المبنى، وهناك مشاكل ناتجة عن إستخدام السيارات ووسائل المواصلات الحديثة، وما تمثله من عبء على شوارع وحارات القصور العتيقة، والتي بالتأكيد لم تخطط

لتناسب

¹ حملاوي علي ، نماذج من قصور الاغواط ، المرجع السابق ، ص316

واحتياجات المرور الحديثة، إضافة إلى ما تحدّته هذه الوسائل من إهتزازت تؤثر على المباني، وما تبعث به من أدخنة تحمل جزيئات الهيدروكربونات المؤكسدة.

أصبح التطور وما نتج عنه من أساليب معيشية جديدة سببا في تغير أنماط الحياة التقليدية، مما أدى إلى فقدان كثير من عناصر المنشآت القديمة لوظيفتها التي كانت تقوم بها، كما هو الحال بالنسبة للكوات والسقيفة على سبيل المثال، وهناك مشاكل أخرى مترتبة على حب الأخذ بالوسائل المعيشية الحديثة، مثل مغادرة الكثير من السكان لسكناتهم التقليدية لأن تلبية الرغبات بشكل كامل لا تتواجد إلا بخارجها، حيث الإمتداد العمراني الجديد واغراءات المباني الحديثة وتوفر وسائل الراحة.

وبعيدا عن مثل هذه الأخطار هناك جوانب أخرى أدت إلى التأثير السلبي على قصور منها فقدان الوعي الأثري لدى الأفراد أو لدى بعض المسؤولين، أو بمعنى آخر إنعدام أو ضعف الإحساس بقيمة وأهمية التراث العمراني، فنتيجة الزيادة السكانية الكبيرة والتي لا تتوفر الإمكانيات المادية لإسكانها بالأحياء الجديدة خارج المراكز العمرانية التاريخية نجم عنه توجه السكان إلى تهدم المنازل الأثرية، وبناء منازل عصرية تتوافق والرغبة في التحديث أو التوسع بإعتداء الأفراد على المباني وتغيير معالمها، وهي سلوكات هدامة غير واعية لبعض المواطنين مشوهة للوجه الأصيل للواجهة العمرانية.

تم إستعمال العديد من منازل القصور كأماكن لرمي النفايات، وتسبب ذلك في حرقها

وحرقت أسقفها المشكلة من جذوع وجريد النخل، مما تسبب في سقوط العديد من المنازل، ومنها ما صمد ولم ينهار وبقي شاهدا على هذه التدخلات.

عدم توجيه الرعاية اللازمة للقصور بغياب مشاريع صيانة وترميم تساعد في إعادة إحياء هذا الموروث الثقافي وبعث الحياة به من جديد، واعادة الأدوار الوظيفية لبعض المعالم

العمرانية مثل الرحبات والدكاكين القديمة، وحركية الحارات بإعادة إعمارها بمحتوى بشري يمدّها بالنشاط ويجعلها مقصد القريب وحتى البعيد من الناس والمهتمين بالقصور الصحراوية.

وفضلا عما تعانيه هذه المعالم المعمارية من الاخطار البشرية فهناك اخطار طبيعية

-الاطار الطبيعية

المعروف أن الآثار في المناطق الصحراوية لا تعمر كثيرا نظرا لطبيعة مناخ المنطقة الصحراوي، الذي يعمل على طمسها في ظروف زمنية غير طويلة، فمواد البناء مثل الطوب، المؤن، الحجر المسامي، والأخشاب، وغيرها تقاسي من عوامل التلف المختلفة خاصة الجوية منها، وتتأثر بها بشكل سلمي ومتباين حسب المادة الإنشائية وخصائصها، فعوامل المناخ تؤثر بشكل منفصل أو مشترك مع بعضها البعض في التأثير كليا أو جزئيا على مواد البناء، وتعتبر التغيرات اليومية في درجات الحرارة من أخطر عوامل التلف خاصة على المواد الطينية، حيث أن إرتفاع درجات الحرارة صيفا ونهارا وانخفاضها شتاء وليلا، أدت إلى تمدد وانكماش مواد البناء، الأمر الذي أدى إلى حدوث شروخ وتصدعات في جدران المنازل وضعف المونات، كما أن هذه الإرتفاعات في درجات الحرارة أدت إلى جفاف المواد العضوية لمواد الإنشاء "اللبن، الأخشاب، جذوع وأسعاف النخيل" الأمر الذي أدى إلى تشققها وتفتتها، أما إنخفاض درجات الحرارة أدى إلى تحلل بعض المواد خاصة العضوية.

وكون الأسطح الخارجية للجدران المعرضة لأشعة الشمس المباشرة أكثر قابلية لإمتصاص - وتخزين الطاقة الحرارية العالية، تسبب ذلك في إرتفاع ملحوظ لدرجة حرارتها، وعندما يأتي الليل وينقطع المصدر الحراري ونقصد به الشمس، تنخفض درجة الحرارة وتصبح الطبقات الخارجية أبرد من الداخل كونها تفتقد حرارتها سريعا نتيجة لإتصالها المباشر بالهواء البارد،

ويتضح لنا من ذلك إختلاف الأسطح الخارجية للجدران والعناصر عن الطبقات الداخلية، ونتج عن ذلك إختلال الوحدات المعمارية، وانهميار الترابط بين ملاط الحوائط و الجدران وانفصالها وسقوطها على هيئة قشور وعلى هيئة أجزاء ذات سمك كبير، كما تؤثر مياه الأمطار على الطوب ومواد التكسية الطينية للجدران الخارجية بتشكيل سواقي وقنوات صغيرة عليها، وحفر وحت كميات من الطين إلى أسفل الجدران، كما أن طوب الجدران يتشرب بمياه الأمطار وتنتفخ حبيبات الطين به وتزداد حجما، وتشكل ضغوطا خارجية على الأسطح الخارجية للجدران، وعند فقد المياه بالتبخر تعود هذه الحبيبات إلى حجمها الطبيعي، ومع تكرار الإنتفاخ والإنكماش تصاب الجدران بالشروخ أو الإنبعاج وتتساقط طبقاتها السطحية.

إن تأثير الرياح على المواد الإنشائية بالمنطقة يكبر خاصة عندما تحمل الرياح معها الرمال¹ والأتربة وتزداد سرعتها وشدتها، فهي تعمل على نحر طبقات الطين الموجودة على الجدران، كما تساعد كذلك في كسر بعض العناصر المعمارية أحيانا مثل الأبواب والأعمدة الخشبية والسقائف.

إن وجود قصور وادي ريغ وسط الواحات كان له أثر سلبي على جملة من الآثار والمعالم على مر الزمن، حيث تعتبر المياه المستعملة في الري من أشد عوامل التلف تدميرا للمباني الطينية خاصة، حيث تتسرب المياه من خلال التربة المسامية إلى جدران الطوب وتلتفها، وقد يبدو التلف المترتب على المياه الزراعية في بادئ الأمر طفيفا إلا أن تكراره تؤدي إلى حدوث إنهيارات في المباني.

¹ لمزيد من المعلومات حول الأخطار الطبيعية وتأثيرها على العمران التقليدي والقصور العتيقة راجع

ALKAMA Djamel, **les Villes Sahariennes** -, éditions Karthala et ireman, -le bas Sahara Algérien-, la Ville et le Désert **et les Risques Naturels**2005, p 64-66.

-الحلول

مما لا شك فيه أن المدن التاريخية غنية بالكثير من عناصر التراث المعماري العريق الذي يظهر الوجه الأصيل للحياة العربية والمجتمع الإسلامي، ومراحل تطوره عبر العصور، ويتجسد هذا في الخطط والأزقة والسكك وفي الأسواق والأسوار والبوابات، وفي العمائر والمنشآت الدينية والمدنية خاصة المساجد العتيقة والمنازل التقليدية، وما في هذه العمائر من سجل تاريخي عامر بألوان الثقافات والتقاليد¹، نحس ونحن نتجول في أنحاء هذه المدن وكأننا نعيش هذه الفترة من التاريخ، من ذكريات الأحداث، لذلك وجب علينا التوعية بأهميتها والحفاظ عليها.

وقضية الحفاظ على القصور الصحراوية وصيانتها تحتل مكانا متقدما في سياق قضايا حماية التراث المعماري، لما لهذه القضية من أهمية ومنطقية تنبع من أهمية التراث ذاته، لأنه سجل خالد يحفظ تاريخ الأمم والشعوب و تقدمها، وهو كذلك المعين الذي تستقي منه الأجيال اللاحقة تاريخها وأصالتها وخصوصية هويتها، كما أن الحفاظ على الموروث الثقافي المادي من قصور ومدن تاريخية عتيقة كاملة، أو الحفاظ حتى على مبان متفرقة منها هو فرصة لإشباع غريزة الإنسان الطبيعية عندما يهفو للتطلع إلى الماضي ورؤيته وكشف أسراره وتتبع أخباره، وهذا ما سيجعل من المعالم الأثرية الموجودة بإقليم وادي ريغ مزارات دائمة ينتج عنها صناعة السياحة²، التي تمثل في كثير من البلدان مصدرا أساسيا للدخل والإيرادات المالية الخارجية.

¹ عبد القادر الريحاوي، حول حماية التراث العمراني في المدن العربية" المراكز التاريخية وطرق صيانتها

وتطويرها"، أبحاث من ندوة- المدينة العربية : خصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي"، منظمة المدن العربية، المعهد

العربي لإنماء المدن، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1982، ص530

² تشكل عناصر الجذب السياحي أسس المنتج السياحي، وبدونها لا يكون هناك سياحة، منها عناصر الجذب الطبيعية"مناخ صحراوي، واحات النخيل، الينابيع، مناظر طبيعية خلابة". اما الثقافية "المواقع التاريخية، الأثرية، الثقافية، الثقافية، الصناعات الفنية واليدوية³، وعناصر جذب خاصة مميزة مثل الرحبة أنظر: عثمان محمد غنيم،

وقصور إقليم وادي ريغ تزخر بكثير من هذه المنشآت الأثرية، والتي تحكي فترات زمنية متعاقبة، إضافة إلى طرز ومعالم معمارية وفنية تتميز بأصالتها، فإن نحن زدنا في إهمالها أصابها التلف ثم الإندثار وخسرنا كنزا ثميناً، خصوصاً وأن الإقليم يمر بمحنة كبيرة تتمثل في الأخطار المهددة لبنيانه العمراني المتميز، وإن نحن تعهدناها بالحفظ والصيانة، ونشرنا أهميته بين الناس نكون بذلك قد خدمنا التراث وهو خير لبنة لبناء صرح وحدة الأمة، وللحفاظ على المعالم العمرانية الأثرية ذات القيم التاريخية والجمالية والإقتصادية، وعليه يجب محاربة الأخطار والأضرار البشرية والمناخية السابقة الذكر بطريقة منظمة وعلمية ويمكن إعطاء مجموعة من الحلول التي يمكن أن تخدم كل مهتم بالحفاظ على هذه المعالم:

-توعية السكان بأهمية الموروث الثقافي المادي وتوضيح دورهم في الحفاظ عليه للحد

من التدخلات التي تشهدها المعالم العمرانية ومساهماتهم في حمايتها.

-وضع برنامج للصيانة يسهر عليه مختصين في المجال، واعادة بناء المنازل المنهارة

إنطلاقاً من موادها الإنشائية وبنفس كيفية وطريقة البناء التقليدية، وترميم المباني القديمة المهجورة غير المنهارة، والعمل على تأهيلها وتعميرها من جديد للحفاظ على مكانتها التاريخية و لإعادة تفعيل دورها الاجتماعي والإقتصادي من جديد، والعمل على التعريف بهذه المراكز العمرانية التاريخية وجعلها نقطة جذب في خدمة قطاع السياحة لخلق موارد اقتصادية.

-العمل على إبعاد مسببات حرائق المباني عن طريق تجنب النيران داخلها، وعدم

وضع مواد سهلة الإشتعال بها، وتزويد الأماكن بوسائل إطفاء الحريق، والعمل على تشجير محيط القصور المكشوف، حيث تعمل هذه الأشجار على تقليل سرعة الرياح وأخطارها

بنيتا نبيل سعد، التخطيط السياحي في سبيل تخطيط مكاني شامل ومتكامل، ط 1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع،

عمان، الأردن، 1999، ص. 14

السلبية على المنشآت، فعند إصطدام الرياح بالأشجار يترسب ما تحمله من رمال قبل أن تصل المنشآت.

-محاولة إعادة بناء بعض المعالم المميزة للمناطق المدروسة والتي أختزلت مع الزمن مثل الأبواب الرئيسية لإعطائها طابع تقليدي، واعادة إحياء دور العديد من المعالم العمرانية لتؤدي وظيفتها المنوطة بها، والعمل على التقليل من استخدام السيارات ووسائل المواصلات الحديثة، نظرا لما تمثله من عبء على الشوارع والحارات، وما يتسبب عنها من اهتزازات تؤثر على المباني.

نستنتج ان الفرد و المعماري في وادي ريغ استطاع أن يتعامل مع بيئته إذ أن أساليب وتقنيات البناء والإنشاء في العمارة الصحراوية بصفة عامة تخضع لطبيعة الماد المستعملة و الظروف المناخية بالدرجة الأولى ، فاستغل الإنسان الريغي مواد محلية وشكلها حسب احتياجاته ووفقا لرغبته ووظفها توظيفا محكما فحاجت متقنة ومنسجمة مع الحلة المناخية وروح الحضارة الإسلامية كما أنها كانت رائعة الجمال والإبداع .

ومن مميزاتا أنها جمعت بين البساطة في الإنشاء والاستجابة لاحتياجات الفرد الريغي ، ففقر منشآته من الزخرفة لا تعني سذاجة عمائرها ، وانما تترجم المستوى الثقافي لأهل وادي ريغ والتي تعد رائعة الجمال وهذا ما يتجلى من خلال العناصر المعماري والإنشائية المختلفة، فالتنوع في أسلوب التسقيف كالمسطح والتسقيف بالقباب والأقبية لوحدها كعنصر معماري في يبرهن عن المستوى الثقافي العالي -مراعي المتطلبات المناخية والاجتماعية - وحسه الجمالي التي كلها مستمدة من تعاليم الدين الإسلامي، ودلالاتها على مدى ارتباطهم الوثيق بالحضارة الإسلامية.

نتائج البحث

مكنتنا الدراسة التي قمنا بها حول عمران وادي ريغ تقرت من استخلاص جملة من النتائج نلخصها فيما يلي :

1- تعد المدينة هي احدى ولايات الجنوب الشرقي للجزائر ، يغلب عليها الطابع الرملي مع وجود هضاب حجرية وشطوط وطبقة سطحية من الماء.يسودها المناخ الصحراوي الذي يتميز بالجفاف ، رياحها ذات حرارة شديدة صيفا ، باردة شتاءا ، لذا فالغطاء النباتي قليل جدا ماعدا واحات النخيل.

2-يرجع تاريخ المنطقة الى عصور قديمة ، تعاقبت عليها عدة حضارات منذ ما قبل التاريخ مروراً بالعصور القديمة ، فالعصر الإسلامي ، الى نهاية الحكم العثماني في الجزائر في العصور الحديثة ، اذ ان علاقة المنطقة بالسلطة العثمانية كانت عن طريق بايلك الشرق و التي تجسدت على شكل إتاوات سنوية لا أكثر لذا لم يكن لهم أي أثر في تنظيم و تطوير المنطقة، وتعرضت بعدها للاحتلال الفرنسي ، فعرفت مقاومة محلية ضد الوجود الفرنسي إلى غاية الثورة التحريرية.

3-ارتبط عمران القصر بمجموعة من الشروط الجغرافية ، والاقتصادية ، نظرا لجفاف المنطقة لكن توفر المياه في باطن الأرض ساعد على الاستقرار والقيام بالنشاط الفلاحي ، والتحكم حتى في شكل الشبكة العمرانية وتوسعاتها.

فقد لاحظنا توافقا وتجاذا كبيرين بين توزيع المجاميع السكانية بإقليم وادي ريغ ومصادر المياه مثل الوديان والمنابع والعيون والسهول الخصبة، حيث أنشئت أغلب المدن والقصور

بمحاذاة للوديان أو المناطق الغنية بالمياه الجوفية، مجاورة ومستغلة للأراضي الخصبة في زراعة النخيل وبعض الأشجار المثمرة ، وبذلك وفرت هذه المواقع عاملين أساسيين ساعدا على الحياة و الاستقرار وهما الماء والغذاء، الذين يتم -الماء والغذاء- الحصول

عليهما دون جهد أو ما يحول دون ذلك، فكان لهذين العنصرين الأثر الأكبر في نشأة العمران واستمرار حياة المجتمع ، كما ساعد الاقليم بواحاته واقليمه الشاسع على توفير الرعي والإحتطاب، والمراعي التي تشكل مصدرا رئيسا للثروة الحيوانية من ناحية، ومصدرا أساسيا للإحتطاب وتوفير الوقود ومواد البناء من ناحية أخرى.

4- إستطاع الانسان الريغي أن ينشأ وسط سهوله وعلى ضفاف الأودية والأنهار والمجاري المائية قصورا كبيرة مثل تمرنة ومستاوة وتماسين ،وبعد مرحلة الإنشاء والتعمير عمد الانسان إلى خلق قاعدة إقتصادية مستقرة هي الواحة العنصر المحرك في نمو وازدهار المدن و احياء الأراضي وسقيها، وأنشئت الأسواق وشجعوا الإقتصاد.

5-ارتبطت نشأة قصور وادي ريغ ارتباطا وثيقا بالحركة التجارية التي عرفتها المنطقة إذ كانت منطقة عبور ومحطة للاستراحة والبيع و الشراء ، فكانت ضمن طريق القصور.

6-إن قصور وادي ريغ بصفة عامة توفرت على الشروط التي تسمح بقيام أي تجمع سكاني كما أشار إلى ذلك كل من ابن الربيع وابن خلدون إذ امتازت المنطقة بتوفر كميات معتبرة من المياه الجوفية و بفلاحة أشجار النخيل كمورد اقتصادي جد مهم وحاجز طبيعي ضد تصاعد المياه و هبوب الرياح الرملية. وبأسوار مزودة بأبراج و خندق لحمايتها من أي هجوم.

7-تعتبر قصور وادي ريغ نموذجا مصغرا للمدينة الإسلامية تخطيطا ووظيفة،تجمعت فيها قبائل شكلت عناصره البشرية المختلفة ، فأنشئت المساجد، والزوايا،والحمامات، والأسواق، والمرافق، والأسوار، والخنادق، والقصور، وغيرها من المعالم، ولاحظنا ان القصور إحتوت على جامع واحد يتوسط أحياءها، ليتعرف عليه جميع السكان ويكون قريب من كل الأطراف ، وهذا يعني انها كانت أحادية النواة، تأثرت في إتساعها ونمو عمرانها

بأسوارها، حيث كان لهذه الأخيرة تأثير مباشر في تحديد مساحة المدن وكانت العائق في نموها الأفقي.

8- إن المنشآت الدينية لعمارة القصرين لم تخرج عن الإطار العام للجوامع والمساجد بالمناطق الصحراوية المجاورة ومختلف بقاع العالم الإسلامي بالرغم من بساطتها سواء من حيث التخطيط العام أو الملحقات الأخرى.

9- تميزت عمارة المسكن ببساطتها، حيث وفر لسكانه كل وسائل الراحة دون الخروج عن القوانين الاجتماعية المتعارف عليها والأحكام الدينية لهذه التجمعات والتي تظهر جليا في بيوت الخواص أو العوام، أما معماريا يتكون من مدخل، سقيفة، حوش، سباط، غرفة للضيوف، غرف للنوم بحسب عدد افراد ساكنيه وحالتهم الاجتماعية والتي غالبا ما تفوق الثلاث غرف، ايضا من مكوناته المعمارية المطبخ، المخزن، المحاض، الإسطبل، السلم والسطح ولاحظنا ان اغلب العمائر السكنية تتكون من طابقين.

10- تدل كثرة الأسوار والخنادق والأبراج بشكل كبير على توفير العامل الامني الذي يساعد على الاستقرار والابداع وتنشيط حياة سكان المدن والقصور ودوامها، فكان الهدف من تحويطة المدن بالأسوار الضخمة العالية لضمان حمايتها من هجمات الأعداء ولتوفير الأمن والطمأنينة لسكانها، وبهذا الصدد فإننا نشير إلى أن طبيعة التحصينات وتعددتها بالمنطقة كان متفاوتا بين تجمع سكاني وآخر بحسب أهميته الإستراتيجية، فمنها المحاطة بسور فقط أو بسور وبخندق، وهي دلالة واضحة على أن أهل المنطقة عاشوا في صراع دائم طوال تاريخهم، ولأن قصورها لم تستفيد من التحصين الطبيعي لتموقعها قرب المنخفضات او مجاري المائية والسهول الزراعية، إستغلت في المقابل مياه الوديان في إقامة الخنادق بشكل كبير وملفت لم يغفل الجغرافيون عن ذكره والإشارة إلى تعدده في التجمع السكاني الواحد.

11- كان للبيئة الصحراوية أثرها في تخطيط القصور وتوجيه تقسيماتها العمرانية من شوارعها واستغلال مواد البناء المحلية التي تتناسب مع المناخ ومقاومتها للحرارة شتاءً والبرودة صيفاً.

12- تميز عمراتها بضيق شوارعها والتوائها وتسقيف معظمها وبتلاصق بيوتها، فشوارعها التي تربط بين مختلف أماكن القصر وعناصرها المعمارية وغالبا ما تكون الشوارع واسعة لربط الساحة بالأحياء الأخرى ، ثم يأتي الزقاق ذو الشكل الملتوي والذي يساعد على تكسير توجيه الرياح والنظر عند السير ، فيحقق نوعا من الحشمة ، ثم نصل إلى الطريق المغلق الذي يؤدي إلى سكن واحد المغلق على الخارج والمنفتح على الداخل ، بحيث نجد في المدخل ما يسمى بالسقيفة التي تعتبر الفتحة الوحيدة على الخارج ، لتصل إلى الفناء أو ما يعرف بالحوش ، وهو فضاء لممارسة مختلف النشاطات المنزلية للمرأة بكل حرية وحتى مجال للعب الأطفال ، وتحقيق حركية داخل المنزل ، وتحقيق جانب روحي يتمثل في ارتباط الفرد بالسماء ، وغالبا ما يتم حفر بئر داخل هذا الفناء .

13 - إعتمدت عمارة القصور على تقنيات وعناصر معمارية تتماشى وبساطة الأدوات المستعملة واستجابتها للظروف الطبيعية للمنطقة وإيجاد حلول للمشاكل المعمارية، وقد عممت هذه التقنيات والعناصر الانشائية على قصور وادي ريغ، والتي يمكن أن تكون مرجعا لمهندسي اليوم في دراستهم لهذا النوع من العمائر. احتوت هذه القصور على معطيات معمارية تبين مدى قدرة إنسانها في محاولته لإيجاد الجو المناسب للعيش حيث البرودة صيفا والحرارة شتاءً.

14- كانت أدوات التعمير والبناء محلية أثبتت فاعليتها وتكيفها مع الوسط المناخي الجاف ، وهي الطين والحجارة المتوفرة بكثرة من نوع التشمبت ذات التركيب الجبسي وهي حجارة صلبة غير نفوذة للماء ، يستعمل الجبس لربط الحجارة ، وتبنى الجدران وفقا لطريقة المزج وطريقة آدية وشناوي بسمك لا يقل عن 0.40م ، وهذه التقنية لها وظيفتها وهي منع

تسرب الحرارة أو البرودة نحو الداخل أى أنها تحافظ على الجو داخل المسكن ، ويتم تلبسها من الداخل ومن الخارج ، كما عمل البناء الريغي بإضفاء لمسة فنية لتزيين المنشآت بالأقواس وبعض النقوش للزينة.

15-رغم هشاشة مادة الطين المتوفرة بكثرة واستخدامها في البناء ساعدت على استمرار هذه القصور لمئات السنين، ولعل العامل الوحيد الذي يهدد وجودها هي الأمطار ولكن لقلتها ساهمت بشكل غير مباشر في بقائها، لكن مع تزايد كميات الأمطار في السنوات الأخيرة تعرضت هذه القصور إلى الانهيار ثم التهديم المفاجئ القصر من طرف السلطات المحلية ليهاجر السكان إلى مناطق خارج القصر مما ساعد على الإسراع في خرابها.

16- كانت عملية التسقيف بسيطة تتم باستعمال جذوع النخيل المتوفرة في المنطقة والتغطية بواسطة جريد النخيل والجبس ، وإذا كان السقف يتشكل من قباب أو أدماس فهي تنجز مباشرة على الجدران الأربعة أو معتمدة على قضيب حديدي يشبه حديد السكك ، وتبنى القبة أو الأدماس بحجارة التشمبت الصغيرة لأنها خفيفة الوزن ويتم الربط بينها بواسطة مادة الجبس ، وفي بعض الأحيان تترك فتحات في القبة للتهوية والإنارة ، وهذه التقنية في التسقيف تتلاءم مع طبيعة المنطقة الحارة خاصة الرياح ومن وظائفها : عكس أشعة الشمس ، منع تراكم الرمال على الأسقف ، وتوزيع الهواء الداخلي من وإلى الخارج.

17- وبالرغم من بساطة عمائر قصور وادي ريغ وقلّة زخارفها إلا أن ما وجد من عناصر زخرفية فهي دليل كاف يبرز ثقافة وابداع الفرد الريغي في مجال البناء والزخرفة من عناصر معمارية وزخرفية. خاصة في العمارة الدينية.

18-إذن قصور وادي ريغ بطابعها المعماري القديم ، كانت تمثل بحق مدينة إسلامية صحراوية ، رغم التكنولوجيا البسيطة التي بنيت من خلالها ، إلا أنها راعت شرط أساسي في

ذلك هو تكيف الإنسان مع بيئته الجافة ، وتخطيطها نابع من خصوصيات المنطقة وعاداتها وتقاليدها في إطار المبادئ الإسلامية ، ومواد محلية غير مكلفة ومن إنتاج المنطقة .

19- بالرغم من أهمية دراسة عمارة وعمران هذه القصور التي تمثل ظاهرة مهمة في

عمارة جنوب المغرب الإسلامي إلا أنها لم تلق من الاهتمام والعناية ما يعيد إليها الاعتبار وينفض عنها غبار السنين خاصة بالجنوب الجزائري ، اذ نلاحظ اليوم أن المدينة تعيش حركة عمرانية سريعة غير مدروسة هدمت الأنسجة القديمة للمدينة ، فانعدم الطابع المعماري المميز للمنطقة وأصبح لدينا تجمعات سكانية بدون هوية. لهذا نطلب من المسؤولين والساهرين على هذا القطاع أن يولوا اهتماما لهذه المنشآت والمحافظة عليها ، لأنها إلى جانب دورها السياحي والتي تدر نفعا لاقتصاد بلادنا ، فإنها كذلك تعتبر ذاكرة تاريخنا وحضارتنا .

فهرس

الاعلام والاماكن

أولاً: الأعلام

أ

ابا اسماعيل البصري 70

ابراهيم ابن احمد بن محمد بن جلاب 151

ابن أبي زرع 40

ابن الأزرق 39-112-113

ابن الدين الاغواطي 68

ابن الربيع 38-80-149-180

ابن خلدون 16-31-34-42-43-67-68-70-

71-72-73-180-196-203-205-214

ابن سعيد 16

ابن منظور 33

ابو عبید الله الشيعي 30

أبي العباس الفرسطائي 172-180-183-196

أحمد بن محمد الفاسي 69

أحمد بن يحيى 75

الإدريسي 162

إسماعيل العربي 27

أندلس 17

ب

باهوت 17

برجان 17

البكري 196

ج

جرزان 17

ح

حسان بن النعمان 28

الحسن الوزان 67-150

د

الدرجيني 70

ر

الروم 17

ريغ 17

س

سعد بن أبي وقاص 48-55

سيدي العبد 75

سيدي خالد 59

سيدي راشد 59

ش

الشريف سيدي محمد بن يحيى الإدريسي 32

شملخ 17

ص

صالح باي 150-152

صالح يوسف بن قرية 217

الصقلب 17

ط

الطاهر بن دومة 150

ع

عبد الرحمن بن رستم 30

عبد العزيز شهبي 154

العبد ر 17

العدواني 17-69

عقبة بن نافع 28-29

علي حملاوي 49

عمر بن الخطاب 54

عمر بن العاص 55

عمر بن عبد العزيز 154

العياشي 42-68

غ

غاوية 17

ف

الفضل بن علي بن أحمد بن الحسن بن علي بن مزي 31

فون مالتسان 73

ك

كعب 17

م

الماوردي 39-78

محمد بن يحيى الريغي 69

المعز لدين الله 30

ن

نوح 17

و

وفارس 17

ي

يافث 17

ياقوت الحموي 16

يوسف بن عبد الله من ريعة 31

يونان 17

ثانيا: الاماكن والقبائل

أ

- أثيوبية 26
الأدارة 30
إسبانيا 38
الاشوريين 33
الاطلس الصحراوي 26-23-18
الأغالبة 67-47-30
الأغواط 63
إفريقيا 189-79-59-38
الأكاديين 33
أكيدز 43
أم الطيور 19-18
الإمبراطورية البيزنطية 38
الإمبراطورية الساسانية 38
الامويين 58-47-36
الأندلس 53
الاوراس 27

أولاد جلال 32

اولاد زائدة 74

أولاد موسى 59

ب

بادس 46-31

باعلوش 73

بايلك التيطري 33

بايلك الشرق 33

بجاية 28

بحيرة تماسين 72-22

بحيرة مرجاجة 22

البر الجديد 20

البربر 67-28

برج مليلي 27

بسكرة 185-46- 28-27-20-19

البصرة 190-158-61-55-54

بغداد 190-57-56

بلاد البربر 17

بلاد الجريد 98

بلاد الرافدين 208-189

بلاد السودان 63-62-42

بلاد المغرب 206-160-158-70-42

بلاد المغرب الأوسط 135

بلاد ريغ 17،16

بلاد ما بين النهرين 38

بلدة عمر 19 - 18

بن زينة 74

بنطيوس 46

بنو ريغة 96-70

بنو سليم 102

بنو قرة 98

بني إبراهيم 31

بني جامع 97

بني حبارة 97

بني حلاب 144-74-73-72-67-64-32

بني رمان 31

- بنی زغبه 99
بنی زیان 183
بنی زیری 95
بنی سنجاس 95
بنی غمره 70
بنی مرین 218
بنی مزنی 31
بنی میزاب 138
بنی هلال 97-96
بنی یسود 74
بنی یفرن 95-67-16
بونہ 97
بیت اللہ الحرام 28
البیزنطی 198-36

ت

- تادمايت 136
تاديكالت 136
تافلالت 136-63

72	تالة
136	تامنطيط
144-138	تاهرت
75-68 -19	تبسبست
93	تركي
43	تسابت
-41-31-32-30-23-20-19-18	تقديدين
46-44	
-73-72-69-68-67-66-64-63-59	تقرت
-103-101-86-84-79-78-77-74	
-134-133-129-125-116-115-114	
-142-141-140-139-137-136-135	
-165-162-159-152-150-149-143	
-177-176-174-172-169-168-167	
-203-186-184-183-181-180-178	
-223-221-220-218-216-215-214	
225	
43	تكدارين
142-139-113-130	تلمسان
-67-66-63-59-46-44-31-26-19	تماسين
144- 140-84-79 -78-77-70-69-68	

70-66-59-44-19 تمرنة

70 تمرنيت

70 تملاحت

43 تنبكتو

19 تندلة

136 تندوف

46 تهودة

136-101-45-43 توات

التوارق 133

28 توزر

146-139-135 -97-32-30 تونس

167 -74 تيبسبت

التيطري 139

30 تيهرت

ج

126-19 جامعة

122 جبال المقار

94 جبل راشد

95 جبل عياض

94 جبل كريكرة

141 جبل نفوسة

28 الجريد

100 الجريد التونسي

18 الجريد التونسية

100 الجريد المغربي

141-148-134-99-93-28 الجزائر

140-49-19 الجزائر العاصمة

70-69 الجلالة

141 -20 الجنوب التونسي

160-136-57 الجنوب الجزائري

59 جنوب الصحراء

160 الجنوب القسنطيني

27 الجيتول

ح

29-19 حاسي مسعود

143- 141 الحجاز

الحجيرة 26

الحشاشنة 66

خ

الخوارج 104

د

درعة 137

دمشق 213-210-157-156

الدوسن 31

الدولة الحفصية 31

الدولة الحمادية 31

الدولة الفاطمية 67-30-29 -31-30

ر

رجال الحشان 103

الرواغة 101-70-66

الرومان 206-201-192-189-28-27

ربيعة 104-101-96-95-67-31

ز

الزباب 16 - 26-27-29-31-42-46-67-
141-123-103-96-95

الزاوية العابدية 19-22-74-75-167-172

زناتة 16 - 29-31-67-69-72-95-96-
101

زنجية 26

زنزل 70

الزئوج 101-102

الزهراء 57

الزيبان 18-30-63-94-101-137

الزيرية 98

س

الساساني 36

سامراء 57-61

113	سبته
142-137-42	سجلماسة
30	سدراة
137	سقان
101	سليم
104-101-95-67-16	سنجاس
139	السوافة
-148-136-135- 99-79-43-20	السودان
144-143	
217-38	سوريا
99	سوسة
72	سيدي بوجنان
97	سيدي بوعزيز
128- 19	سيدي خليل
19	سيدي راشد
19	سيدي سليمان
103	سيدي عقبة
128-70 -19	سيدي عمران

131 سيدي ماضي

19 سيدي يحيى

ش

54-53 الشام

201 الشرق الإسلامى

20 الشرق الجزائرى

202 الشرق القديم

140 الشرق القسنطينى

123-22-20 شط مروان

123-27-22-19 شط ملغىغ

141-139 الشعابنة

95 الشلف

53 شمال إفريقيا

30 الشيعيين

ص

58 الصحراء الجزائرية

136-135 الصحراء الكبرى

صحراء المغرب 43

الصحراء المنخفضة 62

الصحراء 17-18-26-27-29-30-31-96

98-99-137

صنهاجة 29-31-95-99-100

ط

طرابلس 99-140-142-143

طولقة 46

الطبيات 74-121

ع

العالم الاسلامي 37-206-221

العباسيين 47

العثمانية 32

العراق 53-54

العرب 53-54-96-97-98-99-100-

101-102-103

العرب الهلاليون 95-101

العرق الشرقي الكبير 19-21-137

عين الزان 137

عين الصفراء 18

عين صالح 137

غ

غاط 63-137-142

غانة 43

غدامس 20-28-63-137

الغرب 43

غرداية 137

الغفيان 19

غمرة 72-19

ف

فارس 38

فاس 56-106

الفاطميون 97-98

فرنسا 32-33-66-125-138

فزان 99

الفسطاط 55-156

الفنيقية 26

الفيض 20

ق

قابس 99

القاهرة 56-57-156

قبائل أثنيه 26

القبائل البربرية 31-100

قبائل المصامدة 100

القبائل الهلالية 98

قبائل زناتة 99

قبائل عدنانية 97

قبائل قحطانية 97

قبيلة دكالة 100

قبيلة ريغة 16

98	قبيلة صنهاجة
156	القدس
27	القرطاجية
70	قرية البحور
45	قرية القليعة
30	قرية جالو
70	قرية سيدي عامر
141-137-95-49	قسطنطينة
48	قصر غمدان
96-30	قفصة
139	قلعة بني الجاهل
17	قلعة بني حماد
63	القليعة
137	القنطرة
102	قورارة
123-30-20-19-18	القوق
-139-138-96-96 -98-55-31	القيروان
206-196	

ك

كانو 137

الكوفة 55-54- 48

ل

ليبيا 142-137- 136- 26

مازر 19

المجاهرية 102

المحيط الأطلسي 100

المدينة المنورة 99-37

م

مستاوة -85-75-74-73-72-67 -59

183-174-167

المسيلة 143-31

المشيرة 137

مصر -143-98-97-96-54-53-38-30

217-212 -208-172-161

المغاربة 144

مغراوة 101-95- 16

المغرب الأدنى 99-98- 96

المغرب الاسلامي 43-28-18

المغرب الاقصى 137-69

المغرب الاوسط 142-100-99-95-46-31-29

المغرب 29-30-32-38-95-96-98-

100-113 - 136 - 140-142

المغير 19 - 44 - 94-128

المفازة 42

المقارين 19 - 68-75

مكة المكرمة 37

منقر 74-75

المولودون 101 - 102

ن

النزلة 19-22-68-72-73-74-162-

167-175

النسيغة 19

نفطة 20-32-141

نقاوس 31-96

نهر النيل 98

النوميديون 67-27

النيجر 26

هـ

المهريّة 19

المقار 18

الهاليون 101-100-99-96 -70-31

و

الواحات الجزائرية 116

الواحات 29

وادي الجدي 27

وادي الرتم 124

وادي الزريق 124

وادي المرارة 124

وادي بوغرو 210

وادي خروف 124

وادي ريغ 18-19-20-21-23-24-26-27-
-28-29-30-31-32-33-41-44-46-
58-60-62-66-67-69-70-76-77-79-
87-92-93-95-101-102-103-104-
105-107-108-110-116-117-118-
124-125-128-130-131-132-133-
134-135-137-138-142-143-145-
149-165-176-178-180-181-188-
189-190-191-193-199-205-209-
210-211-212-214-220-223-225-
229-230-231-232-
وادي سوف 18-30-43-41-46-60-70-94-
118-136-137-141-142-

وادي مية 30-60-124

وادي ميزاب 19-60-125

وارجلان 30-31-41-42-45-136-

139-141-142-144

واركلا 104

واركلي 28-16-43

واسط 56

ورقلة 18-19-30-46-59-67-77-96-

103-135-136-137-142-

الوطاية 137

ي

يثرب 53

اليمن 48

اليهود 101-140-141

ثبت

بالمصادر والمراجع

ثبتت بالمصادر والمراجع

اولا-المصادر

01-المصحف الشريف "برواية ورش عن نافع"، ط3 ، مؤسسة الديار المقدسة للطباعة والنشر،دمشق،2009

02-ابن ابي زرع الفاسي ابي الحسن علي بن عبد الله:"ت726هـ"

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،الرباط،1973

03-ابن الأزرق محمد بن علي بن محمد الاصبحي الاندلسي ابو عبد الله شمس الدين الغرناطي:"ت896هـ"

بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق، د محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1977

04-ابن الرامي محمد بن الراهيم اللخمي "734هـ":

الاعلان بأحكام البيان ، ت محمد عبد الستار عثمان ، ط1 ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، 2002

05-ابن الربيع شهاب الدين احمد ابن محمد "ت272هـ":

سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة وتحقيق ناجي التكريني، ط1 ، بيروت، 1978

06-ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي "ت779هـ":

تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ،تحقيق عبد المنعم العريان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1992

07-ابن جبير محمد ابن احمد الكناني الاندلسي، ابو الحسن: "ت614هـ"

رحلة ابن جبير،تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الاسفار ،دار صادر ، بيروت ،لبنان ، بدون تاريخ

08- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: "ت808هـ"

• المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادى، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء،
2005

• كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من
ذوي السلطان الأكبر ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1961

09- ابن سعيد المغربي نور الدين ابو الحسن علي بن موسى العنسي "ت685هـ":

كتاب الجغرافيا، ت إسماعيل العربي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1970

10- ابن عبد الحكم ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله "ت257هـ":

فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، ج1، شركة الامل للطباعة والنشر

11- ابن عذارى المراكشي ابو عبد الله محمد بن محمد "مجهول تاريخ الوفاة":

البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ج1، تحقيق ومراجعة، ج س كولان و ا، بروفنسال

، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983

12- ابن مرزوق محمد التلمساني شمس الدين ابو عبد الله احمد ابن محمد "ت781هـ":

المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس

بيغيرا، تقديم محمود بوعياض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981

13- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين "ت711هـ"

لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1993

14- الادريسي ابو عبد الله محمد بن محمد الهاشمي القرشي: "ت560هـ"

وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، فصلة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ، مطبعة بريل ، مدينة ليدن المحروسة ، 1893

15- الاغواطي احمد ابن الدين : "ت 1331هـ"

رحلة الأغواطي، تحقيق أبو القاسم سعد الله ، المجلة التاريخية ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، العدد 13 ، الجزائر، 1982

16- البرزلي أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي: "ت 841هـ"

فتاوى البرزلي ، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين و الحكام، ت محمد لحبيب الهيلة ، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت

17- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن ايوب بن عمرو : "ت 487هـ"

المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، تحقيق ، جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003

18- التيجاني ابو محمد عبد الله بن محمد بن احمد: "ت 717هـ"

رحلة التيجاني ، تصحيح حسن عبد الوهاب ، تونس، 1958،

19- الجزيري عبد الرحمن بن محمد عوض : "ت 1360هـ"

كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، قسم العبادات ، ج1، دار الفكر ، بيروت ، لبنان

20- الجوهري اسماعيل ابن حماد: "ت 383هـ"

الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية ، الجزء الأول

، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1980

21- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم : "ت 710هـ"

الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس ، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ، 1980

22-الدرجيني ابو العباس احمد ابن سعيد:"ت670هـ"

- الطبقات الكبرى ، ج1، دار صادر للطباعة والنشر ،بيروت ، لبنان ،1960
- طبقات المشايخ بالمغرب، ت ابراهيم طلاي ، مطبعة البعث ج2، قسنطينة ، الجزائر ،1974،

23-الصيرفي علي بن محب بن سليمان ابو القاسم تاج الرياسة : "ت542هـ"

الاشارة لمن نال الوزارة، تحقبق عبد الله مخلص ،القاهرة 1924

24-الفرسطائي ابو العباس احمد بن محمد بن بكر النفوسي:"ت505هـ"

القسمة و أصول الأرضين، ت بكير بن محمد الشيخ بلحاج، محمد صالح ناصر ، ط2 ، نشر جمعية التراث ، غرداية،دت

25-العياشي ابو سالم عبد الله بن محمد ابن ابي بكر:"ت1090هـ"

الرحلة العياشية،تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي ، مجلد 1 ،دار السويدي للنشر والتوزيع ، ابو ضبي ، 2006

26-القرطبي ابو عبدالله بن محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري:"ت610هـ"

الجامع لأحكام القرآن الكريم، تح عبد الرزاق المهدي، طبعة 01 ،مجلد 10 ،دارالكتاب العربي،بيروت 2004 .

27-القرظيني زكريا بن محمد بن محمود : "ت682هـ"

آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت، لبنان ،1980

28-القلقشندي ابو العباس شهاب الدين احمد بن علي بن احمد : "ت821هـ"

صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ج5، القاهرة، 1922

29-الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري : "ت 450هـ"

تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك ، تحقيق محي هلال السرحان

وحسن الساعاتي ، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى ، لبنان 1981

30-المقرئزي ، ابو العباس تقي الدين احمد بن علي العبيدي: "ت845هـ"

● اغاثة الامة في كشف الغمة ، تحقيق كرم حلمي فرحات ، ط1 ، عين الدراسات والبحوث

الانسانية والاجتماعية ، الهرم، 2007

● كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، تحقيق محمد

زينهم ومديحة كامل، ط1، ج2، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر ، 1998

31-الونشريسي، احمد بن يحي بن عبد الله: "ت914هـ"

المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس والمغرب ، ت محمد

حجي ، الجزء الثامن ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981

32-حمزة بن اسد بن علي بن محمد ابو يعلى التميمي ، المعروف بابن القلانسي: "ت 555هـ"

تاريخ دمشق ، تحقيق د سهيل زكار، ط1، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق، 1983

33-مجهول المؤلف :

كتاب الإستبصارفي عجائب الامصار ، ت سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، الدار

البيضاء ، 1985

34-ياقوت ابن عبد الله الحموي شهاب الدين ابو عبد الله : "ت626هـ"

معجم البلدان ، المجلد 3 ، دار صادر ، بيروت ، 1977م

ثانيا-المراجع

- 01-ابراهيم بن يوسف:
اشكالية العمران والمشروع الاسلامي ، طبعة ابو داوود ، الجزائر ،1992
- 02-إبراهيم مياسي :
من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1999
- 03-أحمد توفيق المدني :
كتاب الجزائر ، دار البصائر، الجزائر، 2009 م
- 04-أحمد فكري :
المسجد الجامع بالقيروان ، مطبعة المعارف ومكبتها ، القاهرة،1996
- 05-أحمد كمال أحمد :
تنظيم المجتمع ، دار وهدان للطباعة والنشر ، القاهرة ،1973
- 06-آرتين ليفون ، زهير ساكو :
انشاء المباني ، ط1 ، جامعة بغداد ، 1982
- 07-اسماعيل العربي:
الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1983
- 08-الألفي ابوصالح :
الفن الاسلامي أصوله وفلسفته ومدارسه ، دار المعارف ، مصر 1969
- 09-بركات محمد علي:
مواد البناء واختباراتها القياسية ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، 1990

- 10-برونشفيك روبرار:
تاريخ إفريقية العهد الحفصي ، ت حمادي الساحلي ، الجزء الثاني ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ،
بيروت ، 1988
- 11-البقري عبد اللطيف:
الموسوعة الهندسية لإنشاء المباني ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1984
- 12-توفيق أحمد عبد الجواد :
تاريخ العمارة والفنون الإسلامية ، ج3، القاهرة ، 1970
- 13-ثروت عكاشة :
القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981
- 14-جمعة أحمد قاجة :
موسوعة فن العمارة الإسلامية ، ط1 ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت، 2000
- 15-جورج غير ستر:
الصحراء الكبرى، تر: خيرى حماد- بيروت- منشورات المكتب التجاري، ط2، 1961
- 16-الجيلاني عبد الرحمن:
تاريخ الجزائر العام ج1 دار الثقافة ، بيروت ، 1982.
- 17-الحسن أحمد و مهنا رثيف :
البناء والتغطية ، الموسوعة العربية ، مج 5 ، دار الفكر ، دمشق ، 2005
- 18-الحسن بن محمد الوزان :
وصف إفريقيا ، ت محمد الحجي ومحمد الأخضر ، ج2، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1982

- 19- حسين أحمد الخزحوري:
الأبراج تراث وتاريخ، مطبعة النخيل، الإمارات العربية المتحدة، 1998
- 20- حسين مؤنس:
تاريخ المغرب وحضارته، ج1، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1992
- 21- حمودة حسن علي :
فن الزخرفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972
- 22- حنان قرقوتي :
تخطيط المدن "العمارة والزخرفة"، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت، لبنان
2006،
- 23- خير الدين وائللي :
المسجد في الإسلام، أحكامه آدابه وبدعة، ط4، المكتبة الإسلامية، عمان، 1998
- 24- رحو حياة:
مشكل الماء بالمغرب، ط01، مكتبة الطالب، وجدة، 2012
- 25- الرفاعي انور:
الإسلام في حضارته ونظمه، ط2، دمشق، 1986
- 26- رنيف مهنا ويسن بحر :
نظريات العمارة، الكتاب الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992
- 27- الزبيري محمد العربي:
التجارة الخارجية للشرق الجزائري، في الفترة ما بين، 1830.1789م، ط2، المؤسسة الوطنية
للكتاب، الجزائر، 1984

- 28- زكريا إبراهيم :
مشكلة الفن ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، 1976
- 29- زيدان جورجي :
تاريخ التمدن الإسلامي ، مراجعة وتعليق ، د. حسين مؤنس ج 2 ، دار الهلال ، القاهرة
- 30- سطاتس محمد راتب و اندرواس مسعود :
مواد البناء واختبارها ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1992
- 31- السيد الحسيني :
المدينة - دراسة في علم الاجتماع الحضري - دار المعارف ، القاهرة ، 1981
- 32- الشافعي فريد :
العمارة العربية في مصر الاسلامية ، ج1 ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1970
- 33- شوقي ابو خليل
اطلس التاريخ العربي الاسلامي ، ط5 ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 2005
- 34- الشيخ طه ولي الدين :
المساجد في الإسلام ، ط1 ، دار العلم للملايين ، 1988
- 35- الشيخ محمد الطاهر بن دومة :
مذكرة اخبار تاريخية لواحة تقرت وبعض ضواحيها ، تح محمد الطاهر عبد الجواد ، محمد السعيد بوبكر ، المطبعة العصرية للواحات ، 1995
- 36- صالح احمد الشامي :
الفن الاسلامي التزام وابداع ، ط1 ، دار القلم دمشق ، بيروت ، 1990
- 37- صالح يوسف بن قرية :
• المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى ، الجزائر ، 1986

- علم الآثار والهوية المغربية ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، 2012،
- أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011
- من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الإسلامية، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، 2012،
- 38-عاصم محمد رزق :
- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2000
- 39-عبد الحميد إبراهيم قادري :
- التعريف بوادي ريغ، تقرت ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد ، 1999،
- 40-ابن حبيب ، ابو جعفر محمد:
- مختلف القبائل ومؤتلفها ، فرديتلن فسنتلد غوتا، 1850
- 41-عبد الحميد نجاح،:
- منطقة ورقلة وتقرت وضواحيها من مقاومة الاحتلال الى الاستقلال ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد ، تقرت ، 2003
- 42-عبد الرحمن الجيلالي:
- تاريخ الجزائر العام ، ط4 ، ج1 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1980
- 43-عبد الرحيم غالب :
- موسوعة العمارة الإسلامية ، ط1 ، جرس بريس، بيروت ، 1988
- 44-عبد الصمد زايد :
- عالم القصور بالجنوب التونسي ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، بيت الحكمة ، تونس ، 1992

- 45- عبد العزيز السيد سالم :
بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، الطبعة الأولى ، القسم الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
لبنان، 1992
- 46- عبد العزيز سالم :
المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها وتطورها منذ الفتح العربي حتى الفتح العثماني ،
مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، بدون تاريخ
- 47- عبد العزيز لعرج :
جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المربنية بتلمسان، ط1، دار الملكية ، 2007
- 48- عبد القادر حليمي :
جغرافية الجزائر، طبيعية، بشرية، اقتصادية ، الجزائر ، مكتبة الشركة الجزائرية ، ط1، 1968
- 49- عبد القادر نوحه:
ستارة بين امجاد الماضي وحواضر اليوم ، تاريخ وحضارة، ط1، مطبعة مزوار الوادي،
الجزائر، 2011
- 50- جمال الدين سرور :
الدولة الفاطمية "قيامها ببلاد المغرب وانتقالها الى مصر الى نهاية القرن الرابع هـ"، دار الثقافة
والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1991
- 51- عبد المنعم ماجد:
تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1963
- 52- العدواني عمر بن محمد:
تاريخ العدواني ، ط1، تقديم وتحقيق : سعد الله أبو القاسم ، بيروت ، 1996
- 53- عفيف بهنسي:

- الفن العربي الإسلامي في بداية تكونه ، دار الفكر ، القاهرة ، بدون تاريخ
54-على حملاوي :
- نماذج من قصور منطقة الأغواط ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 2006،
55-غالب عبد الرحيم :
- موسوعة العمارة الإسلامية ، ط 1 ، مطبعة جروس بريس ، لبنان ، 1988
56-غير ستر :
- كتاب الصحراء الكبرى ، تر خيرى عماد ، بيروت ، لبنان
57-فاروق مصطفى اسماعيل :
- التغير والتنمية في المجتمع الصحراوي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1990،
58-فتحي حسن :
- عمارة الفقراء ، ت مصطفى فهمي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 2000،
59-فريد الشافعي :
- العمارة العربية في مصر الإسلامية في عصر الولاية ، المجلد الأول ، المطبعة الثقافية ، القاهرة ، 1970
60-فريد الشافعي :
- العمارة العربية في مصر الإسلامية ، المجلد الأول ، دار التأليف والنشر ، الهيئة المصرية العامة ، 1970
61-لخضر مرابط :
- اثر التهيئة على اوساط الصحراوية الجافة-وادي ريغ- 1997.
62-مالدونادو باسيليو بافون :
- العمارة في الاندلس ، ت منوفي علي ابراهيم ، مجلد2 ، ط2 ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة
63-محمد الصغير بن لعمودي :
- تقرت عاصمة وادي ريغ، ط1 ، المطبعة العصرية للوحات ، تقرت ، 1995،

- 64- محمد الطاهر عبد الجواد :
آفاق بلدية تسبست ، 1992
- 65- محمد حسن العيدروس:
المغرب العربي في العصر الاسلامي ، دار العيدروس للكتاب الحديث ، القاهرة ، 2009
- 66- محمد حسين جودي:
العمارة العربية الإسلامية، ط1، دار الميسرة، عمان، الأردن، 1998
- 67- محمد عيسى الحريري :
الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي "حضارتها وعلاقتها بالمغرب والاندلس 160هـ -296هـ
ه"، ط2 ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت 1987
- 68- محمود البناء:
المدن التاريخية - خطط ترميمها و صيانتها- ط 1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002
- 69- مختار حساني:
موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، ج2، دار الحكمة الجزائر، 2007م
- 70- مرزوق محمد عبد العزيز :
● الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ، مصر 1987
● الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت
- 71- محمد نجيب بو طالب:
"الابعاد الحضارية لظاهرة القصور بالجنوب الشرقي"، مجلة الحياة الثقافية، ع 212 ، طباعة
أوريس، تونس، 2010
- 72- مزهودي مسعود :
الاباضية في المغرب الأوسط ، جمعية التراث بالقرارة ، غرداية ، 1996

- 73-معجم الهيدرولوجيا ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، 1984
- 74-معمر علي يحيى:
- الإباضية في الجزائر ، مطبعة الدعوة الاسلامية ، القاهرة ، 1979
- 75-الموسري مصطفى عباس:
- العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، العراق، 1982
- 76-مولاي بالحميسي:
- الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979
- 77-ناصر الدين سعيدوني:
- ورقات جزائرية ، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان
 - دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، سلسلة الدراسات الكبرى ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
- 78-نجيب محمد مصطفى :
- العمارة في العصر العثماني ، تاريخها ، فنونها وآثارها ، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة ، 1970 ، ص264
- 79-نخلة منى يوسف :
- علم الآثار في الوطن العربي ، ط1 ، طرابلس ، لبنان ، 1990.
- 80-نسيب محمد :
- زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر ، دمشق
- 81-نوبي محمد حسن:
- نظريات العمارة ، مطبعة الأوفست الحديثة ، أسيوط، 2001

82-هانريش فون مالتسان:

ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا، تحقيق أبو العيد دودو الشركة الوطنية، الجزائر 1980

83-يحي بوعزيز:

من تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون،
الجزائر، 1999 م

84-يحي وزير:

موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، الكتاب 2، مصر، 1999

85-عبد العزيز شهبي

الكتابات الاثرية في المساجد الجزائرية ، تر ابراهيم شيوخ ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر
1979 ،

رابعا- المقالات

01-تيتوس بركهارت :

فاس ، في المدينة الإسلامية ، ندوة مركز الشرق الأوسط ، جامعة كمبريدج ، بريطانيا، 1983

02-حسين عبد الرازق عباس :

نشأة مدن العراق وتطورها ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، المطبعة
الفنية الحديثة ، 1973

03-خالد مصطفى عزب:

● "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية" ، سلسلة كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية ، الدوحة ، 1997

● "جوانب مجهولة من فقه العمران في الحضارة الإسلامية" ، مجلة العمران والتقنيات

الحضرية، ع1 ، مطبعة الحضنة للطباعة والنشر والبرمجيات، الجزائر، 2009

04-الريحاوي عبد القادر :

"البيت في المشرق العربي" ، ابحاث المؤتمر العاشر للآثار العربية بتلمسان ، 15-

1982/11/18

05-عبد الجبار ناجي :

"مفهوم العرب للمدينة الاسلامية" ، مجلة المدن العربية ، نشر المنظمة العربية للمدن ، العدد 14، السنة

3

06-علي حملاوي :

"القصر بالجنوب الجزائري" مفهومه ومكوناته" ، حوليات المتحف الوطني للآثار ، ع 10 ،

مطبعة سومر، الجزائر، 2001

07-يحيى وزيري :

"العمارة الإسلامية والبيئة" ، عالم المعرفة ، ع 304 ، مطابع السياسة، الكويت، 2004

08-فؤاد حاج :

" تدهور المدينة التاريخية - مستاوة" الملتقى التاريخي الثالث، مقر متحف المجاهد، تقرت

1998،

09- عبد القادر خليفة :

الهيكل الاجتماعية والتحولات المجالية في النزلة- تقرت ، رسالة ماجستير في علم الاجتماع ،

جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2005

10-طالب حميد طالب :

الماضي والمستقبل ونضرتنا للعمارة المعاصرة ، في مجلة المدينة العربية ، العدد 43 ، الكويت

، ماي 1990

11-جلال الخانجي :

- مدخل مفهوم الدورة الهيدرولوجية عند العرب و المسلمين ، كتاب أبحاث المؤتمر السنوي الثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم، معهد التراث العلمي العربي بجلب
- 12- اسحاق يعقوب القطب :
"خصائص المدينة والتحضر في الدول الاسلامية"، مجلة المدينة العربية، العدد 22 ، الكويت ، 1990
- 13- إسماعيل العربي :
"مسالك الإسلام والعربية إلى الصحراء الكبرى" ، مجلة الثقافة ، ع62 ، س11 ، مارس - أبريل 1987
- 14- فاضل السباعي :
"زراعة النخيل عند العرب مشروع دراسة مقارنة" ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، عدد 58 ، جانفي 1995
- 15- قصر تماسين القديم واهم معالمه الاثرية ، دراسة تحليلية معمارية لتصنيف معالم هذا القصر ضمن المعالم الاثرية الوطنية ، بلدية تماسين ، مارس 1995
- 16- محمد البشير شنيقي :
"التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية" ، مجلة الاصاله ، عدد 41 ، الجزائر ، 1977
- 17- محمد الطاهر عبد الجواد :
عاصمة وادي ريغ - تقرت - أيام بني جلاب ، الملتقى التاريخي الثالث حول حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ ، تقرت ، 23 - 24 أبريل 1998
- 18- محمد الطاهر عدواني :

دراسة للحضارة في عصور ما قبل التاريخ : الصحراء الجزائرية في العصر الحجري الحديث ،

رسالة ماجستير في التاريخ القديم ، جامعة الإسكندرية ، مصر ، 1974

19- محمد عبد الستار عثمان :

"المدينة الإسلامية" ، سلسلة علم المعرفة ، رقم 128 ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون

والادب ، الكويت ، اغسطس 1988

20- معاذ عمران ، جمال بالفردي :

قصر تماسين القديم أحد المعالم الحضرية بمنطقة وادي ريغ ، الملتقى المغاربي حول المدينة في

بلاد المغرب الإسلامي ، من الفتح الى القرن 9هـ ، 14-15 افريل 2009 ، قطب

الكيفان ، جامعة ابي بكر بالقايد ، تلمسان

21- منى حسن أحمد محمود :

تجارة السودان الغربي قبيل قيام دولة المرابطين في القرن 05هـ "مجلة المؤرخ المصري دراسات

وبحوث تاريخية محكمة " ، العدد 7 ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1991

22- يحيى وزيري :

العمارة الإسلامية الحربية وتأثيرها على العمارة المعاصرة ، مجلة عالم البناء ، العدد 62 ، تصدر

عن جمعية احياء التراث التخطيطي والمعماري ، 1985

23- يمينة بن صغير حضري :

" الحياة الاقتصادية بمنطقة وادي ريغ " ، الملتقى التاريخي الثالث حول فترة حكم بني جلاب ،

أفريل 1998 ، تقرت ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد.

خامسا: الرسائل الجامعية

01- جمال عناق :

موارد المياه وتطبيقاتها في منطقتي الزاب ووادي ريغ، من خلال كتاب القسمة واصول الارضين، مذكرة دكتوراه العلوم، جامعة بالقاسم سعد الله، الجزائر 2015، 2-2016

02- داليا احمد فؤاد الشرقاوي

الزخارف الإسلامية والاستفادة منها تطبيقات زخرفية معاصرة ، رسالة ماجستير في الفنون التطبيقية ، جامعة حلوان ، 2000

03- رضوان، شافو:

مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي 1852-1875 م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر ، 2006-2007

04- عبد العزيز شهبي:

مساجد اثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة في الآثار الإسلامية، معهد التاريخ والآثار، جامعة الجزائر، 1985

05- عزوق عبد الكريم :

تطور المآذن في المغرب الأوسط مع بداية دولة بني حماد حتى نهاية العصر العثماني ، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية ، جامعة الإسكندرية ، مصر ، 1991

06- عمر بوعصبة

معالم الحضارة الإسلامية بوجلان ، 626هـ / 696هـ مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، المعهد الوطني لاصول الدين ، الجزائر

07- على حملاوي:

قصور منطقة جبال عمور ، من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر هجري ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 1999/2000

08- قبالة مبارك:

تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية ، رسالة ماجستير في الآثار الصحراوية ، جامعة
بسكرة، 2009-2010

09 -لحول عبد الجليل، بوبكري مراد

تنظيم وتحليل مجال فلاحي صحراوي، (مشروع شهادة مهندس دولة) كلية علوم الارض
والجغرافيا، جامعة منتوري، قسنطينة. 2003/2002.

10 -محمد علي محمود نصره :

جماليات الكتابات العربية في العمارة الاسلامية ، رسالة دكتوراه ، جامعة حلوان ، 2001

11-محمد عياش :

الإستحكامات العسكرية المرينية ، رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية ، جامعة الجزائر ،
2005-2006

12-معاذ عمراني :

اسرة بني جلاب بمنطقة وادي ريغ خلال القرنين 19-20م دراسة سياسية واجتماعية رسالة
ماجستير جامعة الامير عبد القادر قسنطينة 2003

13-يمينة بن صغير حضري :

قصري تقرت و تماسين خلال فترة بني جلاب ،دراسة تاريخية أثرية ، رسالة ماجستير في الآثار
الاسلامية ، جامعة الجزائر ، 2000/2001

سادسا:المراجع بالاجنبية

01-Boozid Touati

«Les Potentialités Hydrique et la Phoneniculture Dans La vallé
de L'oued Righ, Bas-Sahara Algérienne » Thèse de doctorat
de 3eme Cycle Laboratoire de Géographie Physique,
Université de Nanc ,1986

02-Bourouiba (R)

- **Apport de l'Algérie à l'architecture religieuse arabo-islamique.** OPU ,Alger,1986

-**Les inscriptions commémoratives des mosquées d'algérie,**Alger,1984

03-Brunchvig (R)

La Berbérie orientale sous les Hafsides , T2, librairie d'Amérique et d'orient .Paris , 1947

04-Capitaine, l

Les foggaras de tidikelt ,I.R.S. 1^{er} semestre , 1954

05-Capot rey.(r)

Lafrique blanche francaises, T2

06-Cherbonneau (a)

Précis Historique de la Bynastic Benou Djellab, Thurot, Paris

07-Commandant cauvet

- **Les Marabouts ,**Rev.Afr,N64,1923

-**Notes sur le Souf et les Souafa,** Alger , 1934

08-Dévisé (J)

Routes de commerce échanges en afrique occidentale en retation avec la méditerranée,R.H.E.S ,paris ,1972

09-Didillon (h ,m) et donnadiou (c,p)

Habiter le désert : les maisons mozabites , 03^{ème} éd , mardaga , bruxelles ,1984

10-Dqat(p)

Construire en terre craterre, grenoble ,1979

11-Dubocq (m)

Mémoire sur la constitution géologiques des ziban et de l'oued rig , du point de veue des eaux artésiennes de cette partie du sahara , tome2, paris,1852

12-Duvollet (r.p)

D'Alger à Tamanrasset,Alger, 1830-1960

13-E .Carette

Le Commerce de L'Algérie avec L'Afrique Centrale et les Etat Barbaresques ,paris,1884

14-Edmond Sergent

Le peuplement Humain du Sahara », Institut Pasteur d'Alger,T31 , Alger,1953

15-Feraud (ch.l)

Kitab al Adwani, ou le Sahara de Constantine et deTunis,
Recueil des Notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine, Alger, Paris, 1900

16-Gautier (e ,f)

Histoire des berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale, Paris, 1934.

17-George Marçais

-L'art Musulman , 1^{er} Ed, presse universitaire de France , paris ,1962

-Manuel d'art musulman de XI au XII siecle , TL, paris

18-J,François

Tribillon ville et veveleppement ,ed la découverte - massiah, ,paris

19-khadraoui.A

Eaux et sols en Algerie, Limprimerie Houma.2006

20-Kitab eladouani

Recueil de tradition sur le Sahara. Traductionpublique par feroud (Ch), Dans le recueil de la société archéologie de const, de const, paris 1868.

21-Le Khielleux (J)

Ouargla cité Saharienne, Genthner, Paris, 1984

22-Lirrer (e)

Matériaux de costruction , T2 ,ed6 , paris ,1978

23-Magali (boisnaro)

Sultans de Touggourt, Gouthner, Paris, 1933.

24-M.Rouvillois&j.valet

Oasis du sahara algeriën l.g.IV.paris .1973

25-Potter (r)

Histoir de sahra , paris , 1947

26-Reuss (l.m)

Travers l'Algérie . paris, 1984

27-Ricard (p)

Pour comprendre l'art musulmane dans l'afrique du nord et en espagne, Paris, 1924

28-Robert (g)

Voyage à travers l'algérie, Paris, 1887

29-Rouvillois Brigol

Oasis du Sahara Algérien .Etudes de Photo-interprétation N° 64),
Institut géographique National , Paris, 1978

30-Souad Selami

Touggourt Esquisse Historique , Ouargla ,Imprimerie du
Sud , 1998

31-Tisier (j)

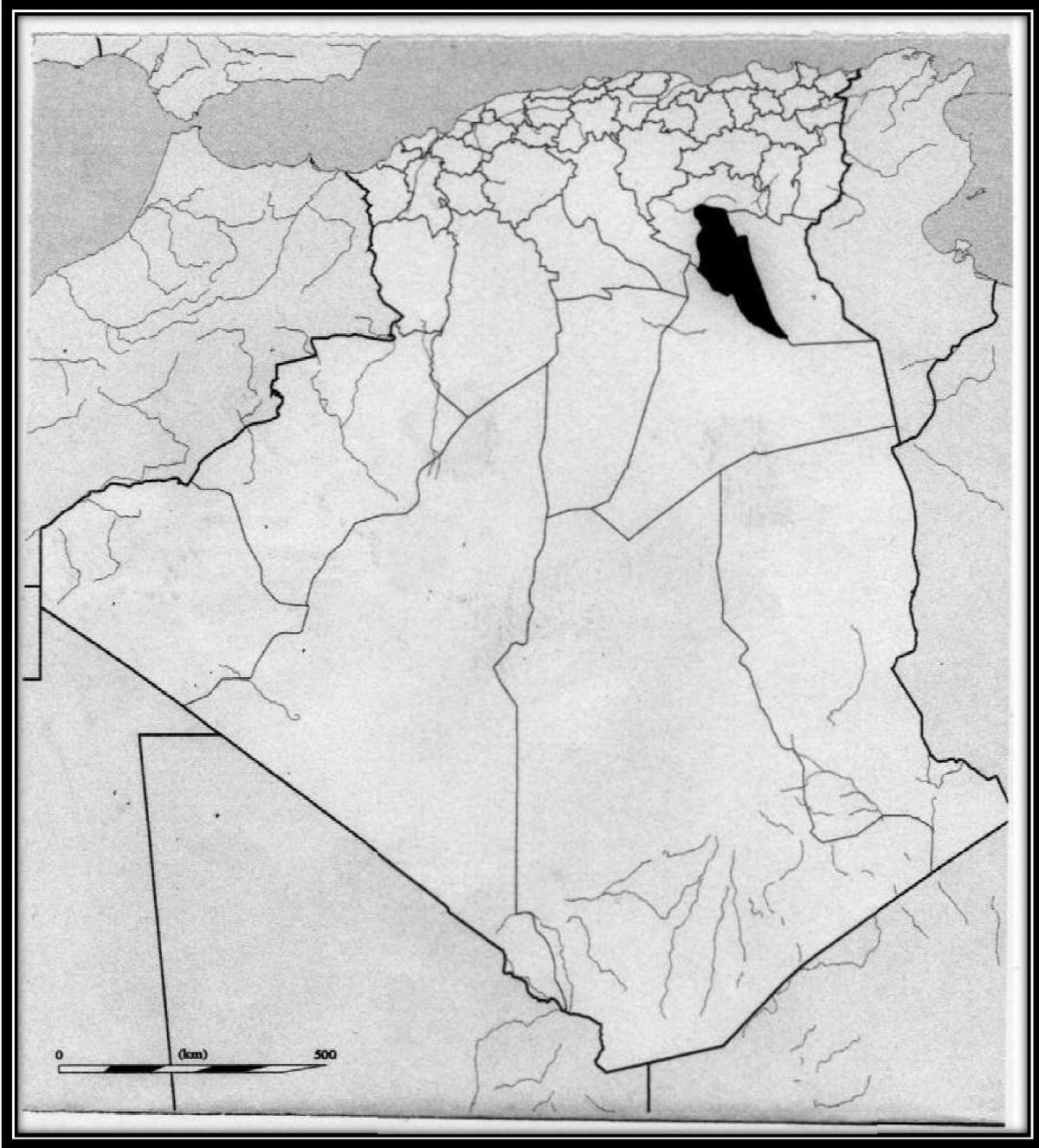
Typologie de pipaliothique de maghreb .m.c.r.a.p.e .paris
1963

ملحق

الخرائط والاشكال والصور

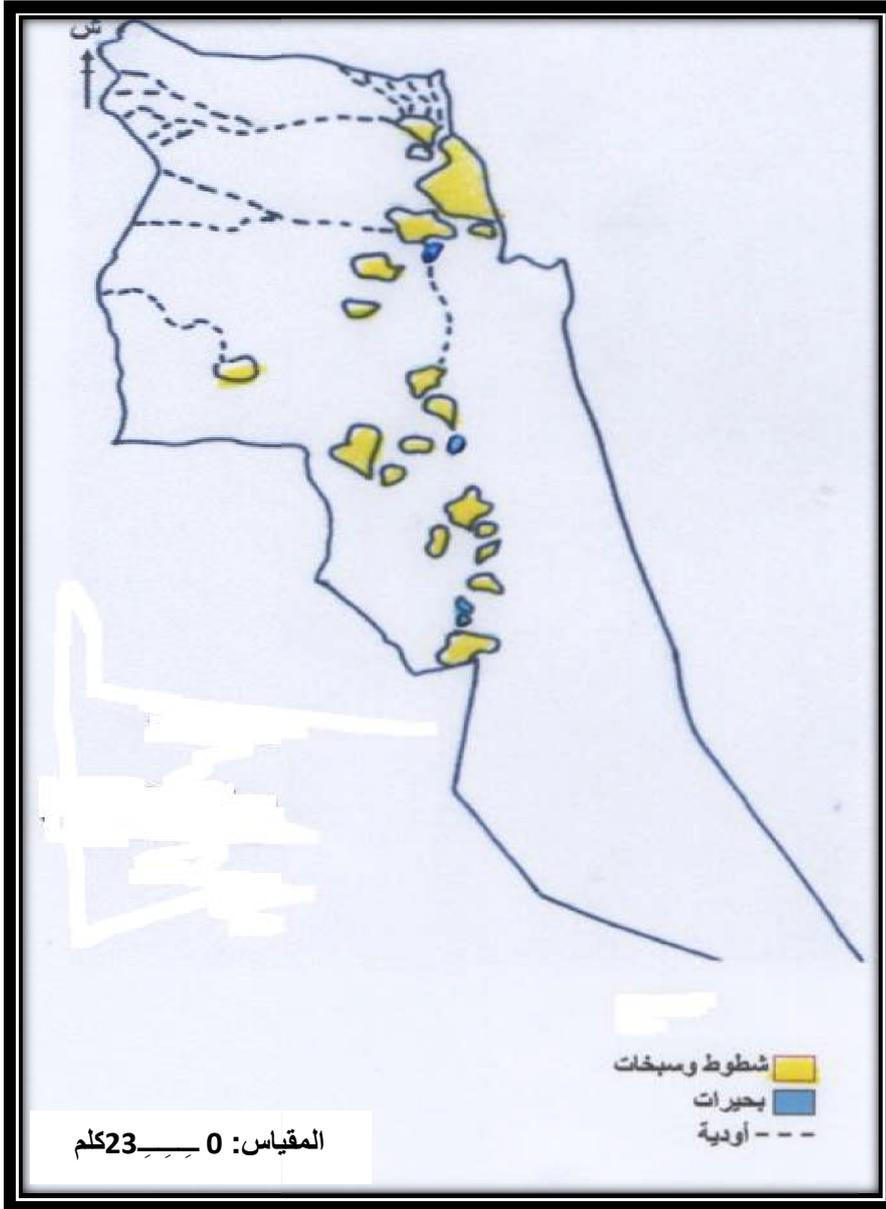
ملحق

الخرائط

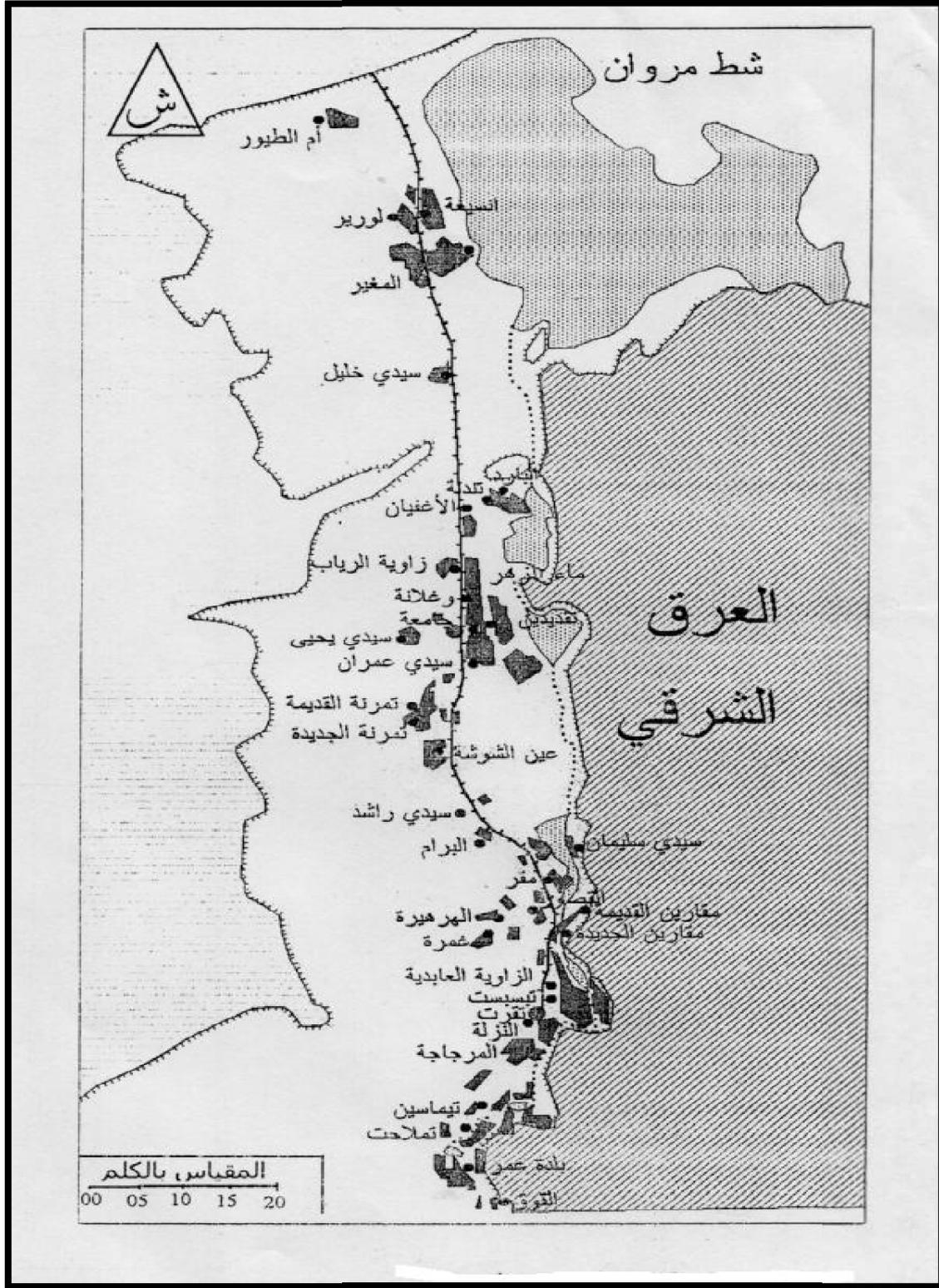


خريطة 1: خريطة سياسية تبين موقع وادي ريغ

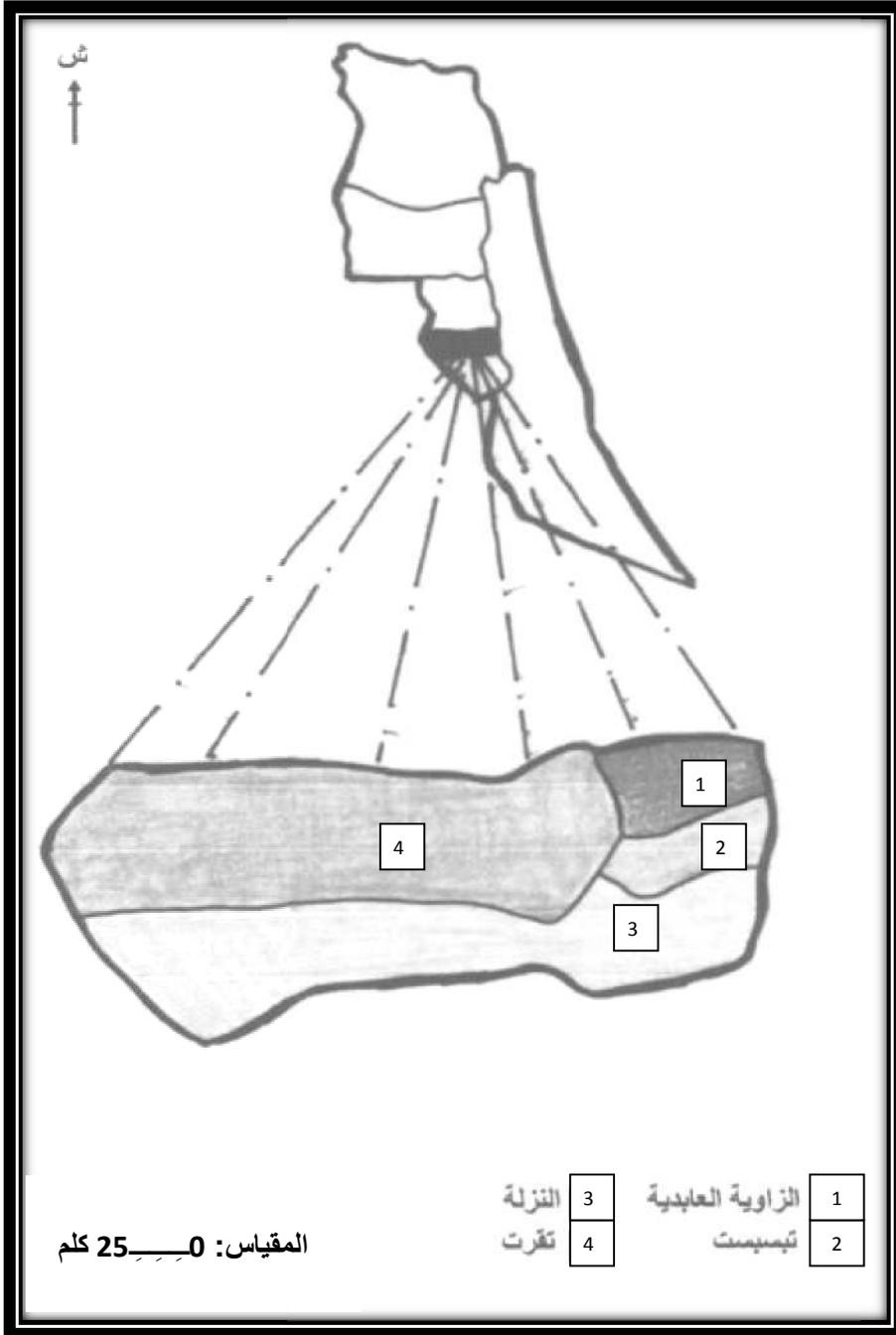
من عمل الطالب



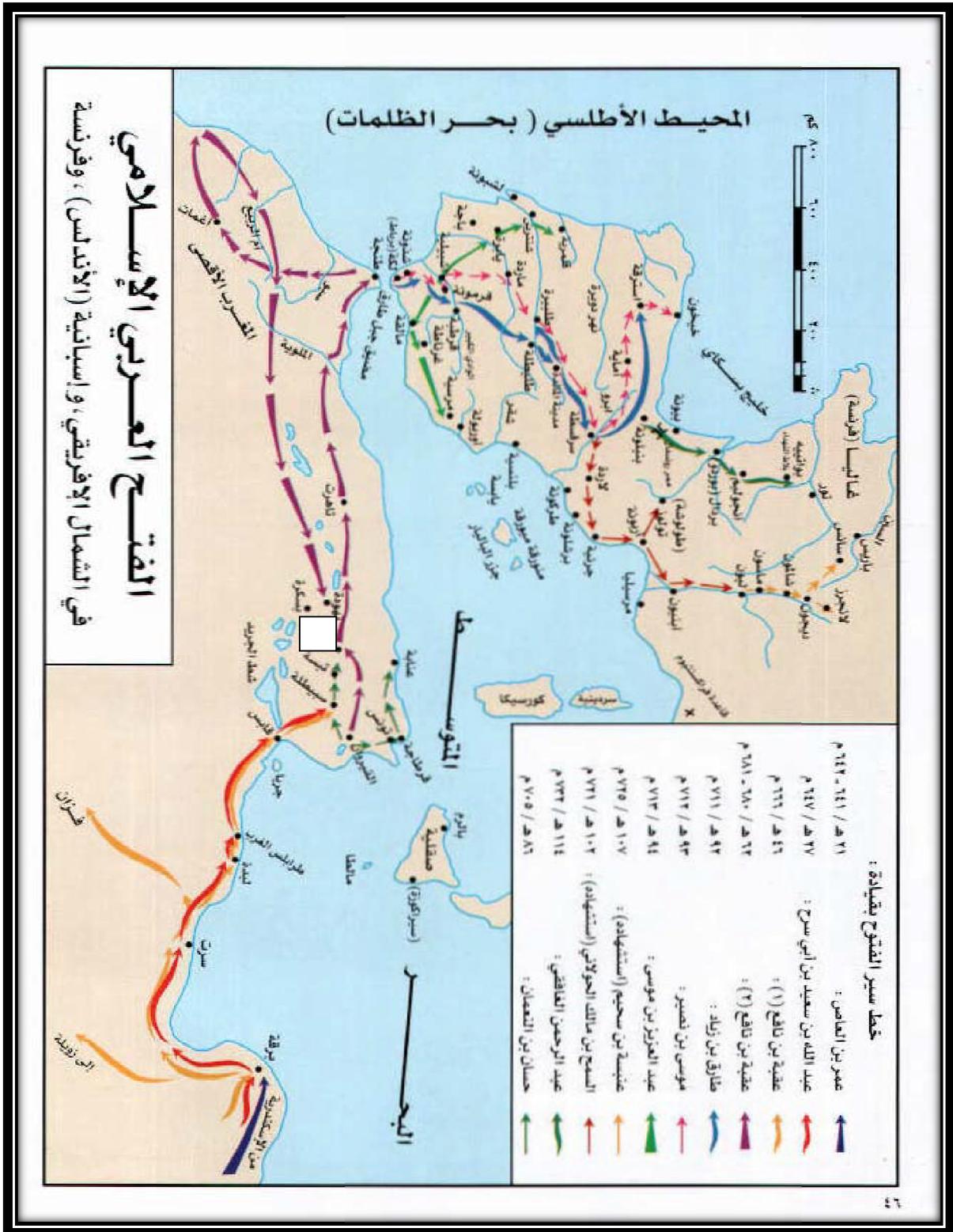
خريطة 2: شبكة المياه بوادي ريغ عن: "البلدية" بتصرف



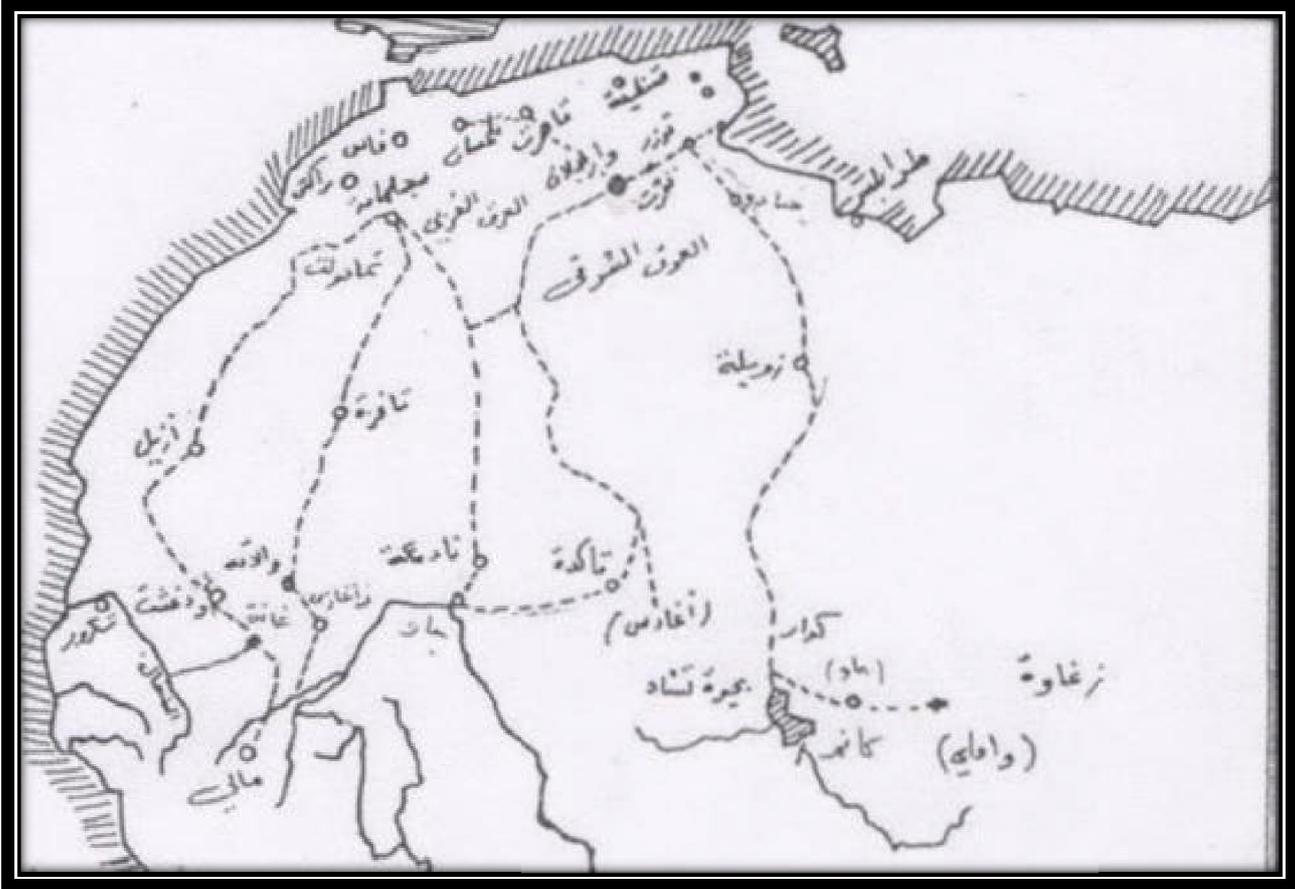
خريطة 3: قصور وادي ريغ وواحاته عن: "M.Rouillois&j.valet" بتصرف



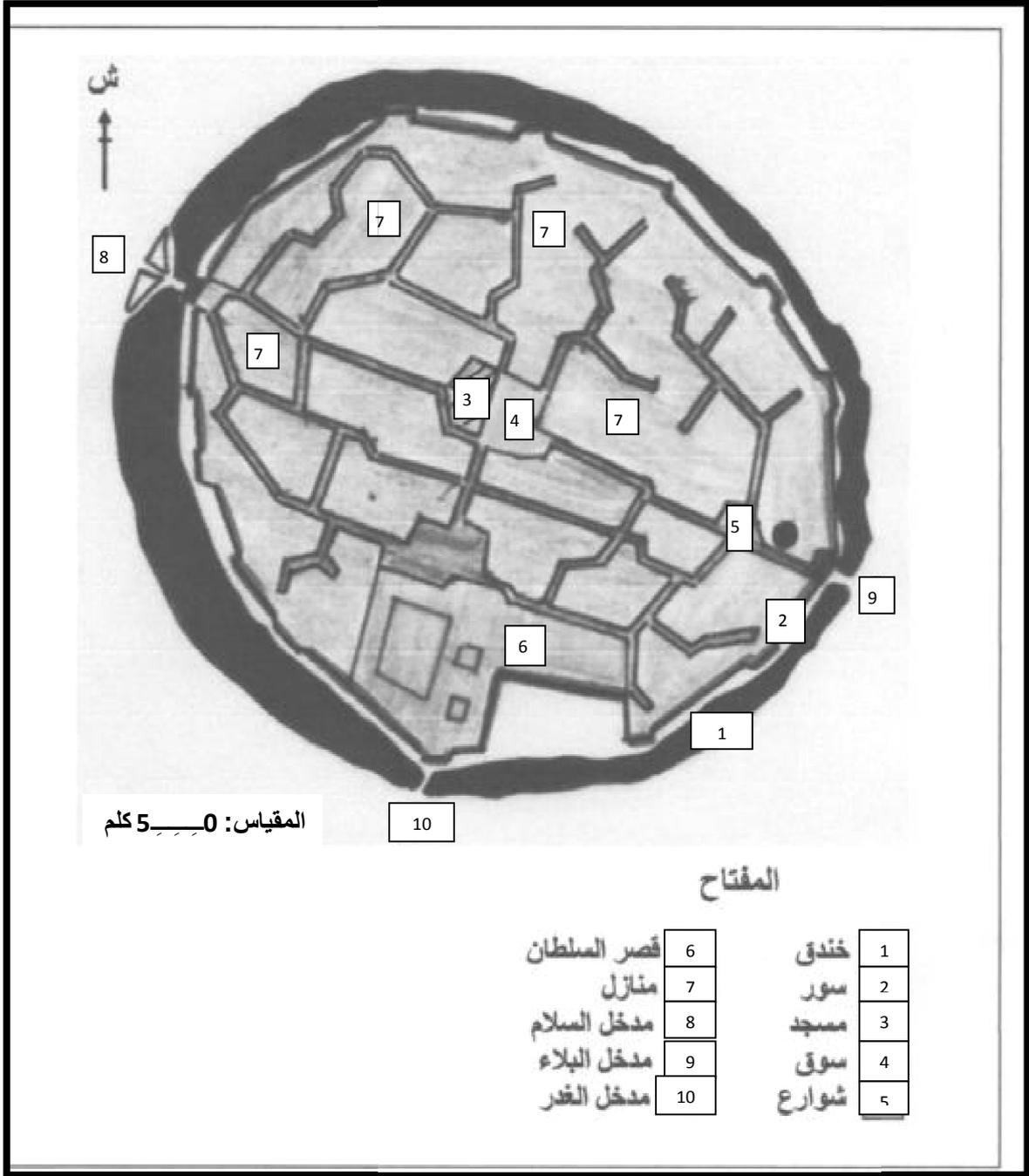
خريطة 4: جغرافية عمران تقرت عن: "البلدية" بتصريف



خريطة 5: خط سير الفتوحات لاقليم الواحات عن: "شوقي ابو خليل"

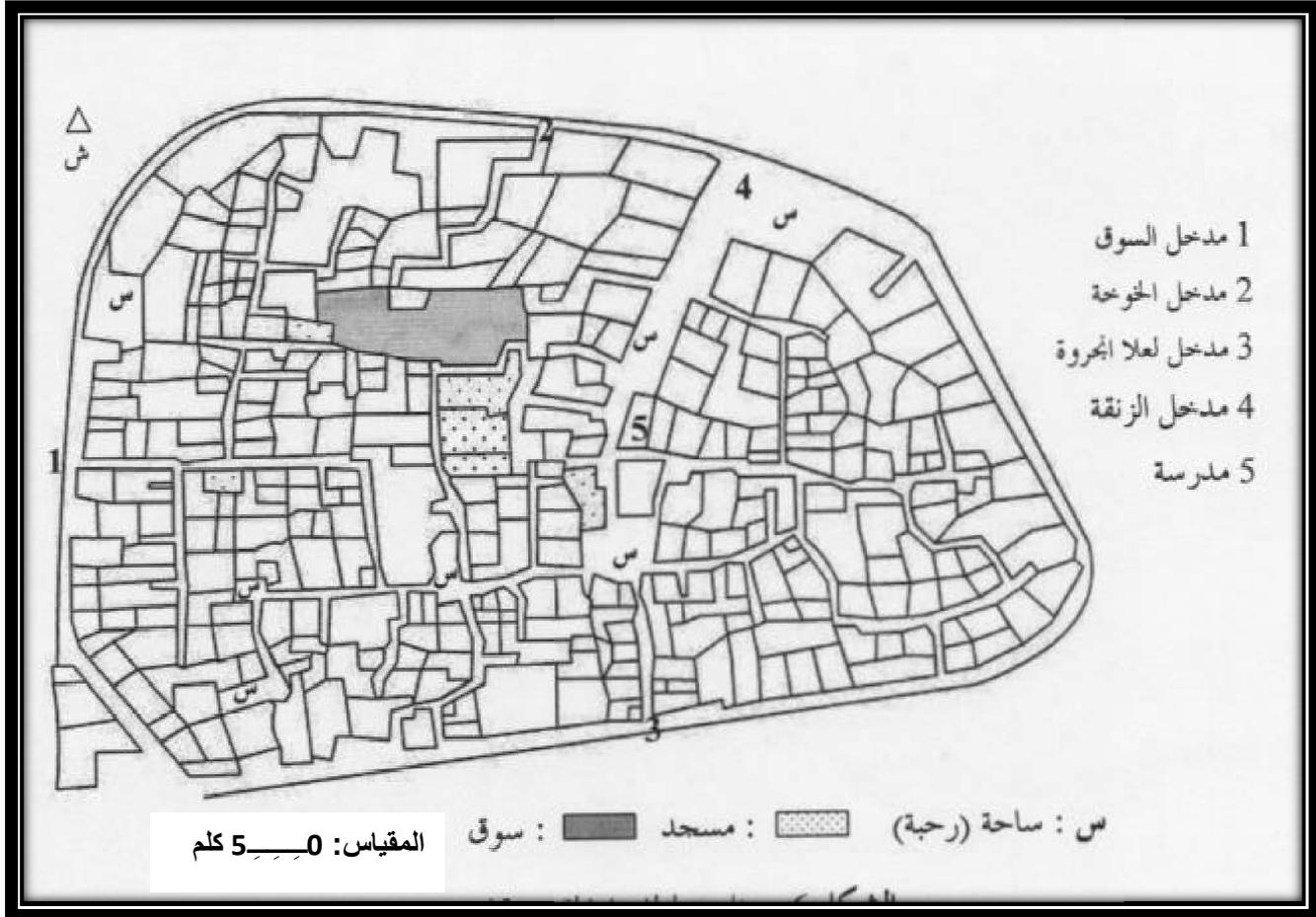


خريطة 6: المسالك والطرق التجارية باقليم وادي ريغ وما يجاورها عن : "عمر بوعصبانة"



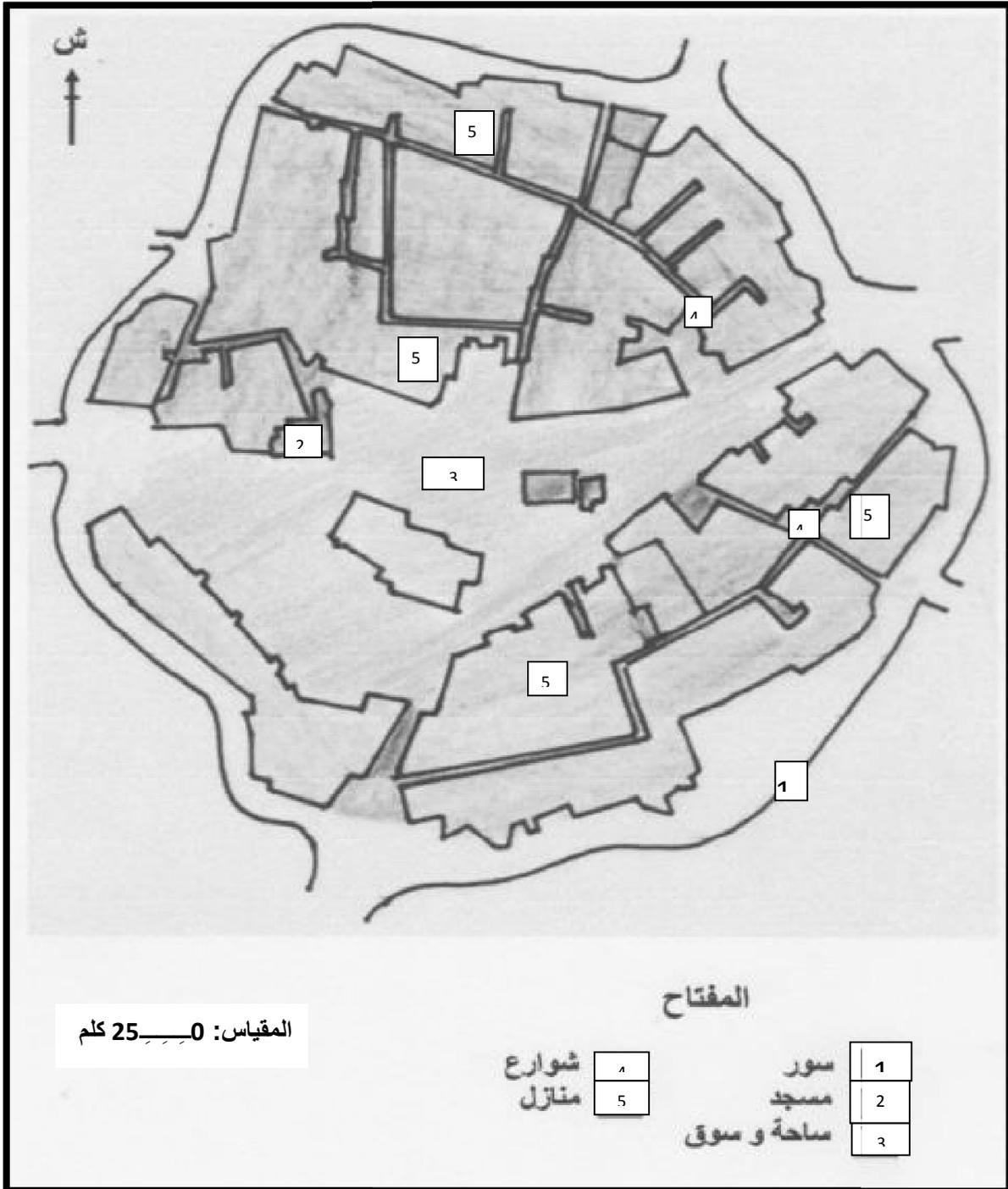
عن: "البلدية" بتصريف

مخطط 1: المسقط الافقي لعمران قصر تفرت



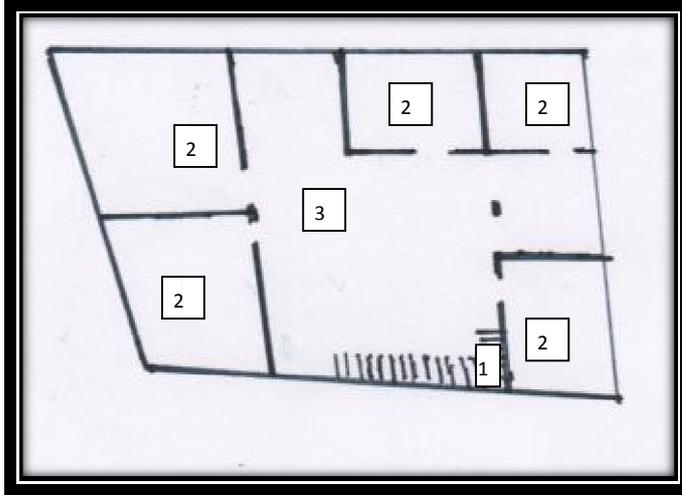
عن: "البلدية" بتصريف

مخطط 2: المسقط الافقي لعمران قصر تماسين

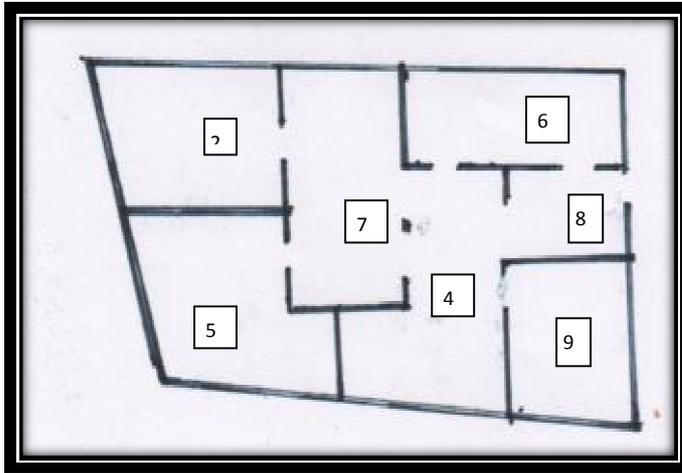


عن: "البلدية" بتصريف

مخطط 3: المسقط الافقي لعمران قصر تمرنة



الطابق العلوي

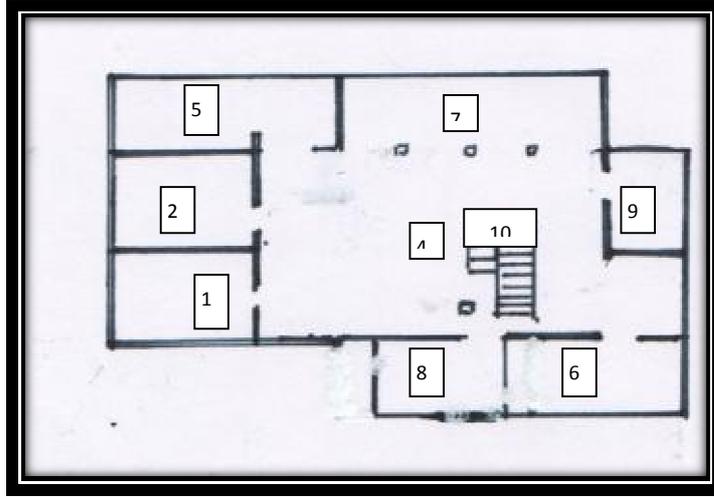


الطابق السفلي

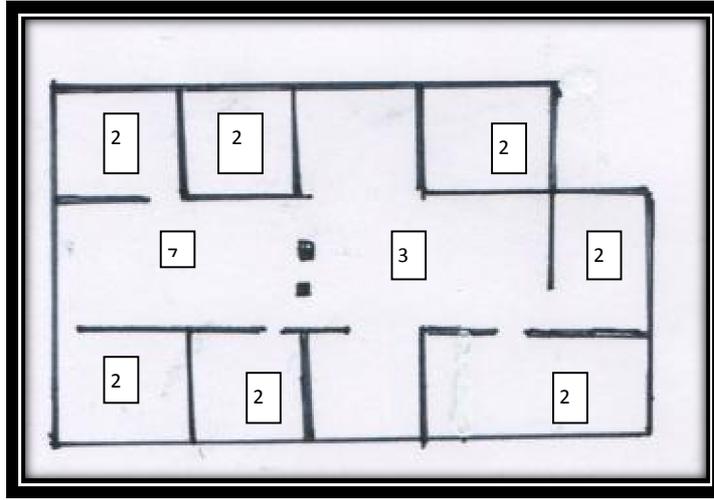
من عمل الطالب

بيت الضيوف	6	سلم	1
سباط (برطال)	7	غرف	2
سقيفة	8	سطح	3
اصطبل ومرحاض	9	حوش	4
		مطبخ	5

مخطط 4 : مسقط افقي لمسكن يبين مكونات المنزل بقصر الزاوية العابدية



الطابق الارضي



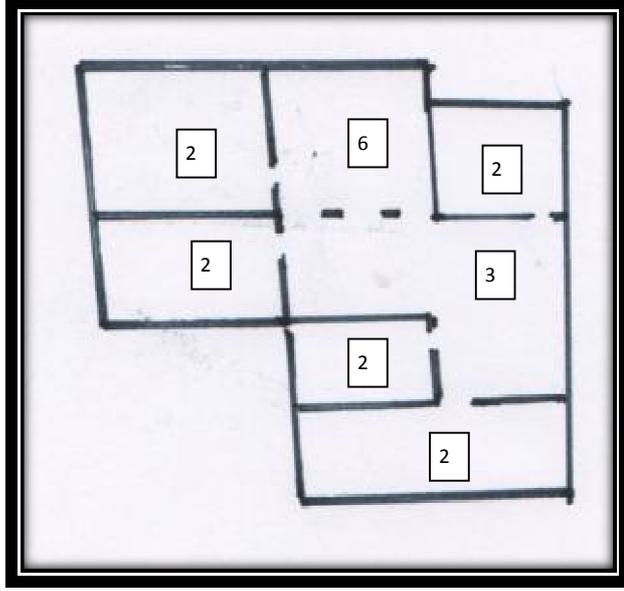
الطابق العلوي

المقياس: 0 — 2 م

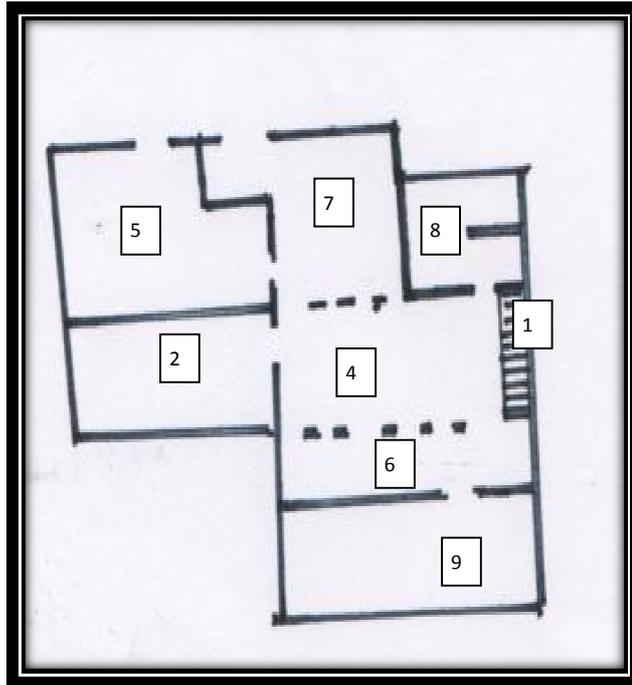
من عمل الطالب

مخزن	1	بيت الضيوف	6
غرف	2	سباط (بوطال)	7
سطح	3	سقيفة	8
حوش	4	مرحاض	9
مطبخ	5	سلم	10

مخطط 5: مسقط افقي لمسكن يبين مكونات المنزل بقصر مستاوة



الطابق العلوي



المقياس: 0-2 م

الطابق الأرضي

بيت الضيوف

سباط (برطال)

سقيفة

مرحاض

مطبخ

سلم

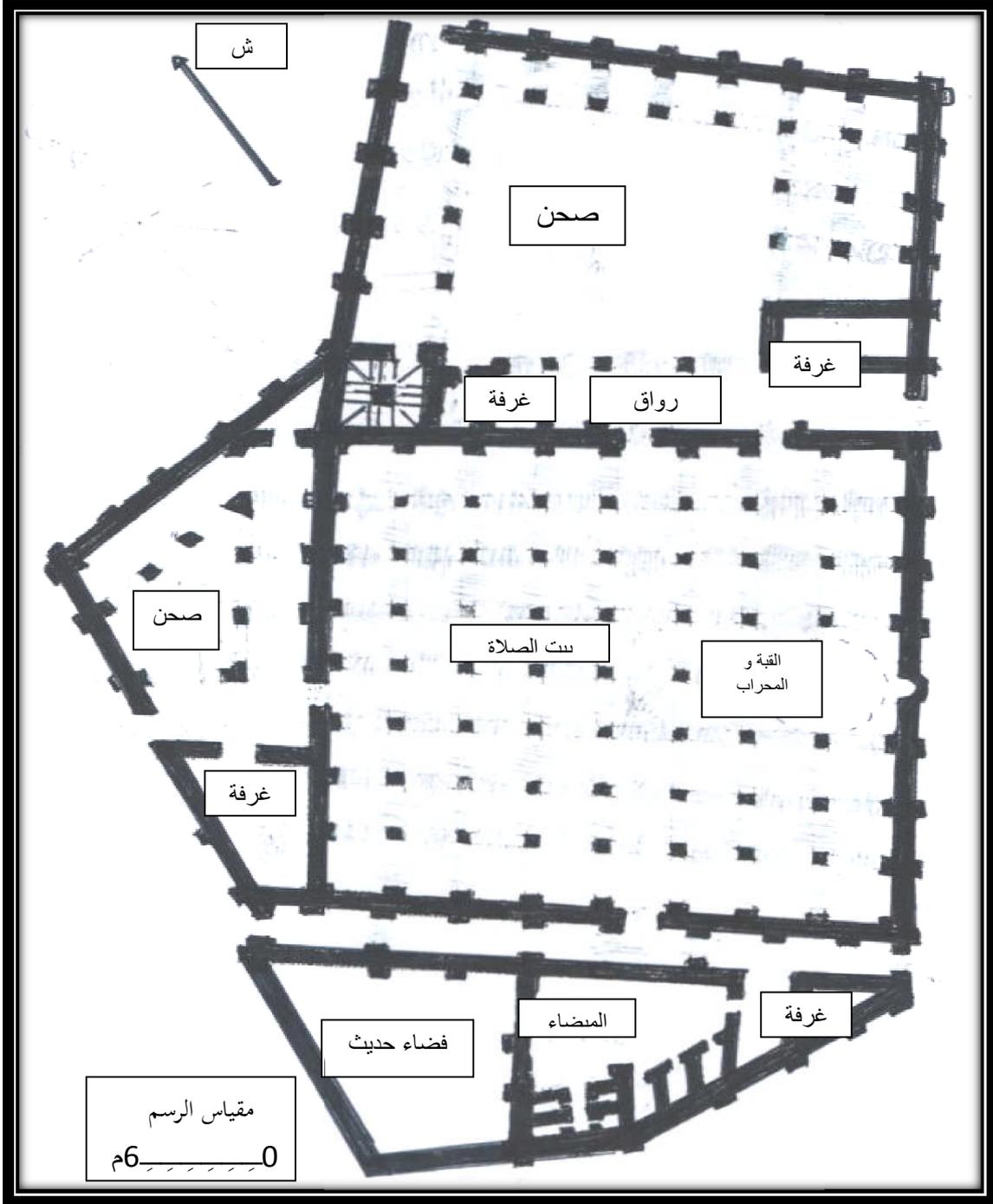
غرف

سطح

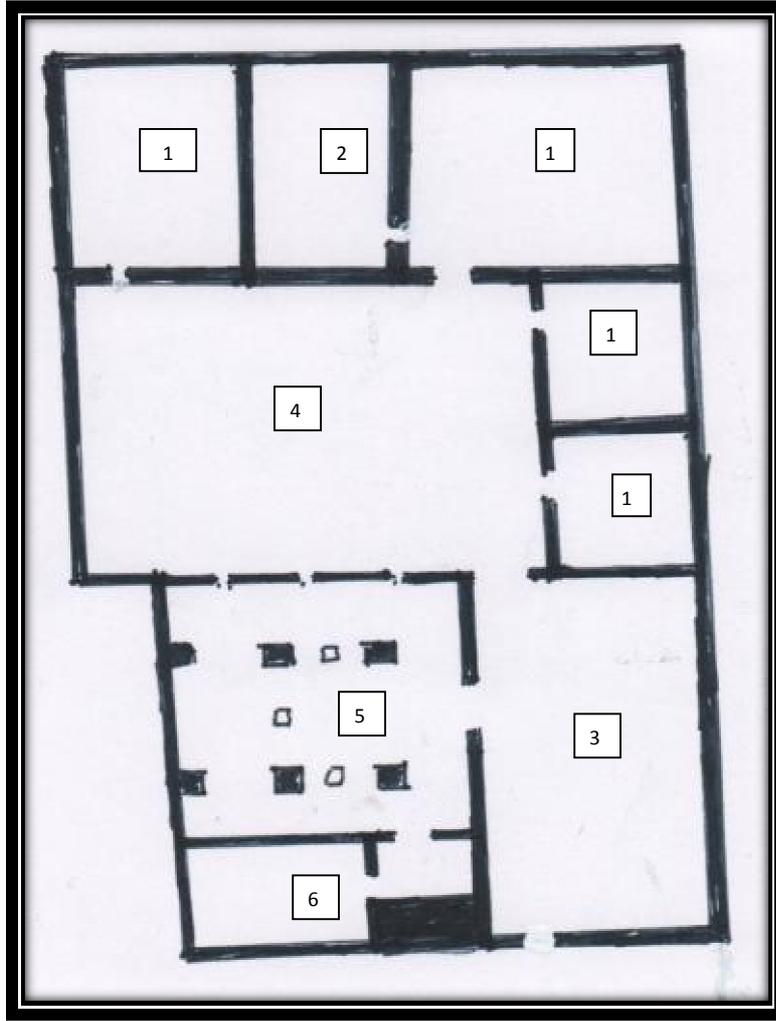
حوش

مسقط افقي لمسكن يبين مكونات المنزل بقصر النزلة

من عمل الطالب



مخطط 7: المسقط الافقي للمسجد العتيق بتقرت عن: "عبد العزيز شهبي" بتصريف



مقياس الرسم

0 2 م

المفتاح

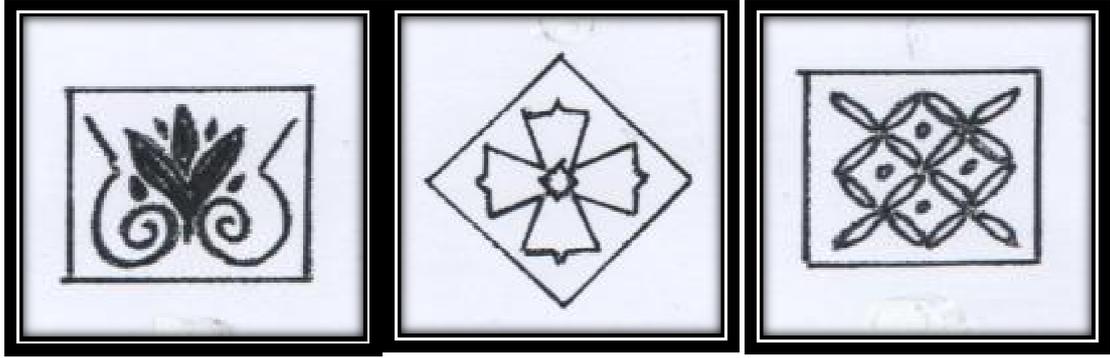
4	فناء	1	غرفة
5	بيت الصلاة	2	الضريح
6	الخلوة	3	السقيفة

مخطط 8: المسقط الافقي لزاوية الشيخ محمد بن يحيى

من عمل الطالب

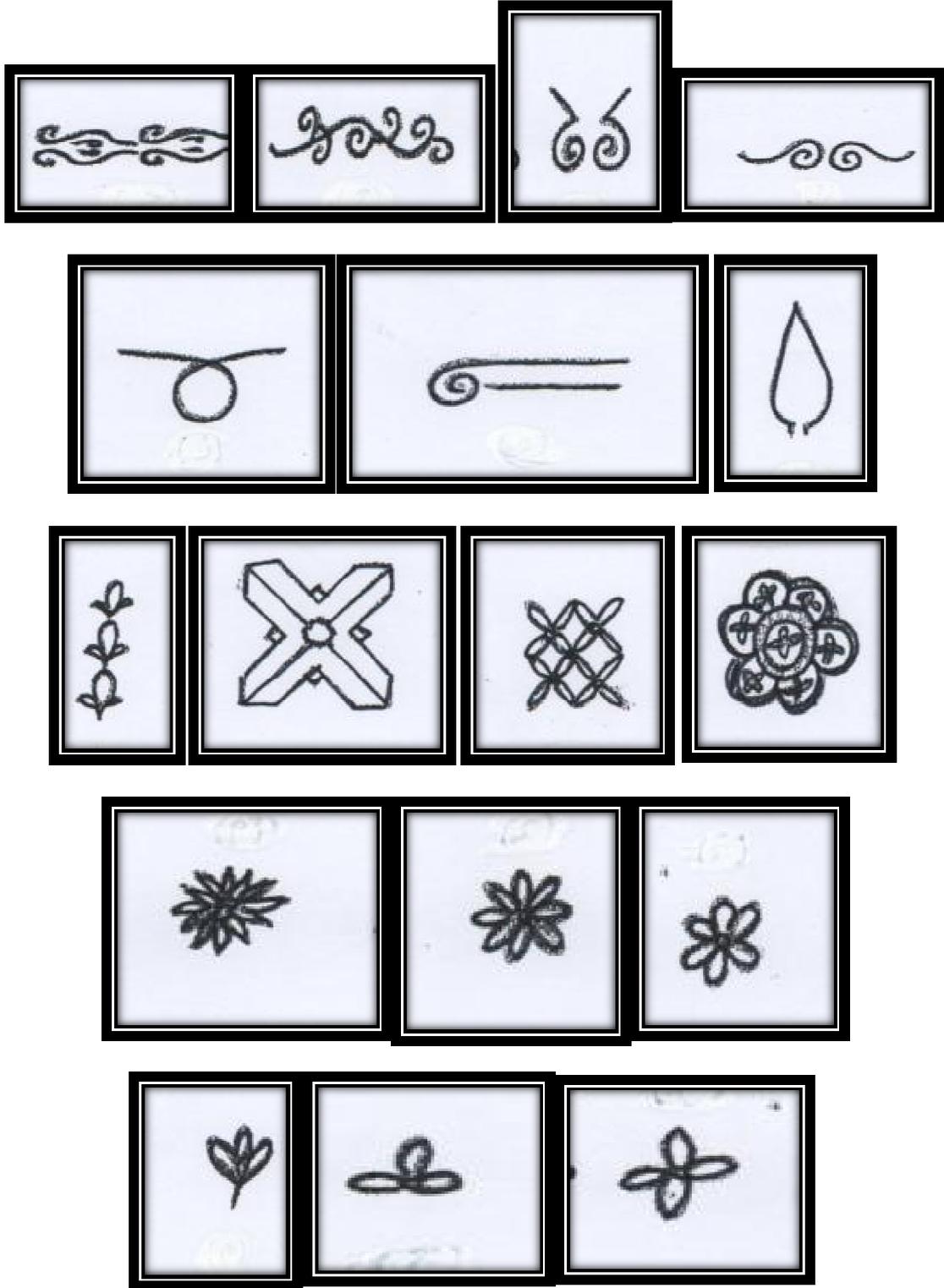
ملحق

الاشكال



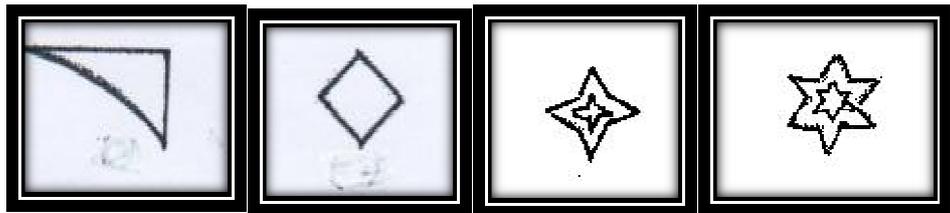
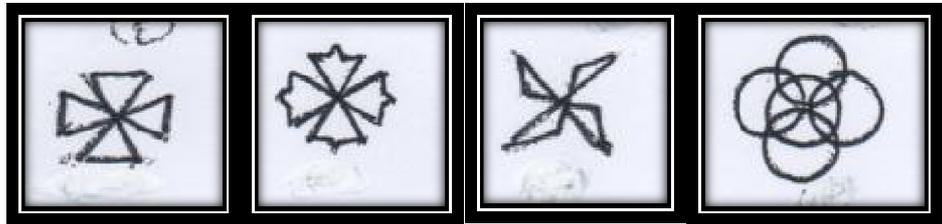
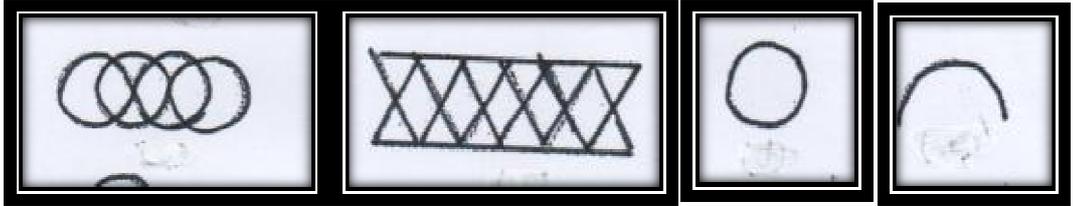
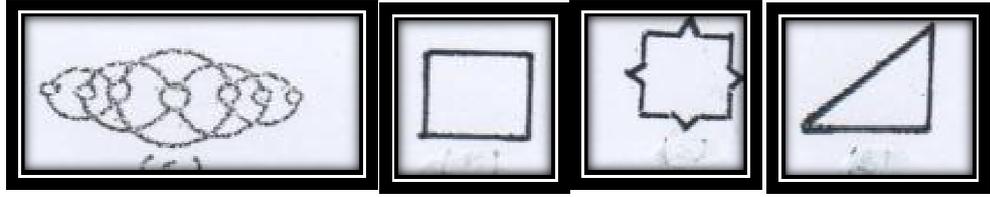
شكل 01 : عناصر زخرفة الزليج بالمسجد الجامع "نقرت"

من عمل الطالب



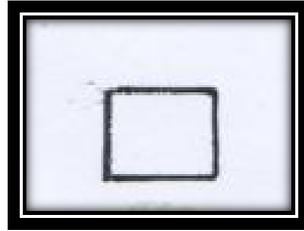
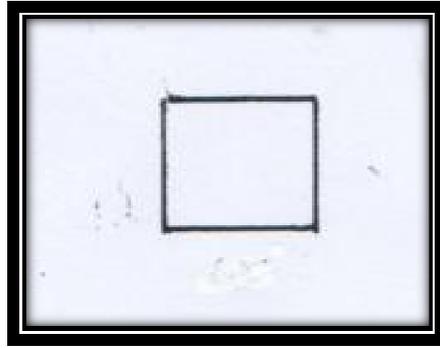
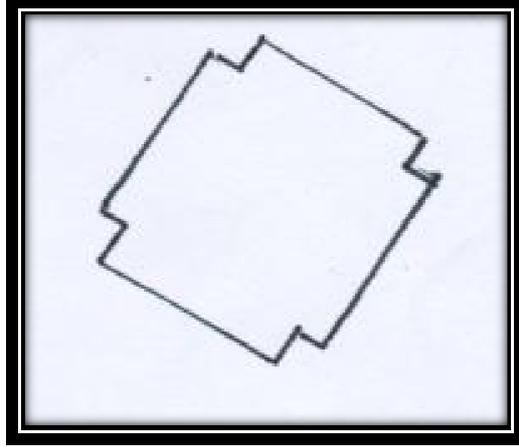
الشكل 02: عناصر الزخرفة النباتية

من عمل الطالب



الشكل 03: عناصر الزخرفة الهندسية

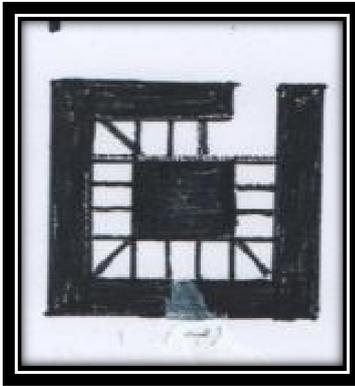
من عمل الطالب



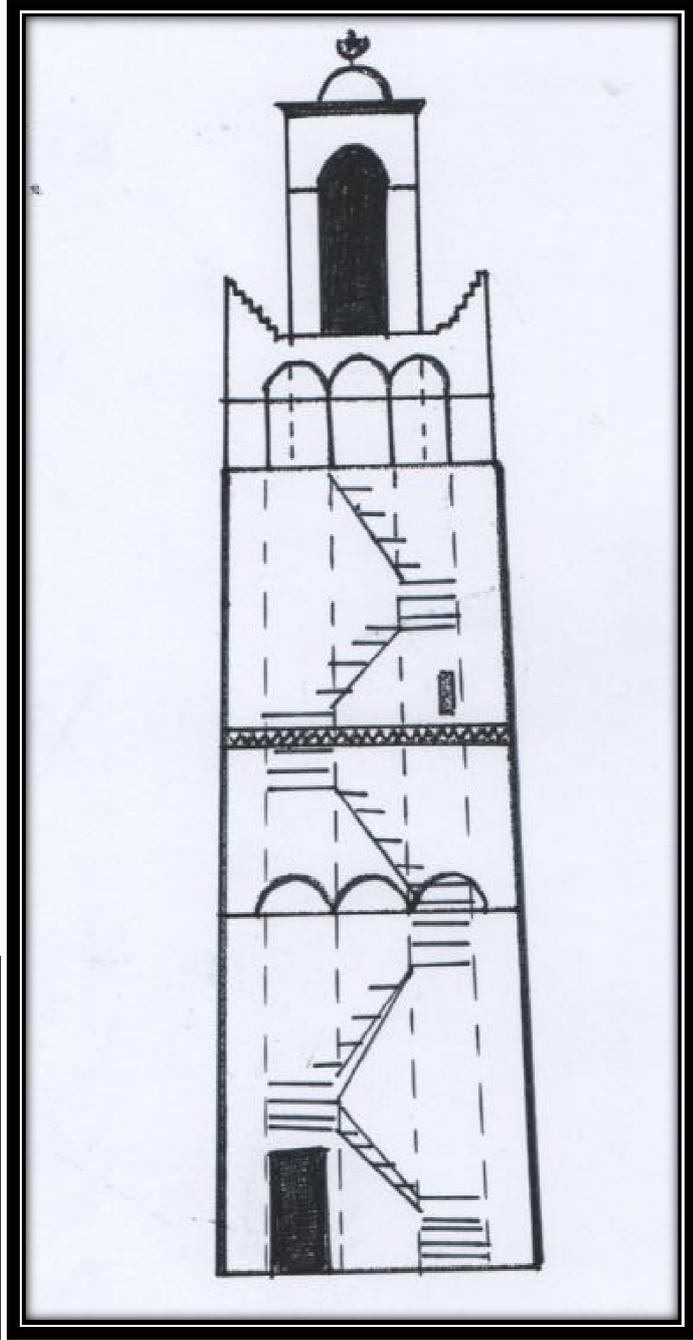
مقياس الرسم 0م 1م

الشكل 04: دعائم بيت الصلاة والصحن والاروقة

من عمل الطالب



قاعدة المئذنة

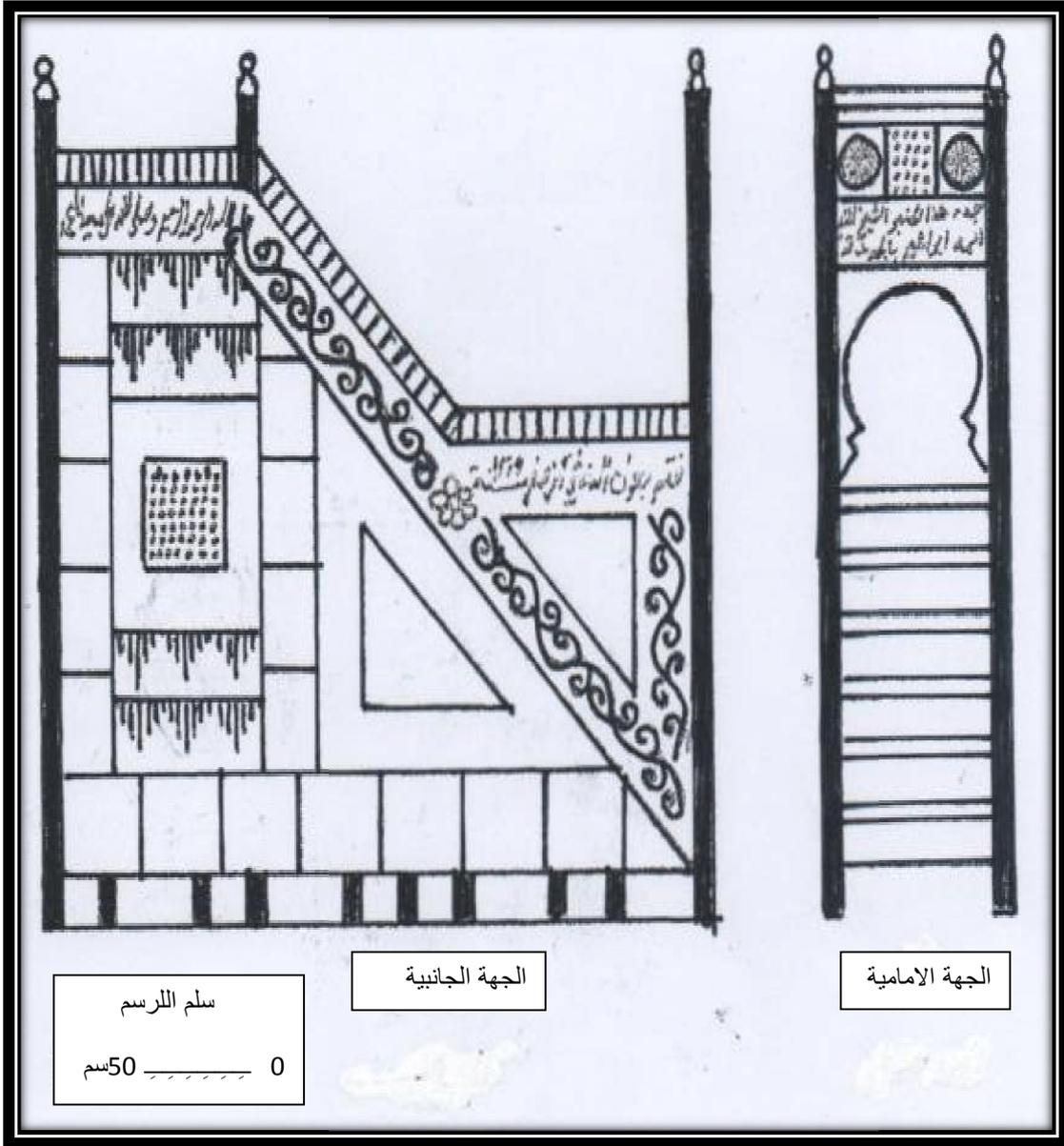


المئذنة

مقياس الرسم 0 — 1 م

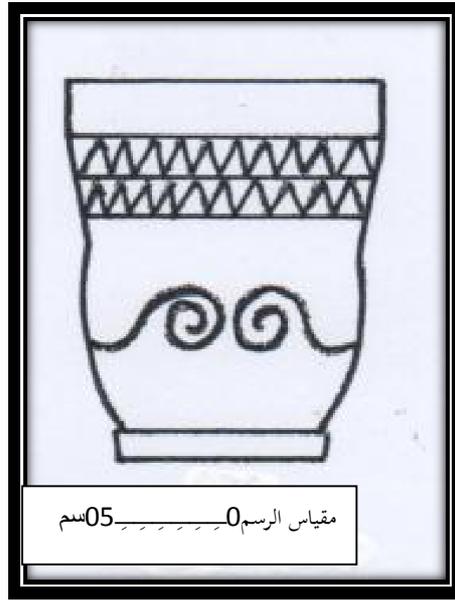
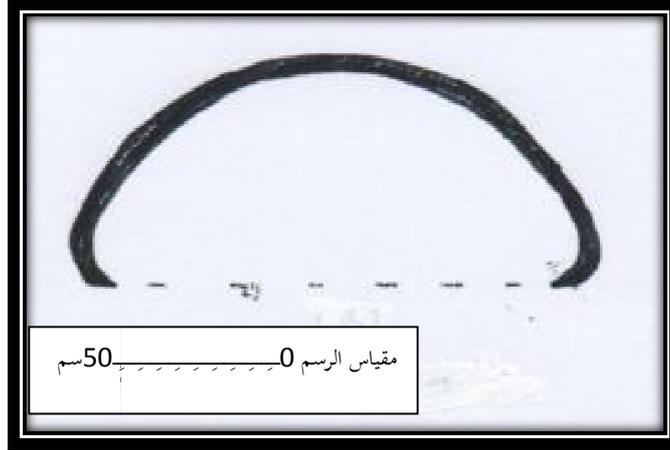
عن عبد العزيز شهبي بتصريف

الشكل 05 : مخطط المئذنة



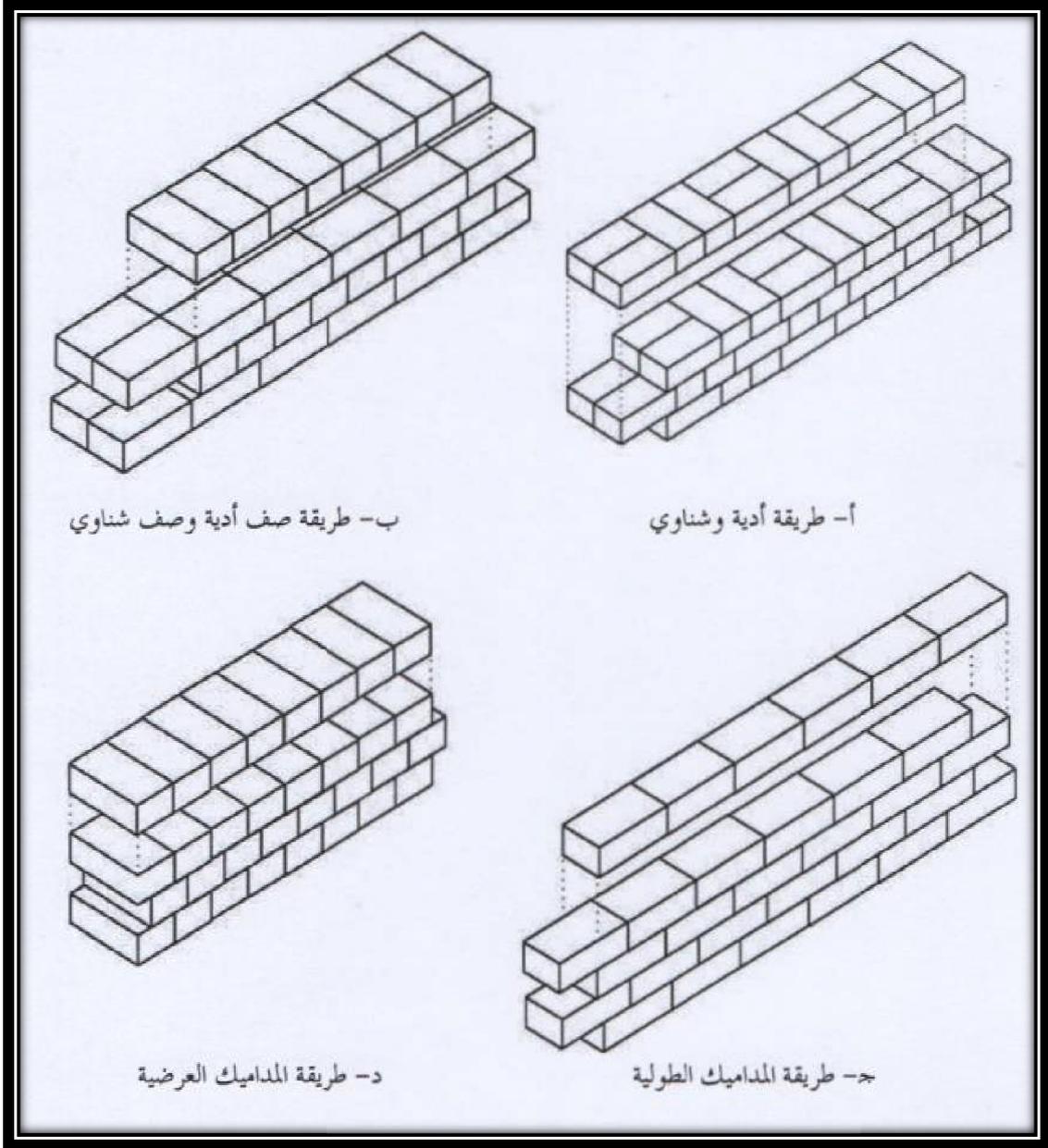
عن عبد العزيز شهبي بتصريف

الشكل 06 : المنبر: عناصر زخرفة



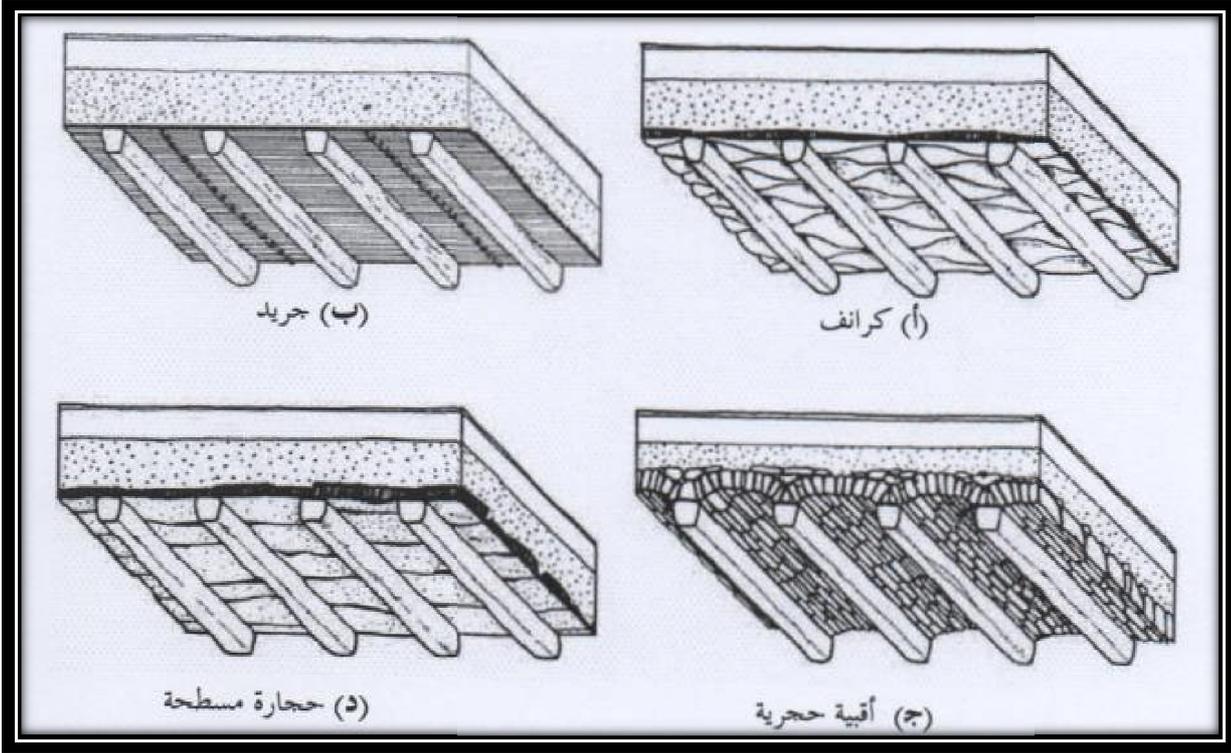
الشكل 07: محراب المسجد: القوس والتاج

من عمل الطالب

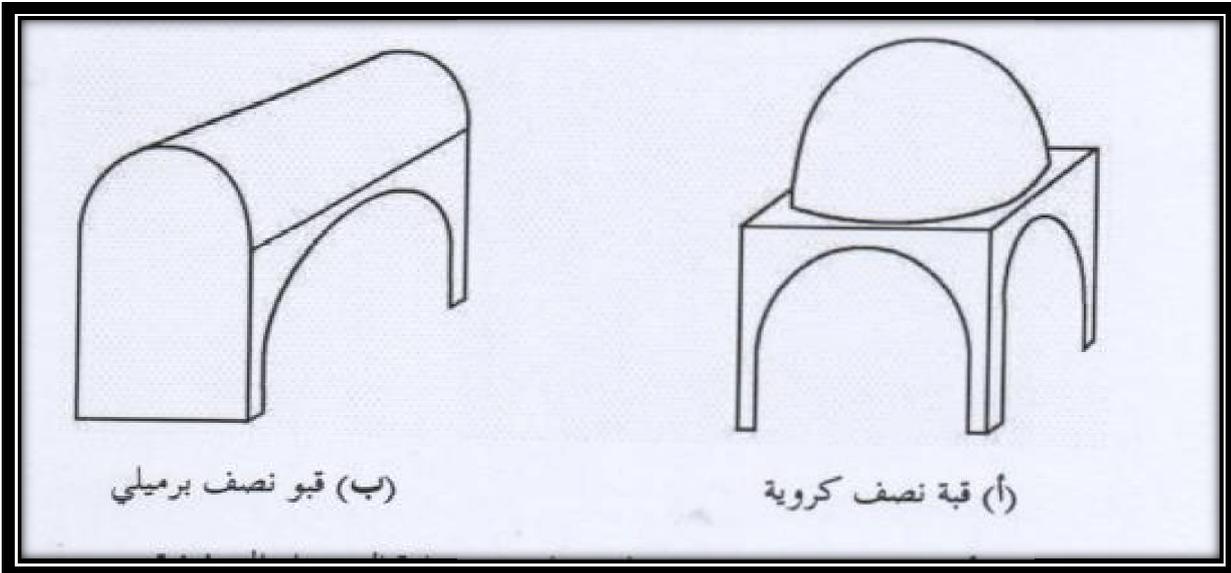


الشكل 08: اساليب البناء بالطوب

من عمل الطالب



الشكل 09 : انواع السقوف

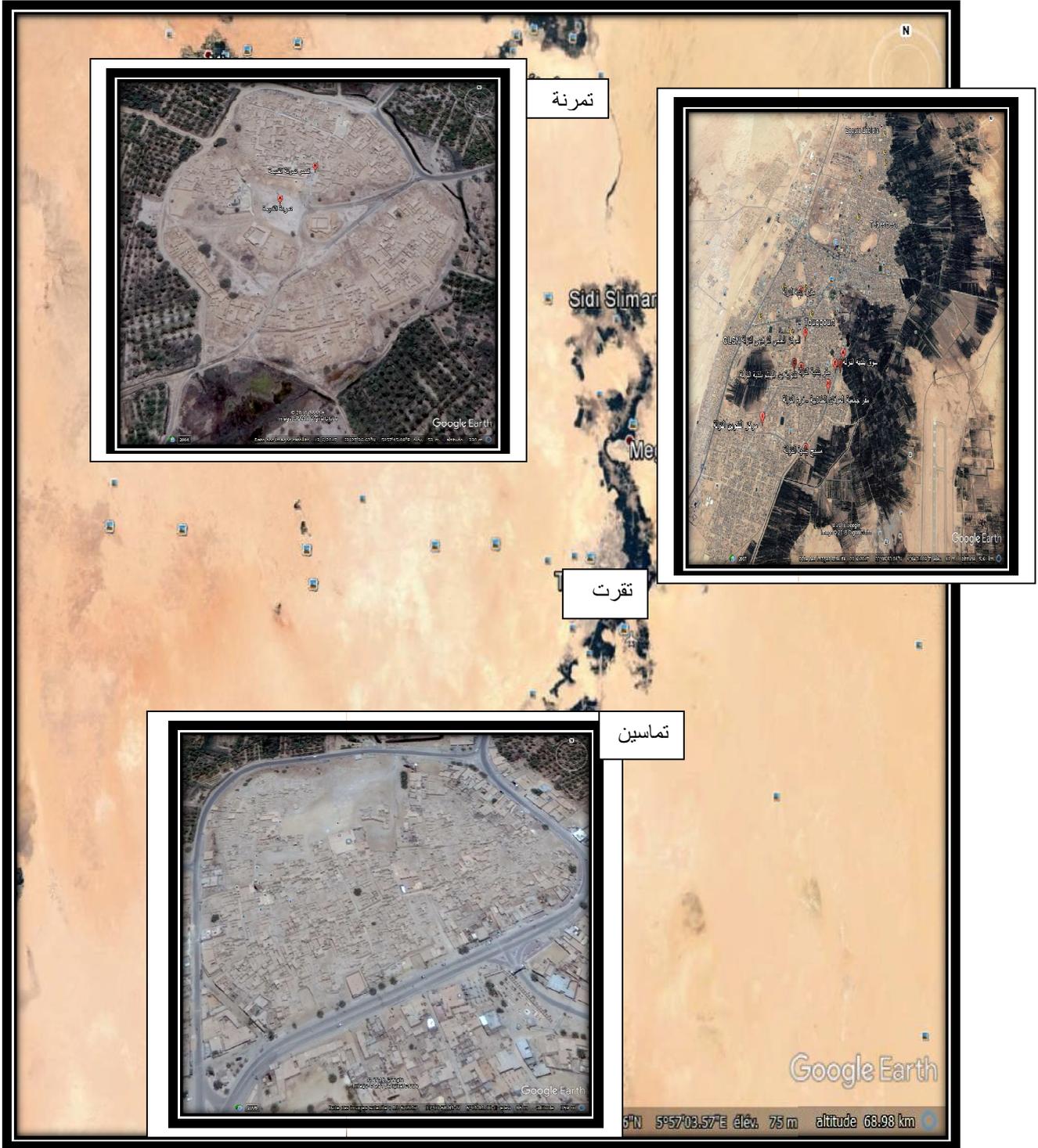


الشكل 10 : انواع التغطية

من عمل الطالب

ملحق الصور

ملحق الصور



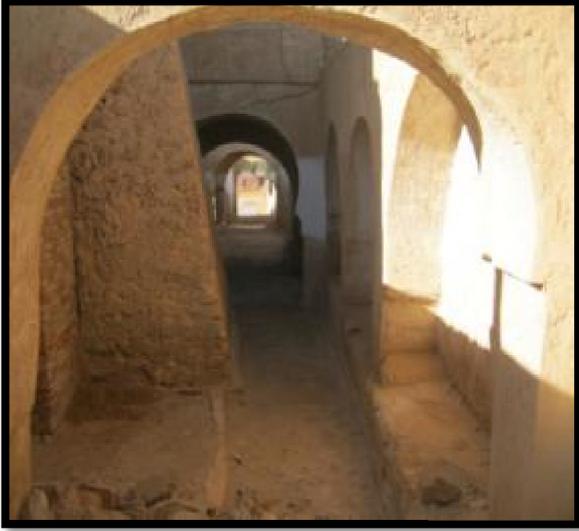
التصوير الجوي عن googl earth

الصورة رقم 1: قصور وادي ريغ



التصوير الجوي عن google earth

-الصورة رقم 2: قصور تقرت



صورة 2

مثال لاحد الشوارع المسقوفة لقصر تماسين الناحية الشرقية



صورة 1

مثال لاحد الشوارع المسقوفة بوسط قصر تيبسبت



صورة 4

مثال لاحد الشوارع النافذة بوسط قصر تيبسبت

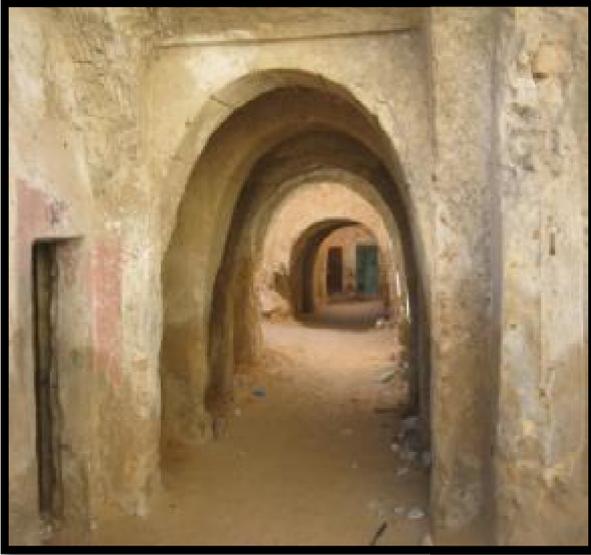


صورة 3

مثال لاحد الطرق النافذة بقصر تقرت الناحية الغربية

اللوحة 1: شوارع ومدخل القصور

من عمل الطالب



صورة 2

مثال من الطرق الملتوية بقصر الزاوية العابدية الناحية الغربية



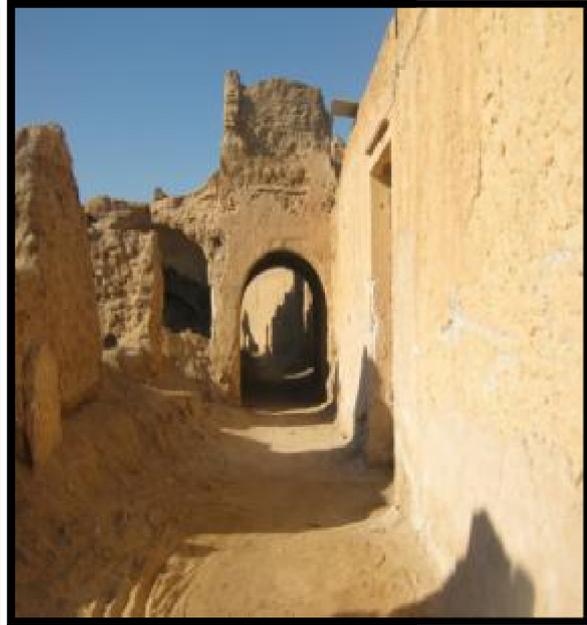
صورة 1

مثال من الطرق الملتوية بقصر تمرنة الناحية الشرقية



صورة 4

مثال من الشوارع النافذة بالعقود المتجاوزة



صورة 3

نموذج من الطرق الدائرية بقصر تماسين الناحية الغربية

اللوحة 2: نماذج من شوارع وطرق العمارة القصرية



صورة 1: المدخل الرئيسي



صورة 2: احد المداخل الفرعية

اللوحة 3: نوعية المداخل بقصر تقرت



صورة 2:

الطبق لحفظ وحمل الخبز



صورة 1:

احد الادوات المنزلية "المكب" لحفظ الاغذية



صورة 4:

القفة

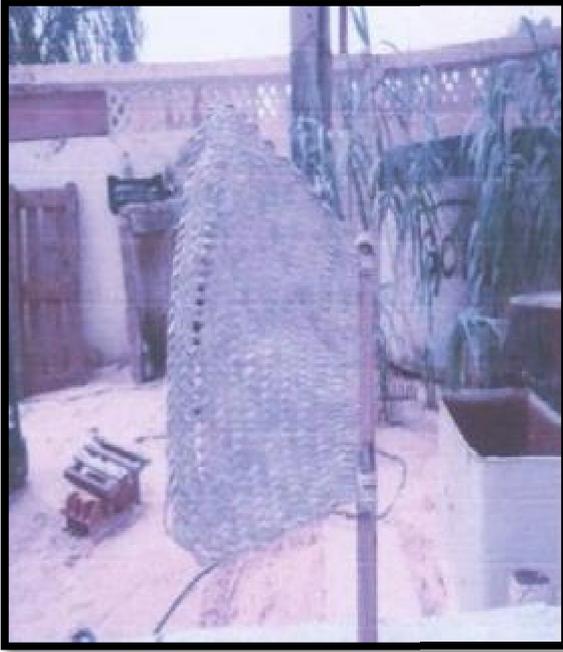


صورة 3:

رزمة من لفائف سعف النخيل المعروفة ب"الظفيرة

اللوحة 4: مثال من الادوات المنزلية المصنوعة من سعف النخيل

من عمل الطالب



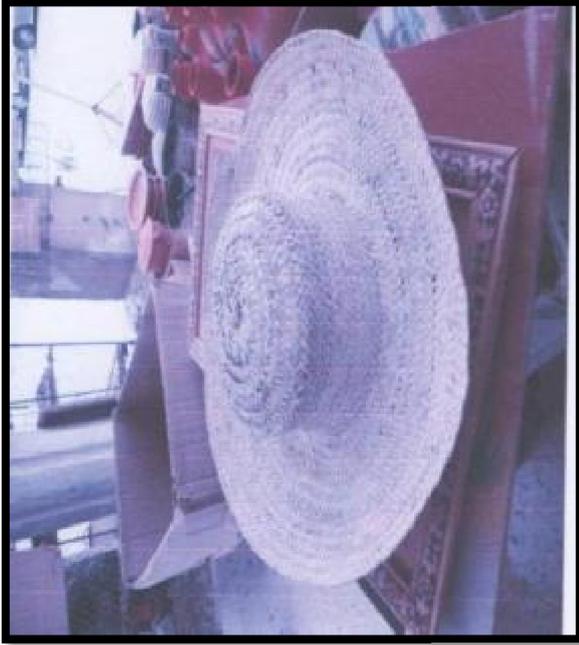
صورة 2:

المنشة



صورة 1:

القنينة لشرب الماء



صورة 4:

واقية الرأس "المظلة"

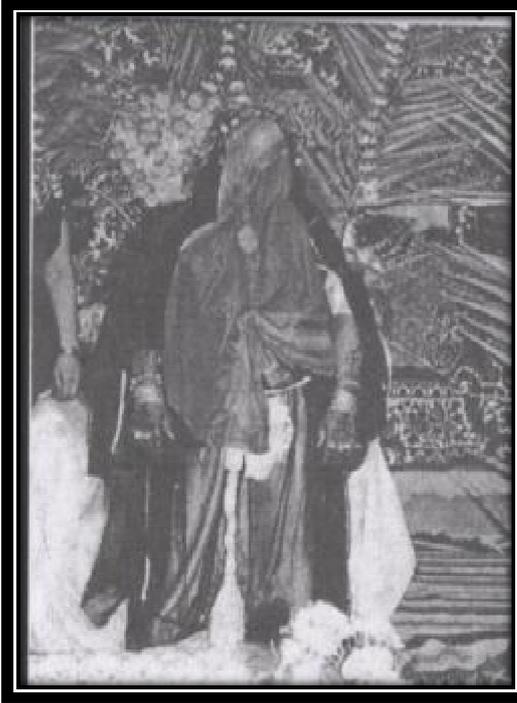


صورة 3:

كرسي مخصص للجلوس

اللوحة 5: وسائل وادوات منزلية

من عمل الطالب



الصورة 2: لباس العروس



الصورة 1: لباس العريس



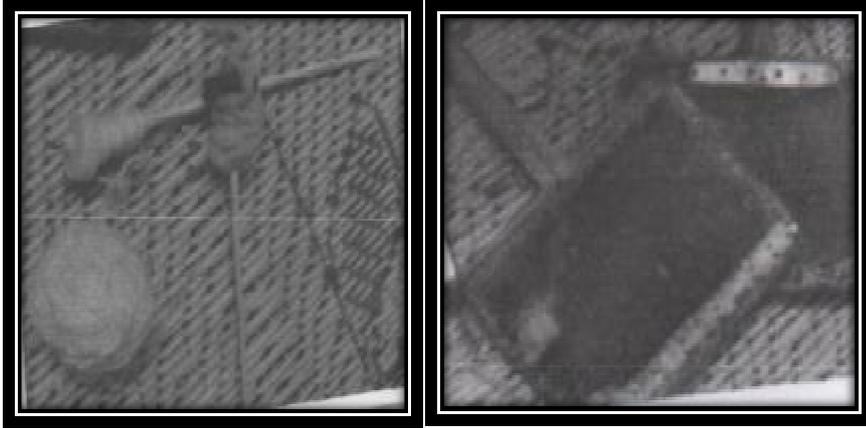
الصورة 4: القشائية



الصورة 3: البرنوس

اللوحة 6: اللباس التقليدي

من عمل الطالب



الصورة 2: مغزل

الصورة 1: القرداش يستعمل لتجهيز الصوف للغزل



الصورة 4: الحولي

الصورة 3: الزربية

اللوحة 7: حرفة الغزل والنسيج

من عمل الطالب



الصورة 2: ادوات الشرب



الصورة 1: قدر وصحنين



الصورة 4: المهراس



الصورة 3: الطاجين

اللوحة 8: ادوات الطبخ

من عمل الطالب



الصورة 2: الشكوة لصناعة اللبن

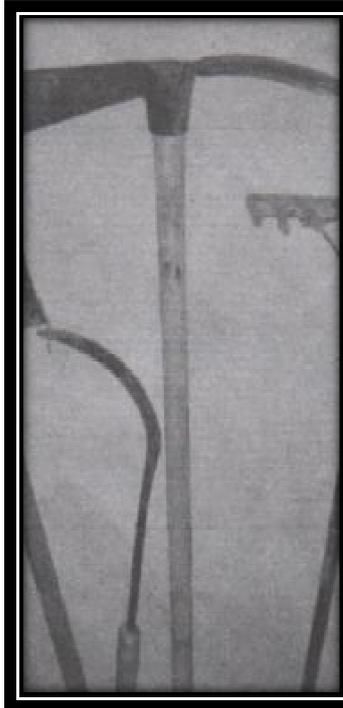


الصورة 1: القرية للشرب

اللوحة 9: ادوات جلدية



الصورة 3: المشط



الصورة 2: الفأس والمنجل



الصورة 1: مسحاة

اللوحة 10: ادوات فلاحية

من عمل الطالب



الصورة 1: كتابة تاريخ بناء المسجد الجامع بتقرت



الصورة 2: كتابة تاريخ تجديد المنبر

اللوحه 11: الكتابة التأسيسية لجامع تقرت

من عمل الطالب



صورة 2:

باب يؤدي الى الصحن الخلفي



صورة 1:

باب يؤدي الى الصحن الرئيسي



صورة 4:

باب خارجي يؤدي الى رواق الملحقات والميضاء



صورة 3:

باب خارجي يؤدي الى رواق الصحن الرئيسي

اللوحة 12: مداخل جامع مدينة تقرت

من عمل الطالب



صورة 1: نافذة بالجدار الشمالي المطل على الصحن الرئيسي



صورة 2: شبايك المسجد العلوية

اللوحة 13: فتحات وشبايك جامع تقرت

من عمل الطالب



صورة 1: الرواق الشمالي الشرقي للصحن الرئيسي



صورة 2: الرواق الجنوبي للصحن الرئيسي

اللوحة 14: اروقة المسجد الجامع بتقرت

من عمل الطالب



الصورة 1: نوع الدعامات والاروقة



صورة 2: عقود المجنبات

اللوحة 15: جامع تقرت-عقود اروقة الصحن الرئيسي

من عمل الطالب



الصورة 1: اعمدة وروابط بيت الصلاة



الصورة 2: شكل دعامات بيت الصلاة

اللوحة 16: طبيعة دعامات واعمدة الجامع

من عمل الطالب



صورة 1: الدعامات الجدارية والروابط الخشبية



صورة 2: عقود بيت الصلاة

من عمل الطالب



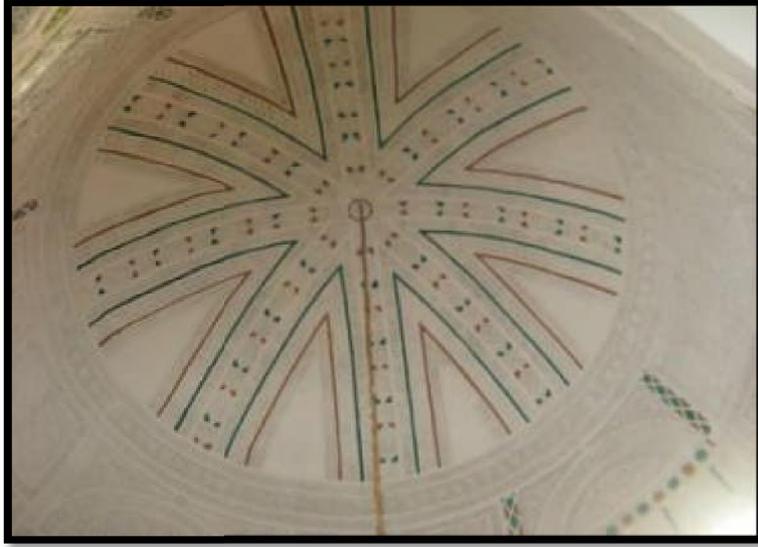
صورة 3: دعامات بيت الصلاة مسجد تقرت



صورة 4: فتحة المحراب المعقودة والعمودين المتصقين

اللوحة 17: جامع تقرت-عقود بيت الصلاة

من عمل الطالب



صورة 1: زخارف سقف ورقبة القبة



صورة 2: زخارف القبة التي تعلو محراب والشبابيك

اللوحة 18: جامع تقرت - طبعة الزخارف والشبابيك المخرمة بالقبة التي تعلو محراب الجامع

من عمل الطالب



صورة 1: شكل قبة المحراب من الخارج



صورة 2: زخارف قبة بيت الصلاة

اللوحة 19: قباب المسجد الجامع

من عمل الطالب



صورة1: منبر جامع تقرت



صورة 2: اسلوب الزخرفة واجهة المنبر

اللوحة 20: جامع تقرت- شكل المنبر واسلوب زخرفته

من عمل الطالب



صورة 1: المئذنة من الجهة الغربية



صورة 2 : واجهة المئذنة

اللوحة 21: جامع تقرت- المئذنة

من عمل الطالب

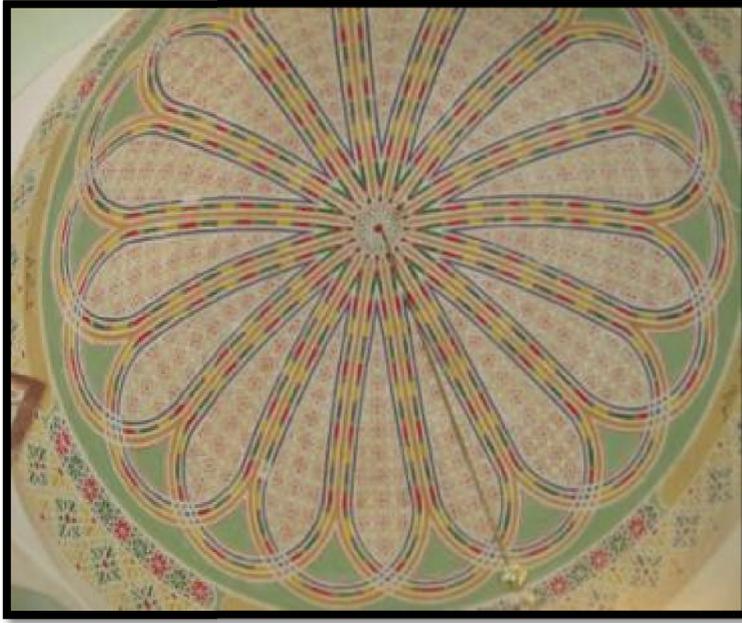


صورة 1: انواع قباب التغطية



صورة 2: اقبية الزاوية من الداخل

من عمل الطالب



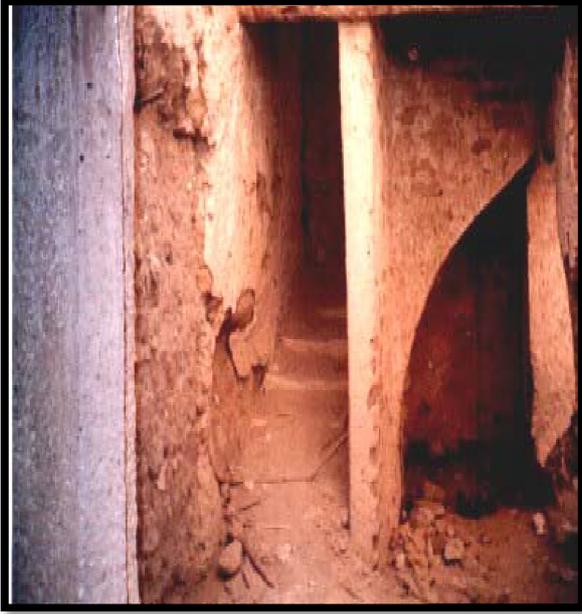
صورة 3: زخارف قبة الضريح من الداخل



صورة 4: قبر شيخ وخادمه

اللوحة 22: الزاوية

من عمل الطالب



صورة 2: نموذج من السلالم المغطاة
بقصر تمرنة



صورة 1: السلم المكشوف المؤدي الى الطابق الاول
بقصر تمرنة



صورة 4: سلم يتكون من البسطة والدرج

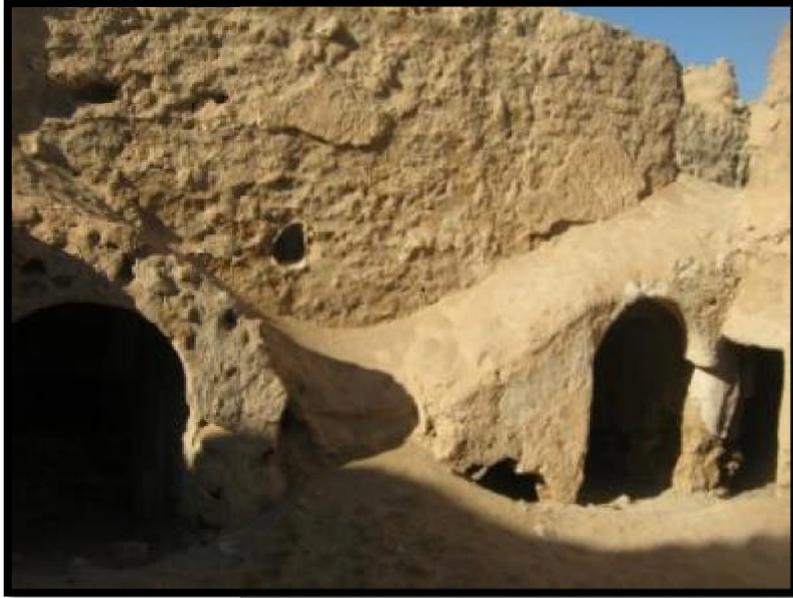


صورة 3: سلم باتجاه واحد بقصر تماسين

بقصر الزاوية العابدية

اللوحة 23: انواع السلالم القصيرية

من عمل الطالب



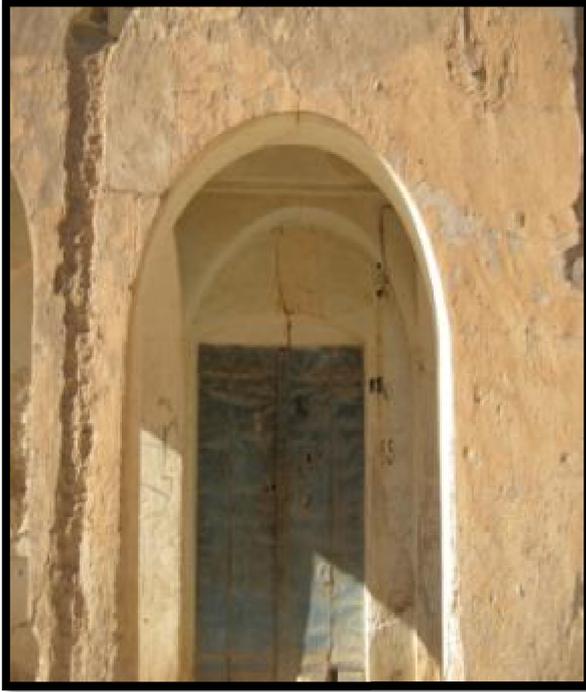
صورة1: سلم يؤدي الى جهتين متعاكسين



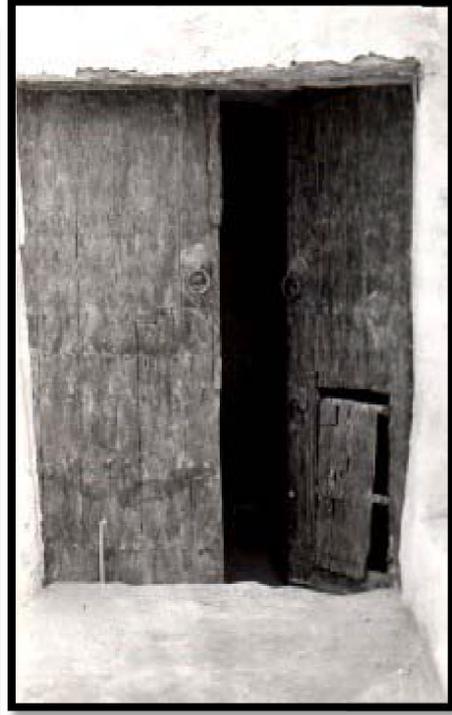
صورة 2: احد الميازيب لصرف المياه

اللوحة 24: السلام المتعاكسة وميازيب الصرف

من عمل الطالب



صورة 2: باب ذي مصرعين



صورة رقم 1: باب تتوسط احد مصراعيه باب صغير



صورة 3: باب ذي مصراع واحد

اللوحة 25: الابواب

من عمل الطالب



صورة 1: اسلوب البناء بأديّة وشناوي بقصر تماسين



صورة 2: اسلوب البناء بالمزج بقصر تقرت

اللوحة 26: طرق البناء في القصور المدروسة

من عمل الطالب



صورة 2: قصر تمرنة أسلوب التسقيف بجذوع النخيل



صورة 1: قصر تمرنة طريقة استعمال جذوع النخيل



صورة 4: قصر تيبسيست طريقة استعمال الحديد



صورة 3: قصر تيبسيست التسقيف المسطح بالحديد



صورة 6: قصر تماسين التسقيف البرميلي



صورة 5: قصر تماسين التسقيف المقبب

اللوحة 27: طريقة التسقيف

من عمل الطالب



الصورة 2: قصر الزاوية العابدية كتف العقد لقبة احد المنازل



صورة1: قصر الزاوية العابدية نموذج لفتحة المنازل



الصورة 4: مدفأة بالمطبخ



الصورة 3: نموذج لسقيفة منزل

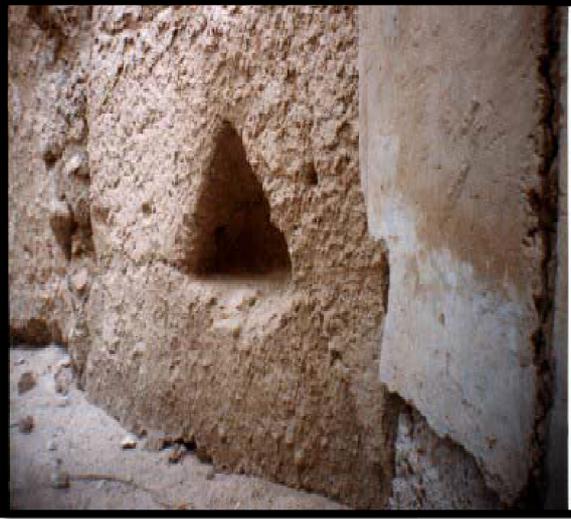
من عمل الطالب



الصورة 6: مكان التخزين المعروف بـ "البايو"



صورة 5: قصر الزاوية العابدية: طبيعة السباط في احد منازلها



الصورة 8: مشكاة جدارية



الصورة 7: آنية للتخزين "الخايبية"

اللوحة 28: مكونات المنزل بالقصور المدروسة وعناصره المعمارية

من عمل الطالب



الصورة 1: قصر تمرنة مقام على هضبة طبيعية



الصورة 2: قصر تماسين مقام على هضبة اصطناعية

اللوحة 29: موضع بناء القصور

من عمل الطالب



الصورة 2: قصر مستاوة اهتراء بداية السور



الصورة 1: قصر مستاوة تآكل سور القصر



الصورة 3: قصر مستاوة الوضعية الراهنة

اللوحة 30: تبين وضعية القصر الراهنة

من عمل الطالب

فهرس الملاحق

- 293..... خريطة 1: خريطة سياسيه تبين موقع وادي ريغ.....
- 294 خريطة 2: شبكه المياه بوادي ريغ.....
- 295..... خريطة 3: قصور وادي ريغ ووحداته.....
- 296..... خريطة 4: جغرافيه عمران تقرت.....
- 297 خريطة 5: خط سير الفتوحات لاقليم الواحات.....
- 298..... خريطة 6: المسالك والطرق التجاريه باقليم وادي ريغ وما يجاورها.....
- 299..... مخطط 1: المسقط الافقي لعمران قصر تقرت.....
- 300 مخطط 2: المسقط الافقي لعمران قصر تماسين.....
- 301..... مخطط 3 : المسقط الافقي لعمران قصر تمرنة.....
- 302..... مخطط 4 : مسقط افقي لمسكن يبين مكونات المنزل بقصر الزاويه العابديه.....
- 303..... مخطط 5: مسقط افقي لمسكن يبين مكونات المنزل بقصر مستاوه.....
- 304..... مخطط 6: مسقط افقي لمسكن يبين مكونات المنزل بقصر النزله.....
- 305..... مخطط 7: المسقط الافقي للمسجد العتيق بتقرت.....
- 306 مخطط 8: المسقط الافقي لزاويه الشيخ محمد بن يحي.....
- 308..... شكل 01 : عناصر زخرفه الزليج بالمسجد الجامع "تقرت".....
- 309..... الشكل 02: عناصر الزخرفه النباتيه.....
- 310..... الشكل 03: عناصر الزخرفه الهندسيه.....

- 311.....-الشكل04:دعائم بيت الصلاة والصحن والاروقة.....
- 312.....-الشكل05 : المئذنة وقاعدتها.....
- 313.....- الشكل 06 : زخرفة المنبر.....
- 314.....-الشكل 07: قوس وتاج المحراب.....
- 315.....- الشكل 08 : اساليب البناء بالطوب.....
- 316.....- الشكل 09 : اساليب التسقيف المسطح.....
- 316.....- الشكل 10: يمثل نوعية القبة المستعملة.....
- 318.....- الصورة رقم1:صورة قوقل تبين قصور وادي ريغ.....
- 319.....-الصورة رقم 2:صورة قوقل تبين قصور تقرت.....
- 320.....- اللوحة 1:شوارع ومداخل القصور.....
- 321.....-اللوحة 2: نماذج من شوارع وطرق العمارة القصرية.....
- 322.....- اللوحة 3: نوعية المداخل بقصر تقرت.....
- 323.....- اللوحة 4: مثال من الادوات المنزلية المصنوعة من سعف النخيل.....
- 334.....- اللوحة 5:وسائل وادوات منزلية.....
- 325.....- اللوحة 6:اللباس التقليدي.....
- 326.....- اللوحة 7: حرفة الغزل والنسيج.....
- 327.....- اللوحة8: ادوات الطبخ.....

- 328..... اللوحة 9: ادوات جلدية.....
- 329..... اللوحة 10: ادوات فلاحية.....
- 330..... اللوحة 11: الكتابة التأسيسية لجامع تقرت.....
- 331..... اللوحة 12: مداخل جامع مدينة تقرت.....
- 332..... اللوحة 13: فتحات وشبابيك جامع تقرت.....
- 333..... اللوحة 14: اروقة المسجد الجامع بتقرت.....
- 334..... اللوحة 15: جامع تقرت- عقود اروقة الصحن الرئيسي.....
- 335..... اللوحة 16: طبعة دعامات واعمدة الجامع.....
- 336..... اللوحة 17: جامع تقرت-عقود بيت الصلاة.....
- اللوحة 18: جامع تقرت-طبعة الزخارف والشبابيك المخرمة بالقبة التي تعلو محراب
الجامع.....
- 337.....
- 338..... اللوحة 19: قباب المسجد الجامع.....
- 339..... اللوحة 20: جامع تقرت-شكل المنبر واسلوب زخرفته.....
- 340..... اللوحة 21: جامع تقرت-المئذنة.....
- 342..... اللوحة 22: الزاوية.....
- 343..... اللوحة 23: انواع السلام القصيرية.....
- 344..... اللوحة 24: السلام المتعاكسة وميازيب الصرف.....

- 345.....اللوحة25:الابواب.....
- 346.....اللوحة26:طرق البناء في القصور المدروسة.....
- 347.....اللوحة27: طريقة التسقيف.....
- 349.....اللوحة28: مكونات المنزل بالقصور المدروسة وعناصره المعمارية.....
- 350.....اللوحة29:موضع بناء القصور.....
- 351.....اللوحة30: تبين وضعية القصر الراهنة.....

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
	الاهداء
	شكر وعرهان
	المقدمة
	مدخل عام
17.....	اولا- جغرافية وادي ريغ وتاريخه.....
17.....	1: الاطار الجغرافي.....
20.....	1-1- التضاريس.....
22	1-2- المياه.....
23.....	1-3- المناخ.....
25.....	2- تاريخ وادي ريغ.....
25.....	2-1- العصور القديمة.....
28	2-2- انتشار الاسلام في المنطقة.....
33.....	ثانيا: العمارة الإسلامية بين المفهوم والمصطلح.....
33.....	1- المفهوم.....
37	2- المصطلح.....
47.....	3- العمارة القصرية.....
51	خلاصة الفصل.....
53	الفصل الأول: نشأة العمارة الإسلامية بوادي ريغ.....
54.....	أولا: تاريخ ظهور المدينة الإسلامية.....
58.....	ثانيا: نشأة العمارة الصحراوية.....

60.....	1-العامل الطبيعي.....
63.....	2- العامل الاقتصادي.....
64.....	3- العامل الاجتماعي والديني.....
66	4-العامل الدفاعي.....
67	ثالثا: مظاهر العمران الإسلامي بوادي ريغ وخصائصه.....
67.....	1-اشكالية النشأة والتأسيس.....
75.....	2-قصور مدينة تقرت.....
76.....	ثالثا: مظاهر العمران الاسلامي بوادي ريغ.....
77	1-المسجد.....
79.....	2-قصر السلطان.....
79.....	3-الأسواق.....
80.....	4-الشوارع والطرق.....
85.....	5-الساحات.....
86.....	6-الأحياء.....
86.....	7-الحمام.....
86.....	8- التحصين.....
88.....	09-المقبرة.....
88.....	10- المنزل.....
90.....	خلاصة الفصل.....
91.....	الفصل الثاني : مجتمع وادي ريغ.....
92.....	أولا-الحياة الاجتماعية.....
95.....	1-عناصر السكان بمنطقة وادي ريغ.....

104	2- عادات وتقاليد المجتمع الريفي
105	2-1- الاطعمة
105	2-2- اللباس
106	2-3- الزواج
108	2-4- زيارة النخلة
108	2-5- المبيت
109	2-6- التوزيع
109	2-7- المغارسة
109	2-8- الاحتفال بشهر رمضان
110	2-9- الاحتفال بعاشوراء
111	2-10- الاحتفال بالمولد النبوي الشريف
111	2-11- الحضرة وزيارة الاولياء
114	ثانيا: الحياة الاقتصادية
114	1- الزراعة
118	2- المياه وطرق استغلاله
119	2-1- المياه النازلة والصاعدة وشروط ملكيتها
119	2-1-1- المياه النازلة
120	2-1-2- المياه الصاعدة
121	2-1-3- شروط ملكيته
123	2-1-4- الأودية
124	2-1-5- المياه الجوفية
124	2-2- القسمة والتوزيع

125.....	1-2-2-التوزيع بالدوران
125	2-2-2-التوزيع المنتظم
131.....	3-الحرف والصنائع
131.....	1-3-الغزل والنسيج
133.....	2-3-سعف النخيل
133	3-3-الحدادة
134.....	3-4-الفخار
134.....	3-5-الجلود
138.....	4-التجارة والمتاجرة
139.....	4-1-التجارة الداخلية
141	4-2-التجارة الخارجية
146	خلاصة الفصل
148.....	الفصل الثالث: الدراسة التحليلية
149.....	أولا: العمارة الدينية
149.....	1-المسجد الجامع بتقرت
149.....	1-1-ظرفية التأسيس
152.....	1-2-تخطيط الجامع
152.....	1-3-العناصر الانشائية
152	1-3-1-الابواب
153.....	1-3-2-الصحن
154.....	1-3-3-الميضاء "بيت الضوء"
155.....	1-3-4-النوافذ

156.....	1-3-5-بيت الصلاة.
157.....	1-3-6-الدعامات.
158	1-3-7-العقود.
159.....	1-3-8-المحراب.
160.....	1-3-9-القباب.
161.....	1-3-10-المنبر.
162.....	1-3-11-المئذنة.
162.....	2- زاوية سيدي الشيخ محمد بن يحيى الادرسي.
163.....	2-1-بيت الصلاة.
164	2-2-الفناء.
164.....	2-3-الضريح.
164	2-4-المقبرة.
165.....	ثانيا:العمارة المدنية.
166.....	1-مساكن الخيم.
167.....	2- التجمعات السكنية.
167.....	3- العناصر الانشائية للمسكن.
168.....	3-1- المدخل.
168.....	3-2-السقيفة.
169.....	3-3-الحوش.
169.....	3-4-السياط.
169.....	3-5-غرفة الضيوف.
170.....	3-6-الغرف.

170.....	3-7-المطبخ.....
171.....	3-8-المخزن.....
171.....	3-9- بيت الخلاء.....
171	3-10- الإسطبل.....
171.....	3-11-السلم.....
171.....	3-12-السطح.....
172.....	4-دراسة نموذجية للمنزل القصوري.....
172.....	4-1-المنزل الاول.....
174.....	4-2-المنزل الثاني.....
175.....	4-3-المنزل الثالث.....
176.....	5-العناصر الانشائية.....
176	5-1-الدعامات.....
176	5-2-العقود.....
176	5-3-القبّة.....
177.....	5-4-الأبواب.....
178.....	6-المرافق العامة.....
178.....	6-1- السوق والرحبة.....
178.....	6-2-الشوارع.....
181.....	ثالثا: العمارة العسكرية.....
181.....	1-الخنّدق.....
182.....	2-الأسوار.....
184.....	3-الابراج.....

184.....	4- الأبواب والمداخل
187	الفصل الرابع: مواد الإنشاء و أساليب البناء
189.....	أولا: مواد الإنشاء
189.....	1- الطين
192.....	2- الحجارة
194.....	3- التيشمت
196.....	4- جذوع النخيل
198.....	ثانيا: أساليب البناء
199.....	1- أسلوب بناء الأسس
200.....	2- أسلوب بناء الجدران
204.....	3- أسلوب بناء الأسقف
208.....	4- أسلوب بناء السلاالم
209.....	5- أسلوب بناء العقود
211.....	6- أسلوب بناء الأعمدة و الدعامات
212.....	7- الفتحات
213.....	ثالثا : المواد والعناصر الزخرفية
214.....	1- مواد الزخرفة
214.....	1-1 الجص
215.....	1-2 الزليج والرخام
215.....	1-3 مواد الألوان
216.....	1-4 الخشب
216.....	1-5 الحديد

216.....	2-العناصر الزخرفية.....
217.....	2-1 العناصر الهندسية.....
219.....	2-2 العناصر النباتية.....
221.....	2-3 العناصر الكتابية.....
223.....	4-العناصر العمائرية
223.....	4-1- الشرفات المسننة
223.....	4-2- العقود الصماء
223.....	4-3- الحنايا.....
224.....	5-العناصر الرمزية.....
224.....	5-1- الهلال.....
225.....	5-2- النجم.....
225.....	رابعاً_ الوضعية الحالية لقصور وادي ريغ.....
232	خلاصة الفصل.....
234.....	-نتائج البحث.....
241.....	-فهرس الأعلام و الأمكنة.....
267.....	-ثبت بالمصادر والمراجع
293.....	-ملحق الخرائط والإشكال والصور.....
355.....	-فهرس الملاحق.....
358.....	-فهرس الموضوعات.....